



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

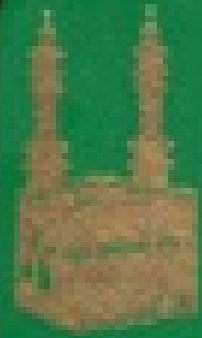
اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ
وَمَا يَرْزُقْهُ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
يُضَاعِفْ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرًا
وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ
سُوفَ نَجْزِي عَذَابًا مُّهِينًا

مَوْسَىٰ وَهَارُونَ
إِذْ قَالَا لِنَا إِلَهُاتٌ
كَأَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ
إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ
فَقُلْ إِنْ كُنْتُمْ
تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّبْ إِلَيْكُمْ
إِلَهُاتَكُمْ
وَيُخْرِجْكُمْ
مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ
ذَٰلِكَ
يَدْعُو الْكَافِرِينَ

عَلَىٰ رَأْسِ طَالُوتَ

« ٢ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ
وَمَا يَرْزُقْهُ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
يُضَاعِفْ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرًا
وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ
سُوفَ نَجْزِي عَذَابًا مُّهِينًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موسوعه الامام امير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام

كاتب:

باقر شريف قرشى

نشرت فى الطباعة:

مجمع جهانى شيعه شناسى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|----|--|
| ٥ | الفهرس |
| ١٦ | موسوعه الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب (ع) المجلد ٢ |
| ١٦ | اشاره |
| ١٧ | اشاره |
| ١٩ | مقدمه التحقيق |
| ١٩ | اشاره |
| ٢١ | تقديم |
| ٢٥ | مع النبي |
| ٢٥ | اشاره |
| ٢٨ | واقعه بدر: |
| ٢٨ | اشاره |
| ٢٨ | استنجداد أبي سفيان بقریش: |
| ٢٨ | رؤيا عاتكه: |
| ٢٩ | نصيحه عتبه بن ربيعه: |
| ٣٠ | سقايه الإمام للجيش: |
| ٣١ | دعاء النبي للأنصار: |
| ٣١ | دعاء النبي على قریش: |
| ٣١ | النبي مع أصحابه: |
| ٣٢ | المعركه: |
| ٣٢ | بساله الإمام: |
| ٣٣ | أسماء من قتلهم الإمام: |
| ٣٦ | وقوف النبي على قتلى بدر: |
| ٣٧ | الأسرى من قریش: |
| ٣٧ | حزن القرشيين على قتلهم: |

- ٣٨ انتصار الإسلام:
- ٣٩ واقعه أحد:
- ٣٩ اشاره
- ٤٠ الحرب:
- ٤١ هزيمة المسلمين:
- ٤٢ مصرع الشهيد حمزه:
- ٤٣ مصرع الشهيد مصعب:
- ٤٣ حمايه الإمام للنبي :
- ٤٤ تشقى هند:
- ٤٥ تشقى أبى سفيان:
- ٤٥ حزن النبي :
- ٤٧ ملاحقه النبي للقرشيين:
- ٤٧ سرور القرشيين:
- ٤٧ واقعه الخندق:
- ٤٧ اشاره
- ٤٨ دور اليهود فى المعركة:
- ٤٩ النبي مع نعيم:
- ٥٠ حفر الخندق:
- ٥١ مبارزه الإمام لعمره:
- ٥٥ فتح خيبر ١:
- ٥٥ اشاره
- ٥٧ مبارزه الإمام لمرحب:
- ٥٨ غزوه بنى قريظه:
- ٥٨ اشاره
- ٥٩ نصيحه كعب لبني قريظه:
- ٦٠ نزولهم على حكم الرسول:

- ٦٠ اشاره
- ٦٠ تحكيم سعد:
- ٦١ غزوه بنى النضير:
- ٦٢ غزوه وادى القرى:
- ٦٢ الإمام و فتح اليمن:
- ٦٢ اشاره
- ٦٢ دعاء الإمام:
- ٦٣ إسلام همدان:
- ٦٤ فتح مكّه:
- ٦٤ اشاره
- ٦٤ رساله حاطب لقريش:
- ٦٥ فى رحاب مكّه:
- ٦٦ العباس و أبو سفيان:
- ٦٧ أبو سفيان بين يدى النبي :
- ٦٨ أطفاف النبي على أبي سفيان:
- ٦٩ أبو سفيان فى مضيق الوادى:
- ٧٠ نداء أبي سفيان:
- ٧٠ معارضة هند:
- ٧١ دخول النبي مكّه:
- ٧١ النبي فى الكعبه:
- ٧٢ تطهير البيت من الأصنام:
- ٧٣ خطاب النبي :
- ٧٤ غزوه حنين:
- ٧٤ اشاره
- ٧٥ فرار المسلمين:
- ٧٦ بساله الإمام:

| | |
|-----|----------------------------|
| ٧٦ | شماته أبي سفيان و صفوان: |
| ٧٧ | هزيمة المشركين: |
| ٧٧ | الغنائم: |
| ٧٩ | الإمام و سورة البراءة: |
| ٨٠ | غزوه تبوك: |
| ٨١ | الإمام يصف جهاده: |
| ٨٤ | طلائع الزحيل: |
| ٨٤ | اشاره: |
| ٨٨ | حجّه الوداع: |
| ٩١ | مؤتمر غدیر خم: |
| ٩٤ | البيعه العاقه للإمام: |
| ٩٥ | نزول آيه إكمال الدين: |
| ٩٦ | المأساه الخالده: |
| ٩٦ | اشاره: |
| ٩٩ | إعطاء القصاص من نفسه: |
| ١٠٢ | سريه اسامه: |
| ١٠٤ | رزيه يوم الخميس: |
| ١٠٧ | فجيعة الزهراء: |
| ١٠٩ | النجي يوصي بأهل بيته: |
| ١٠٩ | وصيّه النبي بسبطيه: |
| ١٠٩ | إلى الفردوس الأعلى: |
| ١١٢ | تجهيز الجثمان العظيم: |
| ١١٣ | الصلاه على الجثمان العظيم: |
| ١١٤ | مواراه الجثمان المقدس: |
| ١١٤ | فزع أهل البيت: |
| ١١٥ | تأبين الإمام للرسول: |

| | |
|-----|----------------------------------|
| ١١٦ | مؤتمر السقيفه |
| ١١٦ | اشاره |
| ١١٩ | البواعث المؤتمر السقيفه |
| ١٢٢ | خطاب سعد: |
| ١٢٣ | المؤاخذه على سعد: |
| ١٢٤ | ضعف نفسيه الأنصار: |
| ١٢٥ | اختلاف الأنصار: |
| ١٢٥ | فذلكه عمر: |
| ١٢٧ | نظره و تأمل: |
| ١٢٧ | اشاره |
| ١٢٨ | مداهمه الأنصار: |
| ١٢٩ | خطاب أبى بكر: |
| ١٣٠ | دراسه و تحليل: |
| ١٣٣ | فوز أبى بكر بالحكم: |
| ١٣٥ | هزيمه الأنصار: |
| ١٣٦ | ابتهاج القرشيين: |
| ١٣٦ | موقف أبى سفيان: |
| ١٣٩ | موقف الإمام من بيعه أبى بكر: |
| ١٤٠ | امتناع الإمام من البيعه: |
| ١٤٣ | احتجاجات صارمه: |
| ١٤٣ | اشاره |
| ١٤٣ | ١ - احتجاج الإمام أمير المؤمنين: |
| ١٤٣ | ٢ - الزهراء: |
| ١٤٣ | اشاره |
| ١٤٥ | محتويات الاحتجاج: |
| ١٤٧ | استنجد الزهراء بنى قبيله: |

- ١٤٨ ٣ - الإمام الحسن:
- ١٤٨ ٤ - سلمان الفارسي:
- ١٤٩ ٥ - عمار بن ياسر:
- ١٥٠ ٦ - أبو ذر:
- ١٥١ ٧ - المقداد:
- ١٥٢ ٨ - عتبة بن أبي لهب:
- ١٥٢ ٩ - أبو أيوب الأنصاري:
- ١٥٣ ١٠ - أبي بن كعب:
- ١٥٤ ١١ - النعمان بن عجلان:
- ١٥٤ ١٢ - عثمان بن حنيف:
- ١٥٤ ١٣ - سهل بن حنيف:
- ١٥٥ ١٤ - خزيمه بن ثابت:
- ١٥٦ ١٥ - أبو الهيثم بن التيهان:
- ١٥٧ إجراءات مؤسفه:
- ١٥٧ اشاره:
- ١٥٧ كبس دار الإمام:
- ١٦٠ تأمين فديك:
- ١٦٠ مطالبه الزهراء بديك:
- ١٦٣ إلغاء الخمس:
- ١٦٣ مصادره تركه النبي:
- ١٦٥ الخطاب الخالد للزهراء:
- ١٧١ ندم أبي بكر:
- ١٧١ محاوله فاشله لإرضاء الزهراء:
- ١٧٣ أضواء على موقف الإمام:
- ١٧٣ اشاره:
- ١٧٣ ١ - فقده للقوه العسكريه:

- ١٧٥ ٢ - المحافظه على وحده المسلمين:
- ١٧٥ لوعه الزهراء و شجونها:
- ١٧٨ الزهراء فى ذمه الخلود:
- ١٧٨ اشاره
- ١٧٨ وصيتها:
- ١٨٤ وفاه أبى بكر و عهده لعمر:
- ١٨٧ موقف الإمام:
- ١٩٠ خلافه عمر
- ١٩٠ اشاره
- ١٩٢ سياسته الداخليه:
- ١٩٢ اشاره
- ١٩٢ سعد بن أبى وقاص:
- ١٩٣ جبله بن الأيهم:
- ١٩٤ فرض الإقامه الجبريه على الصحابه:
- ١٩٥ رأى طه حسين:
- ١٩٥ ولاته و عماله:
- ١٩٦ مراقبه الولاه و العمال:
- ٢٠٠ سياسته الماليه:
- ٢٠٠ اشاره
- ٢٠١ ناقدون:
- ٢٠١ اشاره
- ٢٠٢ ١ - الدكتور محمد مصطفى:
- ٢٠٢ ٢ - العلامه العلاتلى:
- ٢٠٢ ٣ - الدكتور عبد الله سلام:
- ٢٠٣ ندم عمر:
- ٢٠٣ اعتزال الإمام:

- ٢٠٦----- نصيحتة لعمر:
- ٢٠٦----- اشاره
- ٢٠٦----- ١ - غزو الروم:
- ٢٠٦----- ٢ - غزو الفرس:
- ٢٠٧----- ٣ - حلى الكعبه:
- ٢٠٨----- اغتيال عمر:
- ٢١٠----- وصيته:
- ٢١٠----- عمر مع ابنه عبد الله:
- ٢١٢----- نظام الشورى:
- ٢١٢----- اشاره
- ٢١٣----- صلاه صهيب:
- ٢١٤----- انتخاب عمر لأعضاء الشورى:
- ٢١٤----- عمر مع أعضاء الشورى:
- ٢١٤----- اشاره
- ٢١٤----- الروايه الاولى:
- ٢١٤----- اشاره
- ٢١٥----- مع الزبير:
- ٢١٦----- مع طلحه:
- ٢١٦----- مع سعد بن أبى وقاص:
- ٢١٧----- مع عبد الرحمن بن عوف:
- ٢١٧----- مع الإمام أمير المؤمنين:
- ٢١٨----- مع عثمان:
- ٢١٨----- الروايه الثانيه:
- ٢٢٠----- الروايه الثالثه:
- ٢٢٢----- الهيئه المشرفه على الانتخاب:
- ٢٢٢----- عمر مع أبى طلحه و المقداد:

- ٢٢٣ إنذار عمر للصحابه:
- ٢٢٣ رأى الإمام:
- ٢٢٥ آفات الشورى:
- ٢٣٠ عملية الانتخاب:
- ٢٣٨ حكمه عثمان
- ٢٣٨ اشاره
- ٢٤١ مظاهر شخصيته:
- ٢٤١ اشاره
- ٢٤١ أولا - ضعف الإرادة:
- ٢٤٢ ثانيا - حبه العارم للأمويين:
- ٢٤٢ ثالثا - ميله إلى الترف:
- ٢٤٣ رابعا - مصانعه الوجوه:
- ٢٤٤ ولاته و عماله:
- ٢٤٤ اشاره
- ٢٤٤ ١ - عبد الله بن عامر:
- ٢٤٧ ٢ - الوليد بن عقبه:
- ٢٥٢ ٣ - عبد الله بن سعد:
- ٢٥٣ ٤ - معاوية بن أبي سفيان:
- ٢٥٤ ٥ - سعيد بن العاص:
- ٢٥٧ سياسته الاقتصاديه:
- ٢٥٧ اشاره
- ٢٥٨ هياته للأمويين:
- ٢٤٢ هياته للأعيان:
- ٢٤٣ إقطاعه للأراضى:
- ٢٤٤ قائمه بأسماء الممنوحين أراضى واسعه:
- ٢٤٧ استقطاع عثمان للأموال:

- ٢٦٨ مع الجبهه المعارضه:
- ٢٦٨ اشاره
- ٢٦٨ التنكيل بالمعارضين:
- ٢٦٨ اشاره
- ٢٦٨ ١ - عقار بن ياسر:
- ٢٧٢ ٢ - مع أبي ذر:
- ٢٧٢ اشاره
- ٢٧٣ اعتقال أبي ذر في الشام:
- ٢٧٥ إخراج أبي ذر من الشام:
- ٢٧٦ اعتقاله في الربذه:
- ٢٧٧ توديع الاسره النبويه لأبي ذر:
- ٢٧٨ كلمه الإمام:
- ٢٧٩ كلمه الإمام الحسن:
- ٢٧٩ كلمه الإمام الحسين:
- ٢٧٩ كلمه عقار:
- ٢٨٠ كلمه أبي ذر:
- ٢٨٠ غضب عثمان على الإمام:
- ٢٨١ ٣ - عبد الله بن مسعود:
- ٢٨٤ الثوره على عثمان:
- ٢٨٤ اشاره
- ٢٨٤ مذكره المهاجرين لأهل مصر:
- ٢٨٥ مذكره أخرى لأهل الثغور:
- ٢٨٦ وفود الأمصار:
- ٢٨٦ اشاره
- ٢٨٦ ١ - الوفد المصرى:
- ٢٨٦ ٢ - الوفد الكوفى:

| | | |
|-----|-------|--------------------------|
| ٢٨٤ | | ٣ - الوفد البصرى: |
| ٢٨٧ | | مذكّره المصريّين لعثمان: |
| ٢٨٨ | | استجارته بالإمام: |
| ٢٨٨ | | كتاب عثمان: |
| ٢٨٩ | | نقضه للعهد: |
| ٢٩٠ | | استنجاهه بمعاويه: |
| ٢٩١ | | الحصار على عثمان: |
| ٢٩٢ | | يوم الدار: |
| ٢٩٣ | | مصرع عثمان: |
| ٢٩٧ | | المحتويات |
| ٣١٤ | | تعريف مركز |

سرشناسه: قرشی، باقر شریف، ۱۹۲۶ - م.

Qarashi, Baqir Sharif

عنوان و نام پدیدآور: موسوعه الامام اميرالمومنين علي بن ابی طالب عليه السلام / مولف باقر شريف القرشي

مشخصات نشر: قم: مجمع جهانی شیعه شناسی

مشخصات ظاهری: ۱۱ ج.

شابک: دوره: ۹۷۸-۶۰۰-۶۱۶۴-۷۲-۴؛ ۹۰۰۰۰ ریال: ج. ۱: ۹۷۸-۶۰۰-۶۱۶۴-۶۵-۶؛ ج. ۲ و ۳: ۹۷۸-۶۰۰-۹۴۹۳۰-۷-۴؛ ج.

۴ ۹۷۸-۶۲۲-۶۲۲-۹۶۲۹۲۴-۶:

وضعیت فهرست نویسی: فیبا

یادداشت: ناشر جلد دوم و سوم و چهارم انتشارات دارالتهدیب است .

مندرجات: ج. ۱. زندگانی و فضایل امام علی علیه السلام در قرآن و سنت. - ج. ۲ و ۳. امام علی (ع) در عهد پیامبر و دوران خلافت

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- سرگذشته نامه

شناسه افزوده: مجمع جهانی شیعه شناسی

شناسه افزوده: The World Center for Shite Studies

رده بندی کنگره: BP۳۷/ق۳۶م۸۰۴۱ ۱۳۹۳

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱

شماره کتابشناسی ملی: ۳۷۲۶۷۶۲

موسوعه الامام اميرالمومنين على بن ابى طالب عليه السلام

مؤلف باقر شريف القرشى

ص: ٢

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرٍ وَ اَنْتُمْ اَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ آل عمران: ١٢٣ وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ الَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا
اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ البقره: ١٩٠ اِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِيْنًا الفتح: ١ وَ مَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ اَفَاِنْ مَاتَ
اَوْ قُتِلَ اِنْقَلَبْتُمْ عَلٰى اَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلٰى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيْئًا وَ سَيَجْزِي اللّٰهُ الشَّاكِرِيْنَ آل عمران: ١٤٤

١ نضال و كفاح و إيمان تسلّح به الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام بطل الإسلام و قائد مسيرته الظافره فى كفاحه المسلّح ضدّ الجاهليه الرعناء التى لا تحمل أى طابع من التوازن و لا بصيص من الوعى و الفكر، فكان الإمام القوّه الضاربه التى حمت الثوره الإسلاميه من ذئاب الجاهليه و مرده أهل الكتاب.

لقد أحدثت الثوره الإسلاميه بشعاراتها و مبادئها زلزالاً مدمّراً للحياه الفكرية و العقائديه التى عاشتها الجاهليه فدمّرت جميع معالم الحياه فيها من عباده الأوثان و الأصنام و وأد البنات و غزو الأقوياء للضعفاء، و أقامت الثوره الإسلاميه نظاماً متطوّراً خلاقاً يضىء الطريق و يوضّح القصد، و يجمع و لا يشتّت، و يوحد و لا يفرّق، و يقضى على الغبن و الجريمه.

و قد تبنّى الإمام بصوره إيجابيه و إيمان لا حدود له جميع قضايا الإسلام، فخاض فى سبيله أعنف المعارك ساخراً من الموت هازئاً من الحياه، فردّ العتاه من جبابره قريش الذين جاهدوا على لفّ لواء الإسلام و إخماد نوره، فحصد الإمام رءوسهم، و ألحق بهم الهزيمه و العار. و يعرض هذا الكتاب إلى صور مشرقه من جهاده و كفاحه.

٢ من بحوث هذا الكتاب أنه عرض بصورة أمينه لأقصى كارثه منى بها العالم الإسلامى على امتداد التاريخ، وهى انتقال النبىّ صلى الله عليه وآله إلى حضيره القدس، فقد انطوت ألويه العدل، و مادت أركان الحقّ، و ارتفع ذلك اللطف الإلهى الذى غير مجرى التاريخ إلى واقع مشرق تتلاشى فيه آهات المظلومين و المعدّبين، و لا يكون فيه ظلّ للحاجه و الحرمان.

فقد أخذت للمسلمين الخطوب و الكوارث و ألقنهم فى شرّ عظيم، و قد أعلن القرآن الكريم هول تلك الأحداث و مدى خطورتها بقوله تعالى: **وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**، و أى مصيبه أعظم من الانقلاب، و أى مأساه أقسى من المروق من الدين.

و كان من أفجع ألوان الخطوب السود بعد وفاه المنقذ العظيم هى إبعاد العتره الطاهره عن الشؤون السياسيه فى البلاد، و جعلها فى معزل عن واقع الحياه الاجتماعيه، فى حين أنّ الامّه لم تكن بأى حال فى غنى عن ثرواتها الفكرية و العلميه المستمدّه من الرسول الأعظم.

كما أنّ الهزّات العنيفه التى منيت بها الامّه، إنّما جاءت نتيجة حتميه لفصل الخلافه عن أهل البيت عليهم السّلام، فقد انتشرت الأطماع السياسيه بشكل سافر عند كثير من الصحابه، ممّا أدّى إلى تشكيلهم للأحزاب النفعيه التى لم تكن تنشأ فى مخططاتها السياسيه سوى الوصول إلى الحكم و التّنعّم بخيرات البلاد.

و من المأسى ما عانته الاسره النبويه من صنوف القتل و التنكيل، فقد طافت بها المحن و الأزمات يتبع بعضها بعضا، لم يراع فيها حرمة النبىّ صلى الله عليه وآله التى هى أولى و أحقّ بالرعايه و التكريم من كلّ شىء.

٣ من بنود هذا الكتاب عرض موجز لحكومته الخلفاء الذين تقلدوا الخلافة بعد وفاه النبي صلى الله عليه وآله، فقد عرض لشؤون حكمهم وما رافق ذلك من أحداث بعيدة كل البعد عن التيارات المذهبية و مستند لأوثق المصادر التاريخية، آملا أن أكون قد ساهمت في إبراز التاريخ الإسلامي على واقعه من دون تحيز أو تقليد..

و الله ولي التوفيق النجف الأشرف باقر شريف القرشي ٢٠ / ربيع الأول / ١٤١٨ هـ

ص: ٧

مع النبي

اشاره

في جهاده و غزواته

ص: ٩

تبني النبي صلى الله عليه وآله بصورة إيجابيه الدعوه إلى السلم و تحرير الإنسان من ويلات الحروب و مآثم الحياه، و قد انطلقت دعوته المشرقه من مكه التي كانت مركزا للقوى الجاهليه المتمثله فى القرشيين الذين انطوت أفكارهم على الجهل و الغطرسة و الأنانيه فورمت آنافهم و انتفخ سحرهم و هتّوا لمناجزه رسول الله صلى الله عليه وآله و تعذيب من آمن به من المستضعفين حتى اضطرّوا إلى الهجره للحبشه للتخلص من عنف القرشيين و اضطهادهم، و كان النبي صلى الله عليه وآله محتميا بعمة شيخ البطحاء و مؤمن قريش أبى طالب، و لما انتقل إلى حضيره القدس لم يجد النبي ركنا يأوى إليه، فاجتمعت قريش على قتله - كما تحدّثنا عن ذلك فى البحوث السابقه -، فهاجر إلى يثرب فوجد فى أهلها الحمايه و الإيمان بدعوته و الاستجابه لنصرته، و قامت قيامه القرشيين و فزعوا كأشدّ ما يكون الفزع، فأجمع رأيهم على شنّ الحرب عليه بلا هواده، و تسخير جميع إمكانياتهم الاقتصاديه لمناجزته و إطفاء نور رسالته.

و وقف الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله يحميه و يذبّ عنه فى جميع الحروب التي شتتها عليه قريش، و قد أسند إليه قياده جيشه، و جعله رافعا للواءه، و قد لازمه الإمام فى غزواته التي كان الغرض منها رفع كلمه الله و تحرير إرادته الإنسان و فكره من عباده الأوثان و الأصنام التي هى من الأوبئه على الفكر، و من الأمراض الخطره التي تلحق الإنسان بقافله الحيوان السائم، و تصدّه عن الطريق القويم.

و على أى حال فإننا نعرض للحروب و بعض الغزوات التي خاضها الإمام مع

النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله دافعاً عن كلمه الإسلام و رافعاً لرايه التوحيد، و فيما يلي ذلك:

واقعه بدر:

اشاره

سجّلت واقعه بدر [١] نصراً مبيناً للإسلام، و فتحة عظيمة للمسلمين، و ضربه حاسمه لأئمة الكفر و الضلال من الطغاه القرشيين و جابرتهم، لقد أعزّ الله عبده و رسوله محمّداً صَلَّى اللهُ عليه و آله بواقعه بدر، و أذلّ أعداءه، و أظهر دينه، و دفع كلمته، و كان البطل البارز في تلك المعركة هو الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، فقد كان سيفه منجل الموت الذي حصد رؤوس المشركين، و عتاه الملحدين من القرشيين... و نتحدّث - بإيجاز - عن بعض فصول هذه المعركة:

استنجد أبو سفيان بقريش:

كان أبو سفيان - العدوّ الأول للإسلام - قد خرج إلى الشام في تجاره له و معه سبعون شخصاً من قريش، و لما فضت تجارتهم و اشتروا من البضائع ما يريدون قفلوا راجعين إلى مكّه، و علم النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله بقدمهم فنذب إليهم أصحابه لمصادره بضائعهم و أموالهم، و ذلك لإضعافهم اقتصادياً حتى لا يتمكنوا من مناجزته، و علم أبو سفيان ذلك فاستنجد بالقبائل القرشيه و طلب منها حمايتهم و حمايه بضائعهم و أموالهم، فهبّت قريش لنجده، و سلك أبو سفيان طريقاً غير الطريق العامّ فنجا من قبضه المسلمين، و زحف النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله بمن معه من المسلمين للإلقاء القبض على أبي سفيان، و عسكر بجيشه ببدر.

رؤيا عاتكه:

رأت السيده عاتكه بنت عبد المطلب في منامها رؤيا أفرعتها فسارعت إلى

أخيها العباس بن عبد المطلب فقصتها عليه قائله:

إني رأيت الليلة رؤيا أفرعتني..

و سارع العباس قائلاً:

ما رأيت ؟ و أخذت تقصّ عليه رؤياها بفرع و خوف قائله:

إني أتخوّف أن يدخل على قومك منها شرّ عظيم فاكم مني ما أحدثك به.

أفعل ذلك و لا أحدث به.

و لما ضمن لها أن لا يذيع رؤيتها بين قريش أخذت تحدّثه بها قائله:

رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته:

ألا انفروا يا آل نجد لمصارعكم، فأرى الناس اجتمعوا إليه.. ثم أخذ صخره فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكّه و لا دار إلا دخلتها منها فلقه..

و فرع العباس من هذه الرؤيا التي تنبئ بالخطر العظيم على أهالي مكّه، و لم يستطع كتمانها، فقد ضاق صدره منها و راح يشيعها و يتحدّث بها إلى الناس، و وصل خبرها إلى أبي جهل، فانطلق إلى العباس و قال ساخراً: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم.. [١].

و صدقت رؤيا عاتكه، فقد حلّ بالقرشيين الدمار الشامل، فقد كانت واقعه بدر التي نشرت في بيوتهم الشك و الحزن و الحداد، و خيم عليها الذلّ و الهوان.

نصيحه عتبه بن ربيعه:

و قبل أن تندلع نار الحرب أشار عتبه بن ربيعه على قومه القرشيين بعدم

مناجزة الرسول صَلَّى اللهُ عليه وآله ونهاهم عن فتح باب الحرب مع المسلمين قائلا:

إني أرى قوما مستميتين لا- تصلون إليهم.. يا قوم، اعصبوها اليوم برأسي و قولوا: جبن عتبة بن ربيعة، ولقد علمتم أنني لست بأجبنكم..

و سمع أبو جهل نصيحة عتبة فاستشاط غضبا و غيظا و صاح به:

أنت تقول هذا؟ و الله! لو غيرك يقول هذا لعضضته، لقد ملئت رثك و جوفك رعبا..

و يردّ عليه عتبة بعنف قائلا:

إياي تعير يا مصفرا استه [١] ستعلم اليوم أننا أجبن ؟ [٢]

و نظر النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله إلى عتبة، و كان على جمل أحمر، فرأى في وجهه الرشد و الخير، فقال لأصحابه: «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا...» [٣].

و لم تصغ قریش لنصيحه عتبة، و مضت سادره في غيها و جهلها، و صممت على مناجزة النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله، و نظر أبو جهل إلى قلب أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله فاستضعفهم و استهان بهم و قال: إن محمدا و أصحابه أكله جزور... [٤].

سقاية الإمام للجيش:

و أصاب الجيش الإسلامي ظمأ في بدر فانبرى الإمام عليه السلام إلى القليب و جاء

بالماء حتى أروى المسلمين [١].

دعاء النبي للأنصار:

و نظر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله إِلَى الْأَنْصَارِ وَ هُمْ يَتَعَاقِبُونَ فِي الْحَمْلِ عَلَى النَّوْقِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَكْفِيهِمْ، فَدَعَا لَهُمْ

و قال:

«اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ حَفَاهُ فَاحْمِلْهُمْ، وَ عَرَاهُ فَارْكَسْهُمْ، وَ جِياعَ فَأَشْبِعْهُمْ، وَ عَالَهَ فَأَغْنِهِمْ مِنْ فَضْلِكَ».

و استجاب الله تعالى دعاء نبيه العظيم، فما انتهت معركة بدر إلا وجد كل واحد منهم بعيرا معتليه، و اكتسى منهم كل عار، و أصابوا الطعام من متاع قريش، و أصابوا فداء الأسرى فاغتنى به كل عائل منهم [٢].

دعاء النبي على قريش:

و أنفق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لَيْلَهُ سَاهِرًا يَصَلِّي إِلَى جَانِبِ شَجَرِهِ، وَ قَدْ نَامَ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هُوَ، كَمَا حَدَّثَ بِذَلِكَ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

و كان يدعو الله تعالى بهذا الدعاء:

«اللَّهُمَّ هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيْلَانِهَا وَ فخرها تحاربك و تكذب رسولك، اللَّهُمَّ فَانصرك العذى وعدتني، اللَّهُمَّ أَحَقِّهِمْ [٣] الغداة...» [٤].

النبي مع أصحابه:

و أخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يُلْهِمُ أَصْحَابَهُ الْقُوَّةَ وَ النِّشَاطَ قَائِلًا لَهُمْ:

ص: ١٥

«وَأَلْهَى نَفْسَ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يُقَاتِلُهُمْ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ». و بعثت هذه الكلمات في نفوسهم العزم، فاندفعوا كالأسود لمناجزة أعداء الله.

المعركة:

بدأت المعركة صباح يوم الجمعة في اليوم السابع عشر من رمضان المبارك سنة (٢٠٥ هـ)، المصادف ١٥ كانون الثاني سنة ٦٢٤ م، وقد فتح القرشيون باب الحرب، فبرز منهم عتبة بن ربيعة وشيبة والوليد، وهم أبطال قريش و طليعه فرسانهم، و برز إليهم فتيان من الأنصار فاحتقرهم عتبة و أخذته العزّة بالإثم فقال لهم: لا- نريد هؤلاء، و لكن نريد أن يبارزنا بنو أعمامنا من بنى عبد المطلب، فندب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِمَبَارَزَتِهِمْ عبيده و عليا و حمزه، و برز حمزه لعتبه، و عبيده لشيبة، و عليّ للوليد [١].

أمّا الإمام عليّ و حمزه فكلّ منهما قتل صاحبه، و أمّا عبيده و عتبة بن ربيعة فقد اختلفا بضربتين، و أثبت كلّ منهما سيفه في رأس صاحبه، فكّر عليه الإمام و حمزه بأسيافهما و تركاه جثه هامده [٢]، و اشتدّت الحرب، و كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من أشدّ الناس بأسا و من أقرب جيشه إلى العدو، و كان المسلمون يلوذون به كما حدّث بذلك الإمام عليه السّلام [٣]، و بان الانكسار في صفوف القرشيين و انهارت معنوياتهم و انهزموا شرّ هزيمة.

بساله الإمام:

و أبدى الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام من البساله و الصمود ما لا يوصف، فكان

القوّه الضاربه فى جيش الرسول صلّى الله عليه وآله، فقد غاص فى أوساط القرشيين يحصد رءوسهم و يشيع فيهم القتل و الدمار، و قد بهرت ملائكه السماء من بسالته، و

نادى جبرئيل: «لا سيف إلا ذو الفقار [١]، و لا فتى إلا على» [٢].

و كتب الله النصر المبين للإسلام على يد الإمام القائد الملهم العظيم الذى أذلّ القرشيين و أخزاهم و ألحق بهم الهزيمة و العار.

أسماء من قتلهم الإمام:

من المؤكّد أنه لم يكن بيت من بيوت القرشيين لم ينله سيف الإمام عليه السّلام فى تلك المعركة، و هذه أسماء من حصد رءوسهم و هم:

١ - الوليد بن عتبه، كان جريئاً فتاكاً تهابه الرجال، و هو أخو هند أم معاويه و زوجته أبى سفيان.

٢ - حنظله بن أبى سفيان.

٣ - العاص بن سعيد، و كان هولاً تهابه الأبطال.

٤ - نوفل بن خويلد، و كان من أشدّ المشركين عداوه لرسول الله صلّى الله عليه وآله، و كانت قريش تقدّمه و تعظّمه و تطيعه، و هو من بنى نوفل بن عبد مناف.

٥ - زمعه بن الأسود.

٦ - النضر بن الحارث بن كلده من بنى عبد الدار.

٧ - طعيمه بن عدى بن نوفل، كان من رءوس أهل الضلال.

٨ - عمير بن عثمان بن كعب بن تميم عمّ طلحه بن عبيد الله.

- ٩ - عثمان بن عبيد الله.
- ١٠ - مالك بن عبيد الله أخو عثمان.
- ١١ - مسعود بن أمية بن المغيرة من بني مخزوم.
- ١٢ - حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة.
- ١٣ - قيس بن الفاكه بن المغيرة.
- ١٤ - أبو قيس بن الوليد بن المغيرة.
- ١٥ - عمر بن مخزوم.
- ١٦ - الحارث بن زمعه.
- ١٧ - أبو المنذر بن أبي رفاعه.
- ١٨ - منبه بن الحجاج السهمي.
- ١٩ - العاص بن منبه من بني سهم.
- ٢٠ - علقمه بن كلده.
- ٢١ - أبو العاص بن قيس بن عدى.
- ٢٢ - معاوية بن المغيرة بن أبي العاص.
- ٢٣ - لوذان بن ربيعه.
- ٢٤ - عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعه.
- ٢٥ - حاجب بن السائب بن عويم.
- ٢٦ - أوس بن المغيرة بن لوذان.
- ٢٧ - زيد بن مليص.
- ٢٨ - غانم بن أبي عويف.

٢٩ - سعيد بن وهب حليف بنى عامر.

٣٠ - معاوية بن عامر بن عبد القيس.

ص: ١٨

٣١ - السائب بن مالك.

٣٢ - عبد الله بن جميل بن زهير الحارث بن أسد.

٣٣ - أبو الحكم بن الأحنس.

٣٤ - هشام بن أبي أمية بن المغيرة [١].

هؤلاء الذين حصد رءوسهم الإمام عليه السلام بسيفه في سبيل الإسلام.

وقوف النبي على قتلى بدر:

وقف النبي صلى الله عليه وآله على قتلى بدر فتأملهم، و تذكر ما عاناه منهم من صنوف التنكيل و الارهاق، و خاطبهم بقوله:

«يا أهل القليب! يا عتبة بن ربيعة، و يا شبيهه بن ربيعة! و يا أمية بن خلف! و يا أبا جهل بن هشام...».

و عدّد عصابه من الذين بالغوا في التنكيل به،

ثم قال لهم: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا».

و بهر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله من خطابه للقتلى فقالوا له:

يا رسول الله، أ تنادى قوما قد جيفوا؟ فأجابهم الرسول:

«و ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، و لكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني» [٢]. إن الأرواح لا تفتنى، و إنما الأجسام تبلى، و تعود إلى عنصرها الذي تكوّنت منه، هذا ما أعلنه الرسول.

الأسرى من قريش:

و وقع سبعون أسيرا من قريش [١] بأيدي القوات المسلّحة من جيش الرسول، فأخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ بَعْضِهِمُ الْجَزِيهَ وَأَطْلَقَ سَرَاحَهُمْ، وَ مِنْ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ دَفْعِ الْجَزِيهَ وَ كَانَ يَحْسُنُ الْقِرَاءَةَ وَ الْكِتَابَةَ أَمْرَهُ أَنْ يَعْلَمَ أَبْنَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِدَلِّ الْجَزِيهَ، وَ بِذَلِكَ أَقَامَ النَّبِيُّ أَوَّلَ صَرْحٍ فِي عَاصِمَتِهِ لِمَحْوِ الْإِمِيهَ.

حزن القرشيين على قتلاهم:

وَ حَزَنَ الْقُرَشِيُّونَ كَأَشَدِّ مَا يَكُونُ الْحَزَنُ عَلَى قَتْلِهِمْ، وَ كَانَ حَزْنُهُمْ كَأَمْنًا فِي نَفْسِهِمْ، فَقَدْ نَذَرَ أَبُو سَفْيَانَ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهُ مَاءٌ مِنْ جَنَابِهِ، وَ أَمَّا زَوْجُهُ هِنْدٌ فَقَدْ هَامَتْ فِي تِيَارَاتِ مِنَ الْحَزَنِ وَ كَتَمَتْ حَزْنَهَا عَلَى أَهْلِ بَيْتِهَا، وَ قَالَتْ: كَيْفَ أَبْكِيهِمْ فَيَبْلُغَ مُحَمَّدًا وَ أَصْحَابَهُ فَيَشْتَمُوا بَنِي، لَا وَ اللَّهِ! حَتَّى أَثَارَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَ أَصْحَابِهِ، وَ الدَّهْنَ عَلَى حَرَامٍ حَتَّى نَغْزُوا مُحَمَّدًا...

لقد ترك قتلى بدر لوعه في نفوس القرشيين، و قد رثاهم بعض شعرائهم بقوله:

فما ذا بالقلب قلب بدر من الفتيان و القوم الكرام

و ما ذا بالقلب قلب بدر من الشيرى [٢] ثكل بالسنام [٣]

وَ ظَلَّتْ قَرِيشٌ حَاقِدَةً عَلَى الْإِمَامِ حَتَّى بَعْدَ مَا أُعْلِنَتِ الْإِسْلَامُ وَ بُوِيَعَ الْإِمَامُ بِالْخِلَافَةِ، فَقَدْ نَظَّمَ أُسَيْدُ بْنُ إِيَاسٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ يَحْرِضُ قَرِيشًا عَلَى مَنَاهِضَةِ الْإِمَامِ وَ نَكْتِ بَيْعَتِهِ قَائِلًا:

فى كلّ مجمع غايه أخراكم جذع أبرّ على المذاكى القرّح [١]

لله درّكم ألما تنكروا قد يذكر الحرّ الكريم و يستحى

هذا ابن فاطمه [٢] الذى أفناكم ذبحا و بقتله بعضه لم يذبح

أعطوه خرّجا و اتقوا تضريه فعل الدليل و بيعه لم تريح

أين الكهول و أين كلّ دعامة فى المعضلات و أين زين الأبطح

أفناهم قصعا [٣] و ضربا يفتري بالسيف يعمل حدّه لم يصفح

لقد سقا الإمام بطل الإسلام القرشيين أخزاهم الله كأسا مصبره، و أشاع فى بيوتهم الشكل و الحزن و الحداد، و أورثهم الذلّ و العار لأنهم أعداء الإسلام و خصومه الذين جهدوا على لفّ لواء الإسلام و إطفاء كلمه التوحيد.

انتصار الإسلام:

و انتصر الإسلام انتصارا رائعا فى واقعه بدر و قويت شوكة المسلمين و أكسبتهم قوه هائله، فهى أمّ الفتوح، كما شجعتهم على الخوض فى المعارك التى يشنّها عليهم أعداء الإسلام..

لقد انتهت معركة بدر و كان البطل البارز فيها أسد الله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان سيفه منجل الموت الذى أرففه على رقاب القرشيين الذين ما آمنوا بالله طرفه عين حتى بعد إعلانهم المزيف للإسلام، فقد أخذوا يكيدون له فى وضح النهار و فى غلس الليل، و جميع ما عاناه المسلمون و ابتلوا به من الأزمات كانت من صنع القرشيين و تدبيرهم، و من الجدير بالذكر أنّ اقتران الإمام عليه السلام بسيدته نساء

العالمين زهراء الرسول عليها السلام كانت بعد واقعه بدر المجيده، و قد عرضنا لها فصلا خاصا.

واقعه أحد:

اشاره

و استقبلت قريش نبأ هزيمتهم المنكره و خسائرهم الفادحه فى معركة بدر بمزيد من الأسى و اللوعه، و ساد فى أوساطهم حزن عميق و أسى مرير، و قد حرّمت هند أمّ معاويه على القرشيين نساء و رجالا- البكاء على قتلاهم حتى يظلّ الحزن كامنا فى نفوسهم لا يطفئه إلاّ طلب الثأر لقتلاهم و الانتقام من المسلمين.

و كان أبو سفيان قائد قريش فى واقعه أحد و الزعيم الأول فى هذه المعركه، إنّ أبا سفيان جاهلى بجميع معانى هذه الكلمه، لا يحمل فى أعماق نفسه أى معنى من القيم الإنسانيه و لم يؤمن بالله طرفه عين، فأخذ يؤلّب الجماهير و يحرض القبائل على حرب رسول الله صلّى الله عليه و آله، و يجمع الأموال فيشتري بها السلاح و العتاد لحرب المسلمين، و قد استجابت له جماهير القرشيين الذين أترعت نفوسهم بالحقد و العداة للرسول، فقد خرجوا بحدّهم و جدّهم و حديدتهم و أحابيشهم و من تابعهم لحرب النبيّ صلّى الله عليه و آله و صحبوا معهم نساءهم حتى يخلصوا فى الحرب، و قد قادت النساء هند أمّ معاويه، و كنّ يضربن بالدفوف و يبعثن الحماس فى نفوس أزواجهنّ و أبنائهنّ و هن يمشدن:

ويها بنى عبد الدار وبها حماه الأديار

ضربا بكل بّار

و كان صوت هند يعلو أصواتهن، و أخذت تخاطب قومها:

إن تقبلوا نعانق و نفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

ص: ٢٢

لقد قادت أمّ معاوية النساء و قاد زوجها الرجال لحرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و هما يحملان أرجاس المردة و الطغاه و الممسوخين من القبائل القرشيه التي جهدت على إطفاء نور الله و إقصاء الخير عن الناس.

الحرب:

و كانت جيوش المشركين ثلاثة آلاف، و جيوش المسلمين سبعمائه مقاتل، و يتقدّم جيوش المشركين طلحه بن أبي طلحه و بيده اللواء، و قد رفع عقيرته قائلاً:

يا أصحاب محمّد، تزعمون أنّ الله يعجّلنا بأسيافكم إلى النار، و يعجّلكم بأسيافنا إلى الجنّه، فأأيكم يبرز لي؟ فبرز إليه بطل الإسلام و أسد الله الإمام

أمير المؤمنين عليه السّلام قائلاً:

«و الله! لا افارقك حتّى اعجلك بسيفي إلى النار».

و بادره الإمام بضربه فبرى بها رجله، فسقط إلى الأرض يتخبّط بدمه، و أراد الإمام أن يجهز عليه، فناشده الله و الرحم أن يتركه، فتركه، و لم يلبث إلّا- ساعه حتى هلك، و فرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بهلاكه، كما عمّت الفرحة جميع المسلمين [١]، فقد كان من أبطال القرشيين، و كان يسمّى كبش الكتيبه لشجاعته، و قد انخذل المشركون و وهنوا لقتله و بانته الهزيمة في صفوفهم، و أخذ اللواء من بعده أبطال القرشيين فأرداهم الإمام قتلى، و كانت هند في وسط المعسكر و هى تلهب في نفوس الجيش العزيزه لمحاربه المسلمين، و إذا انهزم رجل من قريش دفعت له ميلا و مكحله و قالت له:

إنّما أنت امرأه فاكتحل بهذا... [٢] و من صور تلك المعركة أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله منح أبا دجانة، و هو من خيار الصحابه

سيفا و لم يعطه للزبير، و قد ضاق الزبير ذرعا من ذلك، و راح ينظر ما يصنع به أبو دجانة، فقد أخرج عصابه حمراء فتعصّب بها، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابه الموت و برز إلى ميدان الحرب و هو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي و نحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكسول أفرّ بسيف الله و الرسول [١]

و أعرب بهذا الشعر عن بسالته و صلابه عزمه في الذبّ عن الرسول صلّى الله عليه و آله، و جعل أبو دجانة ينشر الموت بين صفوف القرشيين، و حمل على هند أمّ معاوية حتى بلغ سيفه مفرق رأسها إلاّ أنّه عدل عن ذلك ترفّعا منه، و لمّا نظر الزبير إلى شجاعه أبي دجانة استصوب رأى النبيّ صلّى الله عليه و آله.

هزيمة المسلمين:

من المؤسف حقّا أنّ المسلمين منوا بهزيمة ساحقه و خسائر فادحة كادت تلفّ لواء الإسلام، و ذلك من جرّاء مخالفه فرقه في الجيش الإسلامي للمخططات الحربية التي وضعها الرسول صلّى الله عليه و آله و ألزمهم بتنفيذها، فقد وضع كتيبه من الرماة على جبل بقيادة عبد الله بن جبير [٢] لتحمي المسلمين من خلفهم، و شدّد عليها أن لا تتخلّف عن مواقعها، و قد وجّه الرماة سهامهم و نبالهم صوب معسكر قريش فأنزلوا بها خسائر فادحة في الأرواح، و انهزمت قريش تاركه وراءها أمتعتها و سلاحها، و أقبل المسلمون على نهبها، فلمّا رأى الرماة ذلك ترك بعضهم مكانه و انسابوا ينهبون الأمتعة مخالفين الأوامر المشدّدة من النبيّ صلّى الله عليه و آله في لزوم الإقامة بمواضعهم.

و بصر خالد بن الوليد ذلك فحمل على من بقى في الجبل من الرماة فقتلهم

و حمل على أصحاب النبي من خلفهم فهزمهم و قتل جماعه منهم.. و أباد جيش المشركين معظم قادة الجيش الإسلامي، و استهدف المشركون بصورة خاصه حياه الرسول صلى الله عليه و آله، فقد أصيب بجروح بالغه، فكسرت رباعيته و شقت شفته، و جعل الدم يسيل على وجه الشريف و هو يمسه

و يقول:

«كيف يفلح قوم خضّ بوا وجه نبيهم و هو يدعوهم إلى الله» [١]! و أحاط اللثام الحقراء من القرشيين بالنبي صلى الله عليه و آله يريدون الإجهاز عليه، و كان على رأسهم أبو سفيان و هو يحرضهم على قتل الرسول، و أمر شخصا فنادى أن محمدا قد قتل، ففرّ المسلمون، و حاول بعض كبار الصحابه من الفارين أن يكتب لأبي سفيان طالبين منه الأمان.

مصرع الشهيد حمزه:

و أبدى الشهيد الخالد حمزه بن عبد المطلب من البساله ما لا يوصف، فقد وقف كالجبل الأشمّ محاميا عن رسول الله صلى الله عليه و آله، و هو يجندل الأبطال و يروى الأرض من دماء الكفره الملحدين، قد سخر من الموت و وهب حياته لله رب العالمين.

و نظر إليه الوغد الأثيم و حشى و هو يهدّ الناس بسيفه فهزّ حربته و وجهها صوبه فأصابته فى لبتة و خرجت من بين رجلية، و وقع البطل العظيم على الأرض صريعا يتخبط بدمه، و لم يلبث قليلا حتى فارق الحياه [٢]، و خسر المسلمون ألمع قائد لهم، و كانت شهادته من أفدح النكبات التى واجهها الرسول صلى الله عليه و آله، فسلام الله عليه من شهيد محتسب، و سلام عليه يوم ولد و يوم استشهد و يوم يبعث حيّا.

و كان مصعب فتى قريش آمن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إيماناً نفذ إلى أعماق قلبه و دخائل نفسه، و تعرّض إلى أعنف ألوان التعذيب، و قد بعثه النبي إلى يثرب مبشّراً بالدين الإسلامي و داعياً إلى الله، و قد أسلم الكثيرون من المدنّيين على يده.. و كان أحد القادة في جيش الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في معركة أحد، و قد قتله ابن قمنه ظاناً أنّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و قد رفع عقيرته قائلاً: قتلت محمّداً، و قد خسرت القيادة الإسلاميّة في جيش الرسول أنبل قائد فيها، رحمه الله و أجزل له المزيد من الأجر، فما أعظم عائده على الإسلام [١]!

حمایه الإمام للنبي :

و توالى الهزائم المنكره في جيش المسلمين، و فرّ معظمهم يطاردهم الفرع و الخوف، و زاد في رعبهم نداء أبي سفيان أنّ محمّداً قد قتل.. و تركوا النبي و قد أحاط به أعداء الله، و قد أصيب بجروح بالغه و قد وقع في حفرة عملها أبو عامر و أخفاها ليستقط فيها المسلمون من حيث لا يعلمون، و كان الإمام إلى جانبه فأخذ بيده و رفعه طلحه بن عبيد الله حتى استوى قائماً [٢]، و لم يبق مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلا نفر قليل في طليعتهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فالتفت إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال له:

«يا عليّ ، ما فعل النَّاسُ ؟».

فأجابه بأسى و مراره:

«نقضوا العهد و ولّوا الدّبر...».

و حملت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عصابه مجرمه من القرشيين، فضاقت منهم ذرعا فقال

لعلى: «اكفنى هؤلاء»، فحمل عليهم الإمام فكشفهم عنه، و حملت عليه كتيبه اخرى تقارب خمسين فارسا، فقال لعلى: «اكفنى هؤلاء» فحمل عليهم الإمام و كان راجلا فقتل أربعة من أبناء سفيان بن عوف، و سته من تلك الكتيبه، و قد زادها عن النبى صلى الله عليه و آله بعد جهد شاق.

و حملت على النبى صلى الله عليه و آله كتيبه فيها هشام بن أميه، فقتله الإمام، ففرت كتيبه، و حملت على النبى صلى الله عليه و آله كتيبه فيها بشر بن مالك، فقتله الإمام، و ولت كتيبه منهزمه...

و بهر جبرائيل من مواساه الإمام و جهاده و صبره فقال للنبي: «إن هذه المواساه قد عجت منها الملائكه»، فقال له النبي: «و ما يمنعه و هو منى و أنا منه؟» فقال جبرائيل: «و أنا منكما» [١].

و ظلّ الإمام صامدا فى تلك المعركه الرهيبه مدافعا عن رسول الله صلى الله عليه و آله و فاديا له بنفسه، و قد اصيب بست عشره ضربه كلّ ضربه تلزمه الأرض، و ما كان يرفعه إلا جبرائيل [٢]... ففى ذمه الإسلام ما لا قاه إمام المتقين و سيدّ الموحدين من المصاعب و الأهوال فى سبيل نشر دعوه الإسلام، و لولا له لما قام الإسلام على سوقه و لا ارتفعت له كلمه، و من المؤسف أنّ هذا العملاق العظيم و المجاهد الأوّل قد دفع عن مقامه و قرن بينه و بين أعضاء الشورى الذين ليس لهم سابقه الجهاد مثله.

تشفى هند:

و شفت هند غليلها و انطفأت جمره حقدّها حينما علمت بمصرع الشهيد حمزه، فسارعت تفتش عن جثته و هى مثلوجه الفؤاد ناعمه البال، فلما أبصرتها أقبلت عليها كالكلبه فمّلت بها شرّ تمثيل، فاستخرجت كبده فلاكته ثم لفظته،

و جدعت أنفه و اذنيه و جعلتهم قلاده لها، و اثر عنها من الشعر قد سجّلت فيه شكرها لوحشى قاتل حمزه و هو:

نحن جزيناكم بيوم بدر و الحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبه لى من صبر و لا أخی و عمّه و بكر

شفيت نفسى و قضيت نذرى شفيت يا وحشى غليل صدرى

فشكر وحشى على عمرى حتى ترم أعظمى فى قبرى

و حكى هذا الشعر خساسة طبعها و لؤم عنصرها، و قد مثلت هند بجثّه حمزه عمّ النبى شرّ تمثيل.

تشفى أبى سفيان:

و سارع الجاهلى أبو سفيان نحو ساحه المعركه يتفرّس فى وجوه شهداء المسلمين ليروى غليله، فرأى جثّه الشهيد حمزه التى مزّقتها هند، فطار سرورا و فرحا و قال بصوت تفيض منه الشماته و الأحقاد:

يا أبا عماره، دار الدهر، و حال الأمر، و اشتفت منكم نفسى.

ثم هزّ رمحه و طعن به شداق جثّه حمزه، و هو يردّد: ذق عقق... ذق عقق [١].

و ولى و هو ناعم البال قرير العين قد روى قلبه المترع بالشرك و الرذائل من زعيم الهاشميين و بطل الإسلام.

حزن النبى:

و وقف النبى صلّى الله عليه و آله على جثمان عمّه الذى مثلت به هند أقسى ألوان التمثيل فذابت نفسه أسى و حزنا كأشدّ ما يكون الحزن، و راح يقول مخاطبا عمّه:

«لن أصاب بمثلك أبدا، ما وقفت موقفا قط أغيظ إلي من هذا، لو لا أن تحزن صفيه و يكون سنه من بعدى لتركته حتى يكون في بطون السباع و حواصل الطيور، و لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لا مثلن بثلاثين رجلا منهم».

و انبرى المسلمون بلوعه و أسي قائلين:

و الله! لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثله أحد من العرب...

و نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه و آله يرشده إلى ما ينبغي له مع قريش، و كره له التمثيل بهم بهذه السعة، فقد رفع له هذه الآية: وَ إِنِّ عَاقِبَتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنَّ صَبْرَكُمْ لَهْوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ [١].

فعفا رسول الله صلى الله عليه و آله و صبر و نهى عن المثلة، و قال:

«إن المثلة حرام و لو بالكلب العقور».

لقد كانت معركة أحد المعركة الوحيدة التي هزم فيها المسلمون شر هزيمه، و قد قال ابن إسحاق: إن يوم أحد يوم بلاء و مصيبه و تمحيص اختبر الله به المؤمنين و محق به المنافقين ممن كان يظهر الإيمان بلسانه و هو مستخف بالكفر في قلبه، و يوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة [٢].

و قد أخبر النبي صلى الله عليه و آله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد انتهاء المعركة أنه لا يصيب المشركون من المسلمين مثل هذه المعركة حتى يفتح الله تعالى على المسلمين [٣].

ملاحقه النبى للقرشيين:

و لم يمكث النبى صلى الله عليه و آله فى يثرب إلا زمنا يسيرا بعد رجوعه من معركه أحد حتى أمر أصحابه أن ينفروا لحرب قريش، و خصّ طلبه بالذين اشتركوا معه فى الحرب بما فيهم الجرحى، و السبب فى ذلك أن يوهم على قريش أنه محتفظ بقوته حتى لا يكرّوا الرجعه إليه، و كانوا قد عزموا على ذلك، فلمّا وافتهم الأنباء بزحف النبى إليهم تناقلوا و تراجعوا عمّا صمّموا عليه، و كانت هذه الخطه من أروع الخطط السياسيه و الحربيه.

سرور القرشيين:

و رجعت قريش إلى مكّه و هى تعزف أبواق النصر بما حقّته من نصر على المسلمين و ما أوقعته فيهم من الخسائر الفادحه فى النفوس و الأموال، و كان من أعظم المسرورين أبو سفيان و زوجته هند و سائر بنى أميّه، فقد أخذوا ثأرهم من النبى صلى الله عليه و آله و ذلك بما سفكوه من دم عمّه حمزه و سائر الأبطال من المسلمين.

واقعه الخندق:

اشاره

أمّا واقعه الخندق فهى واقعه الأحزاب، سمّيت بذلك لتحرّب القبائل على حرب رسول الله صلى الله عليه و آله، و قد ضاق منها المسلمون ذرعا و ساد فيهم الرعب و الخوف، و ذلك لقوّه المشركين و انضمام اليهود إليهم، فقد كان عددهم عشره آلاف مقاتل و عدد جيش المسلمين ثلاثه آلاف مقاتل، و قد حكى القرآن الكريم مدى الفرع الذى أصاب المسلمين من أعدائهم قال تعالى: إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ [١]، و قد كتب الله تعالى النصر للإسلام

على يد الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، فهو الذى أحرز الفتح المبين... و تقدّم عرضاً موجزاً لهذه الواقعة التى خاضها الإمام عليه السّلام.

دور اليهود فى المعركة:

أمّا اليهود فكانوا العنصر الفعّال فى هذه المعركة، فقد خفّت منهم عصابة إلى القرشيين يحرضونهم على حرب النّبىّ صلّى الله عليه وآله، و يطلبون منهم الانضمام إليهم قائلين لهم:

إنّا سنكون معكم عليه حتى نستأصله...

و هتف القرشيتون قائلين:

يا معشر اليهود، إنكم أهل الكتاب الأوّل و العلم بما أصبحنا نختلف فيه، هو محمّد أ فدينا خير أم دينه ؟ و أسرع اليهود قائلين:

بل دينكم - و هو عبادة الأوثان و الأصنام - خير من دينه، و أنتم أولى بالحقّ منه...

و حكى القرآن الكريم هذه المحاوره، قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا - أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا. أمّ لَهُمْ نَصِيحٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا. أمّ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا [١].

إنّ اليهود فى جميع فترات تأريخهم أعداء الفكر و الحق و مصدر الفتنة فى

الأرض، و قد استجابت القوى الكافره من القرشيين لحرب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، كما استجابت قبائل غطفان و تجهزوا لحرب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

النبي مع نعيم:

أسلم نعيم على يد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله في تلك الفتره الرهيبه، و كان من زعماء غطفان، فقال للنبي: يا رسول الله، إني قد أسلمت و إن قومي لم يعلموا بإسلامي فأمرني بما شئت... فأمره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بتخذي القبائل عنه و خداعهم، فإن الحرب خدعه، و قام نعيم بن مسعود بدور إيجابي و فعال في تفتيت القوى المحاربه للنبي من اليهود و القرشيين، فقد انطلق إلى بني قريظه، و كان نديما لهم في الجاهليه فقال لهم:

يا بني قريظه، قد عرفتم ودي إياكم و الخاصه التي بيني و بينكم...

و هتفوا قائلين:

صدقت لست عندنا بمتهم.

و أشار عليهم بنصيحه قائلا:

إن قريشا و غطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم فيه أموالكم و أبناءكم و نساءكم، لا تقدرتون على تحوّل منه إلى غيره، و إن قريشا و غطفان جاءوا لحرب محمد و أصحابه، و قد ظاهرتموهم عليه، و بلدهم و أموالهم و نساءهم بغيره، فإن رأوا نهزه أصابوها [١]، و إن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم و خلّوا بينكم و بين الرجل ببلدكم و لا- طاقه لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقه لكم على أن تقاتلوا محمدا حتى تناجزوه...

و هتفوا جميعا:

ص: ٣٢

أشرت بالرأى...

و مضى إلى قريش فقال لأبى سفيان و من معه من زعماء قريش: قد عرفتم ودى لكم و فراقى محمدا، و إنه بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم فاكنموا عني.

و طفقوا قائلين:

نفعل ذلك.

إن اليهود قد ندموا على ما صنعوه مع محمد، و أرسلوا إليه أنهم قد ندموا على ما فعلوه، و إنه إذا يرضيه أن يأخذوا من أشرف قريش و غطفان جماعه و يسلموهم إليه ليضرب أعناقهم، ثم يكونوا معه... فإن بعثت لكم اليهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلا واحدا...

و أرسل أبو سفيان و رؤساء بنى غطفان إلى بنى قريظه عكرمه بن أبى جهل مع جماعه من قريش و غطفان فطلبوا منهم الالتحاق بهم لمحاربه رسول الله صلى الله عليه و آله فقالت بنو قريظه: لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا حتى نناجز محمدا... و رجعت الرسل إلى قريش و غطفان فأخبروهم بمقاله بنى قريظه، فصدقوا مقاله نعيم بن مسعود، و قالوا: لا نعطيهم أى واحد منا، و بذلك فقد تخلص المسلمون من يهود بنى قريظه، فلم ينضموا إلى قريش و لم يشركوا معهم فى حرب رسول الله [١].

حفر الخندق:

و لما علم النبي صلى الله عليه و آله خروج القرشيين و قبائل غطفان لحربه جمع أصحابه

ص: ٣٣

و أحاطهم علما بالأمر، و طلب منهم اتّخاذ أهّمّ وسيلة لصدّ العدوان عن المسلمين، فأشار عليه الصحابي الجليل سلمان المحمّدي بحفر الخندق حول المدينة ليمنع من وصول العدو لهم، و استصوب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله هذا الرأى، و قام مع أصحابه بحفر الخندق، و كانت خطّه حكيمة وقت المسلمين من شرّ أعدائهم، و وقفت قريش مذهوله لا حيله لها، فلم تقدر على اجتيازه و الوصول إلى محاربه المسلمين، و استخدمت النبال في حربها، و كان المسلمون يردّون عليهم بالمثل، و بقى التراشق بين الفريقين من دون أن تقع حرب عامّه.

مبارزه الإمام لعمرو:

و ضاقت القبائل القرشيه ذرعا من هذه المناوشات التي لم يحرزوا فيها نصرا، و التمسوا منهم مكانا ضيقا، فأقحموا خيولهم فيه و عبروا الخندق، كان منهم عمرو ابن عبد ودّ فارس قريش في الجاهليه و فارس كنانه، و هو مدجج بالسلاح كأنه القلعه فوق جواده، و اهتزّت الأرض من تيهه و زهوه و قوّه بدنه، و ساد الوجوم بين المسلمين و عمّ فيهم الرعب و تهيبوه، و جعل يصول و يجول أمامهم محتقرا لهم و قد رفع صوته قائلا:

يا رجال محمّد، هل من مبارز؟ و خلعت قلوب المسلمين، فكان كالصاعقه عليهم.

و هتف ثانيا:

ألا رجل يبارز؟ و لبى نداءه حامى الإسلام و بطل المسلمين الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام قائلا:

«أنا له يا رسول الله...!» و كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ضنينا على ابن عمّه، فقال للإمام:

«إنه عمرو».

و جلس الإمام عليه السلام ممثلاً لأمر النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله، و عاد عمرو ساخراً من المسلمين قائلاً لهم:

يا أصحاب محمد، أين جنتكم التي زعمتم أنكم داخلوها إذا قتلتم؟ ألا يريدونها رجل منكم؟ و لم يستجب أحد من المسلمين لنداء عمرو سوى الإمام، فأخذ يلح على النبي أن يأذن له، فأذن له النبي بعد إصراره و إلحاحه.

و قلده الرسول و ساماً من أعظم الأوسمة التي تقلدها الإمام حين

قال صَلَّى اللهُ عليه وآله:

«برز الإيمان كله إلى الشرك كله».

يا لها من كلمه خالده، فقد حدت الإمام بالإيمان بجميع رحابه و مفاهيمه، فهو الذي يحكيه.

و رفع النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله يديه بالدعاء مبتهلاً إلى الله تعالى قائلاً:

«اللهم إنك أخذت مني حمزه يوم أحد، و عبيده يوم بدر، فاحفظ اليوم عليا...

رب لا تدرني فرداً و أنت خير الوارثين...».

و برز الإمام مزهوا لم يخالجه رعب و لا خوف من عمرو بن عبد ودّ، و عجب عمرو من جرأه هذا الفتى و إقدامه على مناجزته، فقال له:

من أنت؟ فأجابه الإمام ساخراً منه:

«أنا علي بن أبي طالب».

فأشفق عليه عمرو و قال له:

قد كان أبوك صديقاً لي.

و لم يحفل الإمام بصداقه عمرو لأبيه و راح يقول له:

«يا عمرو، إنك عاهدت قومك ألا يدعوك رجل من قريش إلى خلال ثلاث إلا أجبتة؟...».

نعم، هذا عهدى.

«إنى أدعوك إلى الإسلام...».

و ضحك عمرو و قال للإمام بسخريه:

أ أترك دين آبائى، دع هذا عنك..

«أكفّ يدي عنك فلا أقتلك و ترجع؟».

و غضب عمرو و عجب من جرأه هذا الفتى عليه و قال له:

إذن تتحدّث العرب عن فرارى..

و عرض الإمام عليه الأمر الثالث فقال له:

«إنى أدعوك إلى التّزال؟» [١].

و عجب عمرو من جرأه الفتى و بسالته، فنزل عن فرسه و استلّ سيفه و ضرب رأس الإمام، فاستقبلها بدرقته فقدّها و نفذ السيف إلى رأس الإمام فشجّه، و أيقن المسلمون أنّ الإمام قد لاقى مصيره، و لكن الله تعالى نصره و حماه، فقد ضرب عمروا ضربه هدّته و سقط إلى الأرض يخور بدمه كما يخور الثور عند ذبحه.. و كبر الإمام، و كبر المسلمون، فقد انقصم ظهر الشرك و تفلّت قواه، و أحرز الإسلام النصر الحاسم على يد إمام المتّقين و بطل الإيمان،

و راح النّبىّ صلّى الله عليه و آله يقلّده و ساما مشرقا باقيا على امتداد التاريخ قائلا: «لمبارزه علىّ بن أبى طالب لعمر و بن عبد وّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمّتى إلى يوم القيامة» [٢].

و قال الصحابي الجليل حذيفه بن اليمان: لو قَسَمْتُ فضيله علىّ بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين أجمعهم لوسعتهم [١].

و قال عبد الله بن عباس في تفسير قوله تعالى: وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ [٢] قال: كفاهم بعليّ بن أبي طالب. و بكت قريش عمرو بن عبد ودّ لأنّ قتله كان هزيمه لهم، و قد رثاه سافح بن عبد مناف بن زهره بقوله:

عمرو بن عبد كان أوّل فارس جزع المزار و كان فارس يليل

سمح الخلائق ماجد ذو مرّه يبغى القتال بشكه لم ينكل

و اعتزّت اخت عمرو بالإمام قاتل أخيها لأنّه البطل الأوّل قى الجزيره، و لو كان قاتله غير الإمام لحزنت عليه كأشدّ ما يكون الحزن قالت:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكى عليه آخر الأبد

لكن قاتله من لا يعاب به من كان يدعى قديما بيضه البلد [٣]

و قتل الإمام عليه السّلام بطلا آخر من قريش و هو نوفل بن عبد الله، و سبّب ذلك هزيمه كبرى لقريش، و راح

النبيّ صلّى الله عليه و آله يقول له:

«الآن نغزوهم و لا يغزوننا» [٤].

و ولّت قريش منهزمه على أعقابها تجرّ رداء الخيبه و الخسران، قد منيت بهزيمه ساحقه و لم تربح أى شىء فى هذه المعركه و لم يخسر المسلمون فيها شيئا.

و بعد ما شاعت الهزائم الساحقه فى صفوف القرشيين و أخزاهم الله و أذلهم رأى النبى صلى الله عليه و آله بفكره الثاقب و رأيه الأصيل أنه لا يستقيم للمسلمين أمر و لا تسلم لهم دوله و لا تسود كلمه الإسلام فى الأرض مع وجود قوه اليهود، و هم من ألد أعداء الإسلام، و تلك القوه هى حصون خبير التى كانت مصنعا للأسلحه على اختلاف أنواعها من السيوف و الرماح و الدروع و الدبابات التى كانت تقذف بالماء الحار و الرصاص بعد إذابته، و هى من أخطر الأسلحه فى ذلك العصر، و كانت اليهود هى التى تمدّ القوى المحاربه للإسلام بالأسلحه... و زحف النبى صلى الله عليه و آله بجيشه لاحتلال حصون خبير، و أسند قياده جيشه لأبى بكر، فمضى، و لما أشرف على الحصون قوبل بالقذائف فرجع منهزما خائبا، و فى اليوم الثانى أسند النبى صلى الله عليه و آله قياده الجيش إلى عمر بن الخطّاب، فكان كصاحبه أبى بكر، فقفل راجعا منهزما، و ظلت الحصون مغلقة لم يمسيها أحد بسوء...

و بعد ما عجز الجيش من اقتحام الحصن أعلن النبى صلى الله عليه و آله أنه سيعين القائد الذى يفتح الله على يده قائلا:

«لأدفعنّ الزايه غدا إلى رجل يحبّ الله و رسوله، و يحبّه الله و رسوله، لا يرجع حتّى يفتح الله له»[٢].

و استشرف الجيش بفارغ الصبر ينتظرون القائد الملهم الذى يفتح الله على يده، و لم يظنّوا أنه الإمام؛ لأنه كان مصابا برمد، و لما اندلع نور الصباح دعاه

النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و كان معصبا على عينيه فأزاح العصابه عنه و سقا عينيه بريقه فبرئنا بالوقت،

و قال له: «خذ هذه الرايه حتّى يفتح الله عليك...».

و وصف حسان بن ثابت رمد الإمام و شفاءه من ريق النبي بقوله:

و كان على أرمدا العين يتغنى دواء فلم يحسس طبيبا مداويا

شفاه رسول الله منه بتفله فبورك مرقيا و بورك راقيا

و قال: سأعطى الرايه اليوم صارما كميا محبا للرسول مواليا

يحبّ إلهي و الإله يحبّه به يفتح الله الحصون الأوابيا

فأصفي بها دون البريه كلّها عليا و سمّاه الوزير المؤاخيا [١]

و وصف الشاعر الموهوب الأزرى الحادثه بقوله:

و له يوم خبير فتكات كبرت منظرا على من رآها

يوم قال النبي إنني لأعطي رايتي ليثها و حامى حماها

فاستطالت أعناق كلّ فريق ليروا أيّ ماجد يعطاها

فدعا أين وارث العلم و الحلم مجير الأيام من بأساها؟

أين ذو النجده الذي لو دعته في الثرايا مروعه لباها؟

فأتاه الوصي أرمدا عين فسقاه من ريقه فشفاهها

و مضى يطلب الصفوف فولّت عنه علما بأنه أمضاها [٢]

و استلم الإمام عليه السلام الرايه من النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و قال له:

«يا رسول الله، اقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا؟»، فقال له النبي: «انفذ على

رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله، فوالله! لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خيرا لك من أن يكون لك حمر النعم» [١].

وأسرع القائد العظيم مzhouا لم يختلج في قلبه رعب، و هو يلوح بلواء النصر متّجها نحو الحصن، فقلع بابه و تترّس بها [٢] و وقته من ضربات اليهود و قذائفهم، و دعر اليهود و أصابتهم أوبئه الخوف و فزعوا من هذا البطل الذي قلع باب حصنهم و تترّس بها.

مبارزه الإمام لمرحب:

و برز مرحب - و هو من أبطال اليهود و شجعانهم - صوب الإمام و عليه مغفر يمانى و حجر قد ثقبه مثل البيضه على رأسه، و هو يرتجز:

قد علمت خبير أنّى مرحب شاكى السلاح بطل مجرّب

إذا الليوث أقبلت تلتهب و استقبله حامى الإسلام و عليه جبّه حمراء فأجابه:

«أنا الذى سمّنى أمى حيدرته ضرغام آجام و ليث قسوره» [٣]

عبل الذراعين شديد القسوره كليث غابات كريبه المنظره [١]

أضرب بالسيف رقاب الكفره أكيلهم بالسيف كيل السندره» [٢]

و لم يختلف الرواه فى أنّ هذا الشعر للإمام [٣]، و قد حكى هذا الشعر قوّه بأس الإمام عليه السلام و شجاعته، و تقدّم إليه الإمام فبادره بضربه قدّت البيضه و المغفر و رأسه، و سقط إلى الأرض صريعا يتخبط بدمه، فأجهز عليه و تركه جثّه هامده، و بذلك فقد كتب الله النصر للإسلام، و فتحت حصون خيبر، و أذلّ اليهود و لقّنهم درسا قاسيا يذكرونه بأسى و لوعه على امتداد التاريخ.

و سرّ النبىّ صلّى الله عليه و آله سرورا بالغا بهذا النصر المبين الذى أعزّ الله به المسلمين و قهر أعداءهم اليهود، و صادف فى ذلك اليوم رجوع جعفر بن أبى طالب من الحبشه،

فقال صلّى الله عليه و آله: «ما أدرى بأيّهما أنا أسرّ أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر» [٤]؟

غزوه بنى قريظه:

اشاره

و بنو قريظه من شرائح اليهود الذين يشكّلون خطرا على المسلمين و يكيدونهم فى وضح النهار و غلس الليل، و قد هبط جبرئيل على رسول الله صلّى الله عليه و آله بأمر من الله تعالى أن ينازلهم الحرب و يستأصل شأفتهم [٥]، و خفّ النبىّ صلّى الله عليه و آله لحربهم، و قدّم الإمام أمير المؤمنين أمامه و هو يحمل رايته، فسار لهم، فلما دنا من

ص: ٤١

حصونهم سمع منهم مقالته قبيحه فى النبى؁ فرجع حتى التقى به و قال له: «يا رسول الله؁ لا- عليك أن لا- تدنو من هؤلاء- الأحياء»؁ فقال له: «لم أظنك سمعت منهم لى أذى؟»؁ قال: «نعم»؁ فقال النبى:

«لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئاً»... و حاصرهم النبى خمساً و عشرين ليله حتى جهدهم الحصار؁ و قذف الله فى قلوبهم الرعب.

نصيحه كعب لبني قريظه:

و أيقنت بنو قريظه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم الحرب فتقدّم إليهم كعب بن أسد بنصيحه لهم قائلاً:

يا معشر اليهود؁ قد نزل بكم من الأمر ما ترون؁ و إننى عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم؟ و هتفوا جميعاً ما هى؟ عرض عليهم نصيحته قائلاً:

نتابع هذا الرجل و نصدّقه؁ فوالله! لقد تبين لكم أنّه نبى مرسل؁ و أنّه للذى تجدونه فى كتابكم؁ فتأمنون على دمائكم و أموالكم و أبناءكم و نساءكم.

و أشار عليهم بنجاتهم و سلامتهم؁ إلّا أنّهم لم يستجيبوا له و ردّوا عليه قائلين:

لا نفارق حكم التوراه أبداً؁ و لا نستبدل به غيره..

و أشار عليهم ثانياً:

فإذا أبيت على هذه فلنقتل أبناءنا و نساءنا ثم نخرج إلى محمّد و أصحابه مصليين السيوف؁ لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا و بين محمّد؁ فإن نهلك فهلك و لم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه؁ و إن نظهر فلعمري لنجدن النساء و الأبناء...

و رفضوا هذا المقترح قائلين:

و نقتل هؤلاء المساكين فما خير للعيش بعدهم..

و اقترح عليهم ثالثا: فإن أبيتهم على هذه فإنّ الليله ليله السبت، و أنّه عسى أن يكون محمّد و أصحابه قد امنونا فيها، فانزلوا لعننا نصيب من محمّد و أصحابه غرّه..

و رفضوا ذلك و قالوا: نفسد سبتنا علينا، و نحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ.

و لم ينصاعوا لرأيه و أصروا على جهلهم [١].

نزولهم على حكم الرسول:

إشارة

و ضاق بنو قريظه ذرعا و سدّت عليهم جميع النوافذ فنزلوا على حكم رسول الله صلّى الله عليه و آله و ما يراه فيهم.

تحكيم سعد:

و أوكل النبي صلّى الله عليه و آله أمرهم إلى سعد بن معاذ، و كان من أجلاء الصحابه، لا- تأخذه في الله لومه لائم و كان جريحا، فحمل إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فقام إليه و سائر الصحابه تكريما و قالوا له:

يا أبا عمرو، إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قد أمر مواليك لتحكم فيهم..

فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله و ميثاقه، إنّ الحكم فيهم لما حكمت...

نعم.

و حكم سعد فيهم بقتل رجالهم و تقسيم أموالهم و سبي نسائهم و ذراريهم.

و هو حكم عادل في هؤلاء اليهود الذين هم مصدر فتنه و فساد في الأرض.

و أقرّ النبيّ صَلَّى اللهُ عليه و آله حكم سعد، و قال له:

«لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرفعه...» [١].

و نفذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حكم الاعدام في هؤلاء الأشرار، فقد حصد رءوسهم بسيفه.

غزوه بنى النضير:

و بنو النضير من فصائل اليهود الذين أترعت نفوسهم بالبغض و العداة إلى الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله، و قد سار إليهم في جماعه من أصحابه، في طليعتهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و ذلك لأخذ ديه منهم كانت قد اتّفق معهم عليها، و جلس النبيّ صَلَّى اللهُ عليه و آله إلى جانب جدار من بيوتهم، فخلا بعضهم ببعض و تأمروا على أن يلقي بعضهم صخره من السطح على رأس النبيّ، و استجاب عمرو بن جحاش لذلك، و أخذ معه الصخره، فنزل الوحي من السماء على النبيّ صَلَّى اللهُ عليه و آله يخبره بذلك، فسارع قائما و ترك أصحابه في مجالسهم و قفل راجعا إلى المدينة، و في ذلك يقول السبكي:

و جاءك الوحي بالذي أضمرت بنو النضيره و قد همّوا بإلقاء صخره [٢]

و سارع الإمام عليه السلام إلى اليهودي الذي حاول اغتيال الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله فقتله، و هربت العصابة التي معه، فطلب الامام من الرسول ملاحقتهم فأذن له، و زوّده بكوكبه من جيشه فلحقوهم قبل دخول حصنهم و قتلوهم، و كان ذلك السبب في فتح حصونهم، و انبرى جماعه من الشعراء كان منهم حسان بن ثابت فنظّموا في

شعرهم الحادته، و أثنوا على الإمام عليه السلام على ما بذله من جهد شاق في فتح حصون بني النضير.

غزوه وادى القرى:

ولما فتح النبي صلى الله عليه وآله حصون خيبر أتى وادى القرى، وقد سكنه اليهود، فعرض عليهم الإسلام فأبوا... و اختاروا قتاله، فقاتلهم المسلمون، و قتل منهم أحد عشر رجلا قد قتل الإمام بعضهم، و فتح الله للنبي صلى الله عليه وآله ديارهم، و غنم المسلمون أموالهم، و ترك لهم ما فى أيديهم من الأرض و النخيل، و عاملهم بها مثل معاملته لأهل الخيبر [١].

الإمام و فتح اليمن:

إشاره

و أرسل النبي صلى الله عليه وآله الإمام عليه و آله السلام مع كتبيه عسكريه إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام أو الحرب، و أخذ الإمام يجدد في السير لا يلوى على شىء لينفذ رساله الرسول صلى الله عليه وآله.

دعاء الإمام:

و كان الإمام عليه السلام قد دعا بهذا الدعاء الشريف حين توجهه إلى اليمن، و هذا نصه:

«اللهم إني أتوجه إليك بلا- ثقه منى بغيرك، و لا- رجاء يأوى بى إلا إليك، و لا قوه أتكل عليها، و لا حيله ألجأ إليها إلا طلب فضلك، و التعرض لرحمتك، و السكون إلى أحسن عادتك، و أنت أعلم بما سبق لى فى وجهى هذا ممّا أحبّ و أكره، فأئما أوقعت على فيه قدرتك، فمحمود فيه بلاؤك متّضح فيه قضاؤك، و أنت تمحو ما

تشاء و تثبت و عندك أم الكتاب.

اللهم فاصرف عني مقادير كل بلاء، و مقاصر كل لأواء، و أبسط علي كفا من رحمتك وسعه من فضلك، و لطفاً من عفوك حتى لا- أحب تعجيل ما أخرت و لا- تأخير ما عجلت، و ذلك مع ما أسألك أن تخلفني في أهلي و ولدي، و صروف حزانتى بأحسن ما خلفت به غائباً من المؤمنين فى تحصين كل عوره و ستر كل سيئه، و حط كل معصيه، و كفايه كل مكروه، و ارزقنى على ذلك شكرك و ذكرك، و حسن عبادتك، و الرضا بقضائك، يا ولئى المؤمنين، و اجعلنى و ما خولتني و ولدي، و رزقتنى من المؤمنين و المؤمنات فى حماك الذى لا يستباح، و ذمتك التى لا تخفر، و جوارك الذى لا يرام، و أمانك الذى لا ينقض، و سترك الذى لا يهتك، فإنه من كان فى حماك و ذمتك و جوارك و أمانك و سترك كان آمناً محفوظاً، و لا حول و لا قوه إلا بالله العلى « [١].

و حكى هذا الدعاء مدى اعتصام الإمام عليه السلام بالله تعالى و التجائه إليه و انقطاعه الكامل لإرادته و مشيئته.

إسلام همدان:

و انتهى الإمام مع الوفد العسكرى إلى اليمن و التقى بزعماء اليمانيين و جوههم، و عرض عليهم دعوه النبى صلى الله عليه و آله، و شرح لهم محاسن الإسلام و ما تنشده مبادئه من القيم الكريمة و المثل العليا، و قد بهر اليمانيون بكمال الإمام و فضله و أدبه فاستجابوا لدعوته، و أعلنت همدان بأسرها الإسلام و التمسك بقيمه، و بذلك فقد كان الإمام رسول السلام الذى نجح فى فتح اليمن بلا حرب [٢].

و كتب الله تعالى النصر المبين لعبده و رسوله محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، فقد أذلّ القوى المعاديه من القرشيين و اليهود، و امتدّت دولته على كثير من مناطق الجزيره العربيه، فقد سادت فيها كلمه الإسلام و رفعت عليها رايه التوحيد.

و قد رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أَنَّهُ لا يتحقّق له النصر الحاسم و الفتح المبين إلاّ بفتح مكّه التي هي قلعه الشرك و الإلحاد و التي حاربتة حينما كان فيها و حينما نزع عليها.

و سار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بجيش مكثّف قوامه عشره آلاف جندي مسلّح أو يزيد على ذلك، و هو مزوّد بجميع آلات الحرب، و قد أحاط أتجاهه إلى مكّه بكثير من الكتمان، فلم تعلم القطعات من جيشه أتجاهها، فقد خاف النبي أن تستعد قريش لمحاربتة إن علمت بمسيره جيوشه لاحتلال بلدهم فتراق الدماء في البلد الحرام، فأخفى ذلك عليهم حتى يفاجئهم بجيشه فلا يتمكنوا على مناهضته.

رساله حاطب لقريش:

و كتب حاطب بن أبي بلتعنه كتابا إلى قريش يخبرهم فيه بتوجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لاحتلال بلدهم، و أعطى الكتاب إلى امرأه و أوصاها بالكتمان الشديد، و جعل لها جعلا إن هي أوصلت الرساله إلى القرشيين، فجعلت الكتاب في شعر رأسها و أخفته حتى لا يعلم به أحد، و نزل الوحي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و أحاطه علما بالكتاب، فاستدعى أخاه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و الزبير بن العوّام و أمرهما بالقبض على المرأة و أخذ الكتاب منها، و سارع الإمام مع الزبير في السير حتى أدركا المرأة، فسألاها عن الكتاب، فأنكرت ذلك،

فصاح بها الإمام و زجرها قائلا:

«إني أحلف بالله ما كذب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و لا كذبنا، لتخرجن الكتاب أو لنكشفنك»، فاستولى عليها الرعب و خافت فأخرجت الكتاب من شعر رأسها

و أعطته للإمام، و خف الإمام مع الزبير مسرعين إلى النبي فسلماه الكتاب، فدعا بحاطب، فلما مثل عنده قال له:

«ما حملك على هذا؟».

و أبدى حاطب معاذيره للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قائلًا: يا رسول الله، إني مؤمن بالله و رسوله، ما غيرت و لا بدلت، و لكن ليس لي في قريش أصل و لا عشيره، فصانعتهم عليه».

و قبل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله معاذيره، و نزلت الآية الكريمة في حقه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ الْآيَةَ [١] « [٢].

في رحاب مكة:

و سارعت الجيوش الإسلامية لا تلوى على شيء حتى انتهت إلى مشارف مكة و أهلها غافلون لا يعلمون شيئًا، فقد أحاط النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله مسيرته بكثير من التعقيم حفظًا على السلام و عدم إراقه الدماء، و أمر النبي جيشه بجمع الحطب، فجمعت كميات هائلة، فلما اختلط الظلام أمر بإشعال النار فيه، فكان لهبها يرى في مكة، و فزع أبو سفيان و أوجس في نفسه خيفة منها، فقال لبديل بن ورقاء - و كان إلى جانبه -:

ما رأيت كالليله نيرانا قط؟ و بادر بديل قائلًا:

و هذه و الله! خزاعه حمشتها الحرب..

و سخر أبو سفيان منه و راح يقول له:

ص: ٤٨

خزاعه أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها و عسكرها.. و استولى عليه الفزع و الخوف، و اطمأنت نفسه أنّها جيوش المسلمين جاءت لاحتلال مكّه.

العباس و أبو سفيان:

و لما علم العباس بقدوم الجيوش الإسلاميه لاحتلال مكّه، أو جس في نفسه خيفه على قومه القرشيين، و أخذ يحدث نفسه قائلاً: و اصباح قريش، و الله! لئن دخل رسول الله صلّى الله عليه و آله مكّه عنوه قبل أن يأتوه فيستأمنوه أنّه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.. و جهد على أن يجد شخصاً فيأتى إلى مكّه فيخبر أهلها بمكان رسول الله صلّى الله عليه و آله فيخفّوا إليه ليطلبوا منه الأمان، و بينما هو غارق في تيار من الهواجس و الخوف على قومه إذ بصر بأبي سفيان فهتف به:

يا أبا حنظله...

و عرفه أبو سفيان فسارع قائلاً:

أبو الفضل..

نعم..

فداك أبى و أمى.

ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله في الناس و اصباح قريش...

و ذعر أبو سفيان و جمد دمه، و خاف على نفسه و قومه فبادر قائلاً:

ما الحيله فداك أبى و أمى؟ و سارع العباس يدلّه على الطريق الذى يحافظ به على دمه قائلاً له: و الله! لئن ظفر بك رسول الله صلّى الله عليه و آله ليضربنّ عنقك، فاركب على عجز هذه البغله حتى آتى بك إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فأستأمنه لك.

فأردفه خلفه، فكان كلّما مرّ على نار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا

رأوا بغله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قالوا: عمّ رسول الله، و بصر به عمر بن الخطاب فعرفه، فصاح:

هذا أبو سفيان عدوّ الله...

ثمّ صاح ثانيا:

الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد...، و وجم أبو سفيان و اضطربت خلجات قلبه و هام فى تيارات من الهواجس، و خاف على نفسه و قومه الذين لم يبقوا فى قاموس الإساءة و المكروه شيئا إلا صبّوه على النبىّ و أصحابه.

و جرت مناوشات كلاميه بين العباس و عمر فى شأن أبى سفيان، و بادر العباس إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَحَاطَهُ عِلْمًا بِأَسْرِ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ وَيَأْتِيَ بِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ، وَبَاتَ أَبُو سُفْيَانَ لَيْلَتَهُ مَعَ الْعَبَّاسِ وَهُوَ وَجِلٌ مُضْطَرِبٌ قَدْ أَنْفَقَ لَيْلَهُ سَاهِرًا.

أبو سفيان بين يدي النبىّ :

و لما اندلع نور الصبح أقبل العباس و معه أبو سفيان، فلما مثلاً أمام

النبىّ التفت إلى أبى سفيان فقال له:

«ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنّ لا إله إلا الله...؟».

و لم يعرض النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى ما عاناه من صنوف التنكيل و الاضطهاد من أبى سفيان و قومه، فقد أسدل الستار على ذلك لنشر الوثام و إفهامه بروح الإسلام التى لا تعرف الانتقام من الأعداء... و راح أبو سفيان يتصرّع إلى النبىّ و يطلب منه العفو قائلاً:

بأبى أنت و أمى، ما أحلمك و أكرمك و أوصلك، و الله! لقد ظننت أنّ لو كان مع الله إله غيره لأغنى عني..

و التفت إليه النبي بلطف و رفق قائلاً:

«ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟».

و لم يستطع أن يقرّ أبو سفيان بذلك، فقد أترعت نفسه بالكفر و الالحاد و النفاق، فلم يستطع أن يخفى ما انطوى عليه ضميره و راح يقول:

بأبي أنت و أمي، ما أحلمك و أكرمك و أوصلك، أما هذه فإنّ في النفس منها شيئاً حتى الآن...

و انبرى العباس لأبي سفيان ينذره و يتهدّده إن لم يستجب لدعوه الرسول قائلاً: ويحك أسلم و اشهد أن لا إله إلا الله و أنّ محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك..

و لم يجد الخبيث بداً فأعلن الإسلام بلسانه على كره خوفاً من حدّ السيف، و انطوى قلبه على الكفر و النفاق.

ألفاف النبي على أبي سفيان:

و وسعت رحمه النبي صلى الله عليه و آله أبا سفيان الذي هو ألدّ أعدائه و خصومه، و الذي أثار عليه الأحزاب و قاد الجيوش لحربه، فقبل إسلامه المزيف، و لم يقابله بالمثل، و قد أعطى النبي صلى الله عليه و آله بذلك مثلاً لرحمه الإسلام و إثارة للسلم.

و التفت العباس إلى النبي فطلب منه أن يسدى يداً على أبي سفيان قائلاً:

يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجل يحبّ الفخر فاجعل له شيئاً؟

و استجاب الرسول لدعوه العباس، و قال:

«نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن...».

و ربح أبو سفيان هذه الكرامه كما ربح لقومه العفو العام الذي لم يحدث له مثل في جميع فترات التاريخ، فقد غمرهم الرسول بألطفه و هم الذين جرّعوه ألوانا قاسيه من المحن و الخطوب.

أبو سفيان في مضيق الوادي:

و أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله العباس بحبس أبي سفيان في مضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمرّ عليه جنود الله فيراها حتى يحذر قريشا من مناهضه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و حبسه العباس في المضيق، و اجتازت عليه الكتائب و هي تحمل رايات النصر، و كلما مرّت عليه كتيبه سأل عنها فيعرّفه العباس بها، و اجتازت عليه كتيبه مدججه بالسلاح فقال للعباس:

يا عباس، من هذه؟ سليم..

ما لي و لسليم.

و اجتازت عليه كتيبه أخرى فقال للعباس:

يا عباس، ما هذه؟ مزينه..

ما لي و لمزينه..

و لما انتهت الكتائب مرّ عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله في كتيبه خضراء، و هي في منتهى القوّه، فقد شهرت السيوف على رأس الرسول، و أحاطت به صنديد أصحابه، فبهر أبو سفيان و قال للعباس:

من هذه الكتيبه؟ هذا رسول الله في المهاجرين و الأنصار...

ص: ٥٢

و لم يملك أبو سفيان إعجابه و راح يقول للعباس:

ما لأحد بهؤلاء قبل و لا طاقه... لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداه عظيما...

فردّ عليه العباس قائلا:

يا أبا سفيان، إنها النبوه...

فهزّ أبو سفيان رأسه العفن و قال بسخريه:

نعم إذن [١].

و ما كان هذا الجاهلي ليفقه الإسلام، و إنّما كان يفقه الملك و السلطان، ثمّ أمر النبيّ بإطلاق سراح أبي سفيان، فأطلق، و ولى إلى مكّه.

نداء أبي سفيان:

و انطلق أبو سفيان مسرعا يسبق الجيش إلى مكّه و هو رافع عقيرته ينادى بأعلى صوته:

يا معشر قريش، هذا محمّد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن..

فهبت قريش قائله:

و ما تغنى عنّا دارك؟ و هتف فيهم ثانيا:

من أغلق عليه بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن..

فسكن روع القرشيين و سارعوا إلى دورهم و إلى المسجد.

معارضة هند:

و انبرت هند زوج أبي سفيان و هي مذعوره قد ملأت نفسها بالألم و الحزن،

ص: ٥٣

فجعلت تثير عواطف القرشيين و تستهين بزوجها قائله: اقتلوا الحميت [١] الدنس قبح من طليعه قوم.

و راح أبو سفيان يحذّر قريشا من مغبه عصيانه و يحذّرهم من بطش المسلمين.

دخول النبي مَكّه:

و سارعت جيوش المسلمين لدخول مَكّه و هي فرحه مستبشره بهذا النصر، فإنّها لم تلق أيّه مقاومه من قريش، و قد حمل الرايه سعد بن عباده، و هو يلوّح بها في الفضاء و يهتف: اليوم يوم الملحمه، اليوم تستحلّ الحرمه..

فسمعها عمر بن الخطّاب - كما يقول ابن هشام - فسارع إلى النبي صلّى الله عليه و آله قائلا:

يا رسول الله، اسمع ما قال سعد؟ فأمر النبي صلّى الله عليه و آله بأخذ اللواء من سعد و إعطائه إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فأخذه و أدخله إدخالا رقيقا، و رفع صوته قائلا:

«اليوم يوم المرحمه، اليوم تصان الحرمه...».

و عمّت الفرحة الكبرى جميع أوساط القرشيين، و أيقنوا أنّ النبي لا يؤاخذهم بما اقترفوه تجاهه من التنكيل و الاعتداء.

النبي في الكعبه:

و سارع النبي صلّى الله عليه و آله بعد دخوله مَكّه إلى بيت الله الحرام، فأغلق بوجهه عثمان ابن طلحه باب الكعبه و صعد على سطحها، و أبى أن يدفع إليه المفتاح، و بادر إليه الإمام عليه السّلام فلوى يده و أخذ المفتاح منه و فتحها للنبي صلّى الله عليه و آله، فصلّى فيها ركعتين [٢] ثمّ

سَلَّمَ المِفْتَاحَ لَهُ،

و قال له: «يا عثمان، اليوم يوم بَرٍّ و وفاء» [١].

تطهير البيت من الأصنام:

و لَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ الْبَيْتَ الْحَرَامَ كَانَ أَوَّلَ عَمَلٍ قَامَ بِهِ تَحْطِيمُهُ وَ إِزَالَتُهُ لِلْأَصْنَامِ وَ الْأَوْثَانِ الَّتِي اتَّخَذَهَا الْقُرَشِيُّونَ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، وَ الَّتِي تَنَمَّ عَنْ جَهْلِهِمْ وَ انْحِطَاطِهِمْ الْفِكْرِي، وَ قَدْ كَانَتْ الْأَصْنَامُ الْمَعْلُوقَةُ عَلَى الْكَعْبَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَ سِتِينَ صِنْمًا، وَ لِكُلِّ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ صِنْمٌ خَاصٌّ بِهِمْ.

وَ كَانَ عَلَى جِهَةِ بَابِ الْبَيْتِ الْمَعْظَمِ الصَّنَمُ الْأَعْلَى لِقَرِيشٍ وَ هُوَ هَبْلٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَطْعَنُ بِقَوْسِهِ فِي عَيْنِهِ، وَ هُوَ يَقُولُ: «جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْوَاقًا» ثُمَّ أَمَرَ بِتَحْطِيمِهِ وَ تَطْهِيرِ الْبَيْتِ مِنْهُ، وَ قَدْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَبِي سَفْيَانَ وَ غَيْرِهِ مِنْ عَتَاهِ الْقُرَشِيِّينَ، ثُمَّ اعْتَلَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَلَى مَنْكَبِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِتَكْسِيرِ الْأَصْنَامِ، فَعَجَزَ الْإِمَامُ عَنْ النَّهْوِضِ بِهِ،

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ:

«إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ حَمْلَ ثِقَلِ النَّبَوَّةِ، فَاصْعِدْ أَنْتَ»، فَاعْتَلَى الْإِمَامُ عَلَى كَاهِلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ

وَ قَالَ الْإِمَامُ: «لَوْ شِئْتُ لَنَلْتُ افِقَ السَّمَاءِ»، وَ أَقْبَلَ عَلَى الْأَصْنَامِ فَجَعَلَ يَقْلَعُهَا وَ يرمى بِهَا إِلَى الْأَرْضِ، وَ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صِنْمٌ خِزَاعِهِ وَ كَانَ مَوْتِدًا بِأَوْتَادٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ: «عَالَجِهِ»، فَعَالَجَهُ الْإِمَامُ وَ هُوَ يَقُولُ:

«جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْوَاقًا»، فَعَالَجَهُ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْهُ فَقَذَفَهُ حَتَّى تَكَسَّرَ [٢]، وَ بِذَلِكَ فَقَدْ تَطَهَّرَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ مِنْ أَصْنَامِ قَرِيشٍ عَلَى يَدِ بَطْلِ الْإِسْلَامِ وَ قَائِدِ مَسِيرَتِهِ الظَّافِرِ... لَقَدْ حَطَّمِ الْإِمَامُ الْأَصْنَامَ كَمَا حَطَّمَهَا جَدُّهُ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ، وَ قَدْ نَظَّمَ الشَّاعِرُ الْمَلْهَمُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَتَّابَ الْمَعْرُوفَ بِ «الْمَفْجَعِ»

ص: ٥٥

هذه المآثره للإمام عليه السّلام بقوله:

و له من أبيه ذى الأيد اسما عيل شبه ما كان عتّى خفيّا

إنّه عاون الخليل على الكعب ه إذ شاد ركنها المبتيا

و لقد عاون الوصيّ حبيب الل ه إذ يغسلان منها الصفيّا

رام حمل النبيّ كى يقطع الأصنام من سطحها المثل الحبيّا [١]

فحناه ثقل النبوه حتّى كاد يناد تحته منيّا [٢]

فارتقى منكب النبيّ على صنوه ما أجلّ ذا المرتقيّا

فأماط الأوثان عن ظاهر الكعب ه ينفى الأرجاس عنها نفيا

و لو أنّ الوصيّ حاول مسّ النجم بالكفّ لم تجده قصيّا [٣]

إنّ تحطيم الأصنام و تطهير الكعبه منها أقسى ضربه موجعه للقرشيين الذين تفتانوا فى عباده الأوثان، كما كان أعظم انتصار رائع للإسلام الذى جاء لتحرير العقول و نشر الوعي بين الناس، فقد باءت بالفشل و الخزي جميع المقاومات و الاعتداءات على الإسلام، و ها هو يرفع رايته و ينشر مبادئه العملاقه فى ديارهم.

خطاب النبيّ :

و أحاطت جماهير أهالى مكّه بالرسول الأَعْظَم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ هِيَ تَنْتَظِرُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ مَا يُوَاجِهُونَهُ مِنْهُ، فَهَلْ يَنْزِلُ بِهِمُ الْعِقَابُ الصَّارِمُ وَ يَقَابِلُهُمُ بِالِانْتِقَامِ مِنْ جِزَاءِ مَا صَبَّوهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى أَتْبَاعِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ صَنُوفِ الْخَطُوبِ وَ الْكُورِثِ، أَوْ إِنَّهُ سَيَعْفُو عَنْهُمْ وَ يَقَابِلُهُمُ بِالصَّفْحِ الْجَمِيلِ ؟ وَ اعْتَلَى الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مَنْصَةَ الْخُطَابَةِ وَ اسْتَمَالَ الْجَمْعَ إِلَى

أذن صاغيه، فعرض صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي خُطَابِهِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَإِلَى نَصْرِهِ لِدِينِهِ وَهَزِيمَتِهِ لِلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ قَالَ:

«يا معشر قريش، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظِيمَهَا بِالْآبَاءِ.

النَّاسِ مِنْ آدَمَ، وَآدَمَ مِنْ تَرَابٍ»، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ [١].

«يا معشر قريش، ما ترون أنني فاعل بكم؟».

فَهتَفُوا جَمِيعًا بِلِسَانٍ وَاحِدٍ:

خَيْرًا، أَخِ كَرِيمٍ، وَابْنِ أَخِ كَرِيمٍ...

فَأَصْدَرَ رَسُولُ الرَّحْمَةِ الْعَفْوِ عَنْهُمْ قَائِلًا: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ...» [٢].

وَتَمَثَّلَتِ الرَّحْمَةُ وَالشَّرْفُ وَالْكَرَامَةُ بِجَمِيعِ مَا تَحْمِلُ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ مِنْ مَعْنَى فِي هَذَا الْعَفْوِ، فَلَمْ يُقَابَلْ أَوْلَيْكَ الْجَفَاءَ الْجَنَاهُ بِالْمَثَلِ وَاعْرَضَ عَمَّا لاقاه منهم من صنوف الإساءة والأذى، و لم يؤاخذهم بجرائمهم و آثامهم التي تقتضى أن يعدم رجالهم و يستصفي أموالهم، و لا يترك لهم أى أثر أو وجود على الأرض.

غزوه حنين:

إشاره

و فرعت هوازن كأشد ما يكون الفزع حينما وافتهم الأنبياء بفتح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ مَكَّةَ، وَخُضُوعِ الْقَبَائِلِ الْقُرَشِيَّةِ لِحُكْمِ الْإِسْلَامِ، فَانْبَرَى مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ وَهُوَ زَعِيمُ هَوَازِنَ فَجَمَعَ قَبِيلَتَهُ، وَاسْتَنْجَدَ بَعْضُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الْآخَرَى وَفِي طَلِيعَتِهَا ثَقِيفٌ،

فعرض عليهم الأخطار الهائلة التي ستواجههم من اتّساع الإسلام، و أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله سيزحف بجيوشه لاحتلالهم، فأمن الجميع بدعوته و استجابوا لقوله، و زحفت هوازن و من تابعهم من القبائل لحرب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و أوصاهم مالك بن عوف و هو القائد العامّ لجيوشهم فقال لهم: إذا رأيتموهم - أي المسلمين - فاكسروا جفون سيوفكم، ثمّ شدّوا شدّه رجل واحد [١].

ولما انتهت أنباؤهم إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أوفد للقيام عبد الله الأسلمي، و أمره بالتعرّف على أنبائهم، فمضى، و علم أنّهم مصمّمون على حرب النبيّ، ففقل راجعا إلى مكّه، و أخبر النبيّ بذلك، فزحف بجيشه البالغ عدده اثني عشر ألفا، و كان فيهم من لم يخاط الإسلام قلبه كأبي سفيان بن حرب و أمثاله من المنافقين و الطامعين في الغنائم و الأسلاب.

و تحرّك جيش النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله من مكّه و قد وزّع الرايات على قاده جيشه، و أعطى لواء المهاجرين إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، و سارعت جيوش المسلمين تطوى البيداء لا تلوى على شيء، فانتهدت إلى وادي حنين [٢].

فرار المسلمين:

و كانت هوازن قد أعدت خطّه رهيبه و محكمه للايقاع بالمسلمين، فقد احتلّت وادي حنين و كمنت في شعابه و مضايقه، فلما اجتازت عليهم جيوش المسلمين، و لم يكونوا على علم بما دبّر لهم، و ثبت عليهم هوازن من كلّ زاويه في الوادي، فجفل المسلمون و انهزموا هزيمه منكره لا يلوى أحد منهم على أحد،

و انحاز رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ذات اليمين، و جعل يدعو المسلمين إلى الثبات و الصبر على الجهاد و عدم الفرار قائلا:

«أيها الناس، إلی أنا رسول الله محمّد بن عبد الله» [١].

بسالة الإمام:

و أبدى الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام من البسالة ما لا يوصف، فقد أخذ يجول في الميدان يجندل الأبطال، و ينزل بهم أفدح الخسائر، و قد أجمع الرواه أنّه كان من أصلب المدافعين عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله [٢]، و ناول الإمام عليه السّلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قبضه من التراب، فرمى بها وجوه المشركين من هوازن و غيرهم [٣]، و التحم الإمام مع المشركين التحاما شديدا، و قد التحق به مائه رجل من فرسان المسلمين فقاتلوا قتالا أهونه الشديد،

و لما رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ذلك قال:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»

الآن حمى الوطيس [٤]، و اشتدّ الحرب، فسقطت الرءوس و الأيدي.

شماته أبي سفيان و صفوان:

و سرّ المنافقون بهزيمة المسلمين و طاروا فرحا، و أبدى أبو سفيان رأس المنافقين شماته بذلك فقال: لا تنتهي هزيمتهم - أي هزيمة المسلمين - دون البحر.

كما أبدى المنافق صفوان بن أمية شماته بانهيار جيش المسلمين قائلا:

ص: ٥٩

هزيمة المشركين:

ولما بلغت قلوب المسلمين الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديداً و ساد عليهم الجزع و الخوف نصر الله تعالى رسوله الكريم فقتل من المشركين سبعون رجلاً من أبطالهم و انهزم الباقون شراً هزيمة، و لاحقتهم جيوش المسلمين فأشاعت فيهم القتل و أسرت جماعه منهم [٢]، و كان النصر المؤزر على يد بطل الإسلام و حامى حوزته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و بذلك فقد انتهت هذه المعركة التي كانت من أعنف المعارك و من أشدها هولاً و قسوه، و بها قد انتصر الإسلام انتصاراً حاسماً و هابته جميع قبائل الشرك.

الغنائم:

و بعد ما وضعت الحرب أوزارها ارتحل الرسول صلى الله عليه و آله من أرض المعركة إلى الجعرانه، فأتته و فود هوازن طالبيين منه أن يردّ عليهم ما أخذ منهم، فخيرهم بين أبنائهم و نسائهم و بين أموالهم، فاختاروا أبناءهم و نساءهم، و انبرى زهير أبو حرد من بني سعد فقال: يا رسول الله، إنّما في الحظائر عمّاتك و خالاتك، و حواضنك اللاّتي كنّ يكفلنك، و لو أنّا أرضعنا الحارث بن أبي شمر الغسانی أو النعمان بن المنذر لرجونا عطفه، و أنت خير المكفولين، ثمّ قال:

امنن علينا رسول الله في كرم فإنّك المرء نرجوه و ندّخر

امنن على نسوه قد عاقها قدر ممزّق شملها في دهرها غير [٣]

يا خير طفل و مولود و منتخب فى العالمين إذا ما حصل البشر

إن لم تداركها نعماء و تنشرها يا أرجح الناس حلما حين يختبر

امنن على نسوه قد كنت ترضعها إذ فوك تملؤه من محضها الدرر

إذ كنت طفلا صغيرا كنت ترضعها و إذ يزينك ما تأتى و ما تذر [١]

و وهبهم النبى صلى الله عليه و آله ما كان له و لبنى عبد المطلب، و استجاب المهاجرون و الأنصار و بنو سليم لرغبة النبى فوهبوا حصّتهم، و لم يستجب غيرهم لذلك، ثم

قسّم النبى صلى الله عليه و آله الإبل و الغنم، و ازدحموا عليه حتى اختطفت رداؤه، ثم قال: «ردّوا على أيها الناس، فوالله! لو كان لى عدد شجر تهامه نعم لقسمتها عليكم، ثم لا تجدونى بخيلا و لا جباناً».

و لم يعط النبى صلى الله عليه و آله الأنصار شيئا، فوجدوا فى أنفسهم و ضاقوا ذرعا،

و أمر النبى صلى الله عليه و آله سعد بن عباده بجمع الأنصار، فلما مثلوا عنده قال لهم: «ما حديث بلغنى عنكم؟! ألم آتكم ضلّالا فهداكم الله بى؟ و فقراء فأغناكم الله بى؟ و أعداء فألّف بين قلوبكم...»؟ فانبأوا جميعا قائلين:

بلى و الله! يا رسول الله، لله و رسوله المنّ و الفضل...

و خاطبهم النبى صلى الله عليه و آله بلطف و حنان قائلا:

«ألا تجيبونى؟...».

بما ذا نجيبك؟ و نظر النبى صلى الله عليه و آله لهم بولاء و إخلاص قائلا:

«والله! لو شئتم لقلتكم، فصدقتم: أتيتنا مكذّبا فصدّقناك، و مخذولا فنصرناك،

و طريدا فأويناك، و عائلا فواسيناك، أو جدتم، يا معشر الأنصار أنفسكم فى لعاعه [١] من الدّنيا فألفت بها قوما ليسلموا و وكلتكم إلى إسلامكم؟ أفلا ترضون أن يذهب النَّاس بالشَّاه و البعير و ترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ و الذى نفسى بيده! لو لا الهجره لكنت امراً من الأنصار، و لو سلك النَّاس شعبا لسلكت شعب الأنصار...

اللَّهُمَّ ارحم الأنصار، و أبناء الأنصار، و أبناء أبناء الأنصار».

و غرق الأنصار بالبكاء و اخضلت لحاهم من دموعهم و راحوا يهتفون:

رضينا برسول الله قسما و حظًا.. [٢].

إنَّ الرسول الأَـعظم صَلَّى اللهُ عليه و آله أعظم قائد عرفته الإنسانيه فى جميع أدوارها، فقد غير مجرى تاريخ العالم و ألف بين قلوب أتباعه، و عقد أواصر المحبته و الألفه بينهم، و كانت أخلاقه البلسم الذى داوى به النفوس المريضة و القلوب المنحرفه.

و بهذا ينتهى بنا الحديث عن غزوه حنين التى هى من أعظم غزوات الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله، و كان البطل البارز فيها هو الإمام أمير المؤمنين عليه السَّلام.

الإمام و سوره البراءة:

و عهد النبى صَلَّى اللهُ عليه و آله إلى أبى بكر أن يمثله فى أهالى مكّه ليقراً عليهم بنودا من سوره البراءة و ما قننه الإسلام من أحكام لمن طاف فى بيت الله الحرام، و هذه بعضها:

أولاً: لا يطوف فى البيت عريان، و كانت العاده المتبعه أن يطوف الرجل عريان.

ثانياً: لا يدخل الجنه إلا من آمن بالله و رسوله.

ثالثاً: من كان بينه وبين رسول الله مدّه فأجله إلى مدّته.

رابعاً: إنّ الله ورسوله بريئان من المشركين [١].

و سار أبو بكر حاملاً رساله النبي صلّى الله عليه وآله، فهبط الوحي على النبي صلّى الله عليه وآله يأمره بإسناد هذه المهمّة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام وإقصاء أبي بكر، و بادر الإمام مسرعاً فأدرك أبا بكر في الطريق فأخذ الرساله منه [٢]، و قرأها على أهالي مكّه، و قفل أبو بكر راجعاً و ملء إهابه ألم ممضّ ، فلما رأى النبي بكى و قال: يا رسول الله، حدث فيّ شيء؟..

فهدّأ النبي روعه و قال له:

«ما حدث فيك إلّا خير، و لكن امرت أن لا يبلغها إلّا أنا أو رجل منّي...» [٣].

و هذه البادره من الأدلّه التي تمسّكت بها الشيعة على إمامه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، فقد قالوا: إنّّه لو كانت لأبي بكر مرشحات للخلافه لما عزلته السماء عن أداء هذه الرساله التي هي من أبسط المسؤوليات و أقلّها أهمّيه.

غزوه تبوك:

و واكب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام رسول الله صلّى الله عليه وآله في جميع حروبه و غزواته إلّا في غزوه تبوك، فقد أبقاه ممثلاً- عنه في يثرب، و أرجف المنافقون و أشاعوا أنّ النبي صلّى الله عليه وآله إنّما أبقاه في المدينه لكرهته له، و بلغ ذلك الإمام عليه السّلام فأخبر النبي صلّى الله عليه وآله

بمقالتهم، فردّ عليهم مزاعمهم وقلّد الإمام عليه السّلام أسمى الأوسمه قائلا:

«كذبوا، وإتّما خلّفتك لما ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي و أهلك، أ ما ترضى يا عليّ أن تكون منّي بمنزله هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبيّ بعدى...»[١].

و رجع الإمام قرير العين مثلوج القلب، فقد قلّده الرسول صلّى الله عليه وآله و سام الخلفه و الوصايه من بعده، و جعله منه بمنزله هارون من موسى، و باء حسّاده بالفشل و الخيبه...

و بهذا ينتهي بنا الحديث عن جهاد الإمام عليه السّلام و دفاعه عن قيم الإسلام و بمبادئه، فقد اشترك مع النبيّ صلّى الله عليه و آله في جميع حروبه و غزواته، و ناضل كأشدّ ما يكون النضال لرفع رايه الإسلام و إعلاء كلمه التوحيد، فما أعظم عائدته على الإسلام و المسلمين!

الإمام يصف جهاده:

و قبل أن نطوى الحديث عن جهاد الإمام و مناجزته للمشركين نذكر ما أدلى به في وصف جهاده

قال عليه السّلام:

و لقد كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا؛ ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً و تسليماً، و مضياً على اللّقم [٢]، و صبراً على مضض الألم، و جدّاً في جهاد العدو؛ و لقد كان الرّجل منّا و الآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما؛ أيّهما يسقى صاحبه كأس المنون، فمرّه لنا من عدوّنا،

و مرّه لعدوّنا منّا، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، و أنزل علينا النّصر، حتّى استقرّ الإسلام ملقيا جرانه، و متبوّنا أوطانه. و
لعمري لو كنّا نأتى ما أتيتم ما قام للدّين عمود، و لا اخضرّ للإيمان عود[١].

لقد جاهد الإمام كأعظم ما يكون الجهاد فى سبيل الإسلام فحارب الأتارب و ناهض الأرحام.

طلائع الرحيل

اشاره

ص: ٦٧

و أدى نبي الرحمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رسالته ربه إلى عباده كامله مشرقه، فأنقذهم بعد اللثي و التي من مآثم هذه الحياه فحرر العقول، و أيقظ النفوس، و فتح لها آفاقا كريمه من الوعي و التطور، و أمدها بجميع وسائل النهوض و النمو في جميع مناحي حياتها الاجتماعيه و الاقتصاديه، فما أعظم عائدته على الإنسانيه جمعاء..

و قد عانى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في أداء رسالته ربه جميع صنوف المحن و ألوان الخطوب من فراعنه قريش، أتهموه بأنه ساحر و مجنون و كذاب، و أغروا صبيانهم بإلقاء الحجارة عليه، و عذبوا من آمن به بأقسى ألوان العذاب، و قد استشهد من تعذيبهم ياسر و سميّه، و اضطرت طلائع المؤمنين به إلى الهجره من ديارهم إلى الحبشه..

و بعد موت حاميه و ناصره أبي طالب أحاطوا بداره شاهرين سيوفهم ليمزقوا جسده الطاهر، ففرّ منهم بعد أن ترك أخاه و ابن عمّه الإمام أمير المؤمنين في فراشه، و قد نجا منهم بلطف الله تعالى و تسديده، فهاجر إلى يثرب و اتخذها عاصمه له، فقامت قيامه القرشيين و ورمت آنافهم و امتلأت قلوبهم غيظا، فجهّزوا الجيوش لإطفاء نور الإسلام، فكانت واقعه بدر و أحد و غيرهما، و لكنّ الله تعالى ردّ كيدهم، و نصر نبيّه نصرا عزيزا، و فتح له فتحا مبينا، فخضعوا صاغرين له و دخلوا في دين الإسلام مكرهين مرغمين لا عن إيمان و بصيره بما يحمله هذا الدين من القيم الكريمه، و المبادئ الرفيعه، فقد اترعت نفوسهم بآثام الجاهليه و فسوقها.

و على أى حال فإنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله بعد أن أَدَّى رسالته الخالده بدت عليه امارات الرحيل من هذه الدنيا إلى الفردوس الأعلى، و كانت تتكرَّر عليه مؤذنه له بالسفر إلى الله تعالى، و كان منها ما يلي:

أولاً: إنَّ القرآن الكريم نزل عليه مرَّتين بعد أن كان ينزل عليه مرَّه واحده، فاستشعر من ذلك حضور الأجل المحتوم منه [١]، و أخذ ينعى نفسه، و يشيع ذلك بين المسلمين،

و قد أحاط بضعته الطاهره سيده نساء العالمين بانتقاله إلى حضيره الخلد قائلاً:

«إنَّ جبرئيل كان يعارضنى بالقرآن فى كلِّ سنه مرَّه، و إنَّه عارضنى به فى هذا العام مرَّتين، و ما أرى ذلك إلاّ اقتراب أجلي...» [٢].

و ذابت نفسها شعاعاً، و ودَّت مفارقة الحياه و لم تسمع هذه الكلمات من أبيها.

ثانياً: نزل الوحي على الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله بهذه الآيه: **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** .

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ [٣]، و كانت هذه الآيه إنذاراً له بمفارقة الحياه، و أثارت فى نفسه كوامن الألم،

و سمعه المسلمون يقول:

«ليتنى أعلم متى يكون ذلك؟».

ثالثاً: نزلت عليه سوره النصر، فشعر منها بدنو أجله، و كان يسكت بين التكبير و القراءه

و يقول:

«سبحان الله و بحمده، أستغفر الله و أتوب إليه»، و ذهل المسلمون من ذلك،

ص: ٧٠

و راحوا يسألونه عن هذه الحاله الغريبه فأجابهم:

«إنّ نفسى قد نعتت إليّ...» [١].

و هام المسلمون فى تيارات من الهواجس، فقد كان نعى النبىّ صلّى الله عليه و آله لنفسه كالصاعقه عليهم، فلا يدرون ما سيجرى عليهم إن خلت الدنيا من محمّد صلّى الله عليه و آله.

حجّه الوداع:

و لما أيقن النبىّ صلّى الله عليه و آله بقرب انتقاله إلى دار القدس رأى لزاما عليه أن يحجّ البيت الحرام، و يضع الخطوط السليمه لنجاه امّته من الفتن، و تطوير حياتها و سيادتها على بقيه الامم، و إنّ أضمن مكان لذلك هو البيت الحرام، فحجّ لهذا الغرض حجّته الأخيره الشهيره بحجّه الوداع، و ذلك فى السنه العاشره من الهجره. و أعلن بين الوافدين للحجّ أنّ التقاءه بهم فى عامهم هذا هو آخر عهدهم به قائلا:

«إنّى لا أدرى لعلّى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا...».

و فرع الحجاج و ذهلوا، فقد طاقت بهم موجات من الهموم، و راحوا يقولون:

النبىّ ينعى نفسه،

و مضى النبىّ يضع المناهج السليمه التى تضمن سعادتهم فى الدارين قائلا:

«أيّها الناس! إنّى تركت فيكم الثقلين، كتاب الله و عترتى أهل بيتى...».

التمسّك بكتاب الله و العمل بما فيه، و الولاء للعترة الطاهره و الأخذ بما أثار عنهم هما الضمان لنجاه هذه الامّه و سلامتها من الزيغ و الانحراف.

ص: ٧١

و لما أنهى النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله مراسيم الحجّ وقف عند بئر زمزم، و أمر ربيعه بن خلف فوقف تحت راحلته، و أمره أن يبلغ الحجّاج ما يقوله،

فقال: «يا ربيعه قل:

أيّها النّاس، إنّ رسول الله يقول لكم: لعلكم لا تلقونى على مثل حالى هذه، أ تدرّون أى بلد هذا؟ أ تدرّون أى شهر هذا؟ أ تدرّون أى يوم هذا؟».

فهتفوا جميعاً:

نعم، هذا البلد الحرام، و الشهر الحرام، و اليوم الحرام..

و أخذ النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله يتلو عليهم المبادئ الكريمة و المثل القيّمة قائلاً:

«إنّ الله حرّم عليكم دماءكم و أموالكم كحرمة بلدكم هذا، و كحرمة شهركم هذا، و كحرمة يومكم هذا... ألا هل بلغت؟...».

فأجابوا جميعاً:

نعم..

ثمّ أخذ النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله يعرض على الحجّاج الأحكام التى يلزمون برعايتها و تنفيذها قائلاً:

«اللهم اشهد، و اتّقوا الله، و لا تبخسوا النّاس أشياءهم، و لا تعثوا فى الأرض مفسدين، فمن كان عنده أمانه فليؤدّها...

النّاس فى الإسلام سواء طفّ الصّاع لآدم و حواء، لا فضل لعربىّ على أعجمىّ، و لا لأعجمىّ على عربىّ إلا بتقوى الله... ألا هل بلغت؟».

و انبروا جميعاً قائلين:

ص: ٧٢

نعم...

و أخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يَتْلُو عَلَيْهِمْ مَعَالِمَ دِينِهِ الْقَوِيمِ قَائِلًا:

«اللَّهُمَّ اشْهَدْ، لَا تَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ وَ اتُونِي بِأَعْمَالِكُمْ، فَأَقُولُ لِلنَّاسِ: هَكَذَا، وَ لَكُمْ هَكَذَا، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ؟».

نعم..

ثُمَّ وَاصِلَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بَيَانَ الْأَحْكَامِ الَّتِي يَجِبُ الْأَخْذُ بِهَا قَائِلًا:

«اللَّهُمَّ اشْهَدْ، كُلُّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمِي، وَ أَوَّلُ دَمٍ أَضَعُهُ دَمُ آدَمَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ [١]، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ؟».

نعم..

«اللَّهُمَّ اشْهَدْ، وَ كُلُّ رِبَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمِي، وَ أَوَّلُ رِبَا أَضَعُهُ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ؟».

نعم..

اللَّهُمَّ اشْهَدْ.. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يَضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَحْلُونَهُ عَامًا وَ يَحْرَمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ.

أَوْصِيَكُمْ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَارٌ عِنْدَكُمْ، لَا يَمْلِكُنَّ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَ اسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ، وَ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقٌّ: كَسَوْتَهُنَّ وَ رَزَقْتَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فِرَاشَكُمْ أَحَدًا، وَ لَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ إِلَّا بِعِلْمِكُمْ وَ إِذْنِكُمْ...، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ؟».

نعم...

«اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَأَوْصِيَكُمْ بِمَنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ...».

ص: ٧٣

ألا هل بلغت؟».

نعم...

«اللهم اشهد.. إنَّ المسلم أخو المسلم لا يَغشُّه، ولا يخونه، ولا يَغتابه، ولا يحلُّ له دمه، ولا شيء من ماله إلا بطيب منه، ألا هل بلغت؟».

نعم...

و يستمرّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي تَأْسِيسِ الْمَنَاهِجِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالأَخْلَاقِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، وَ مَا يَسْعَدُ بِهِ الْإِنْسَانَ فِي دُنْيَاهُ وَ آخِرَتِهِ، ثُمَّ يَخْتَمُّ خُطَابَهُ الرَّائِعَ بِقَوْلِهِ:

«لا ترجعوا بعدي كفّاراً مضلّين يملك بعضكم رقاب بعض، إنّي خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله، و عترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت؟».

نعم..

اللهم اشهد.. إنكم مسئولون فليبلغ الشاهد منكم الغائب...»[١].

و انتهى هذا الخطاب الحافل بجميع القيم الاجتماعيّة و السياسيّة التي تسمو بها أمّته، و تتحقّق لها السيادة على شعوب العالم و أمم الأرض... و قد ختم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَهَمِّ وَصِيَّهِ لَهُ، وَ هِيَ لَزُومِ التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ، وَ التَّمَسُّكِ بِالْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ لِتَكُونَ لَهَا الْقِيَادَةُ الْعَامَّةُ لِأُمَّتِهِ عَلَى مَسْرَحِ حَيَاتِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَ الْاجْتِمَاعِيَّةِ.

مؤتمر غدِير خم:

و بعد ما أَدَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْحَجَّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ وَ وَضَعَ الْخُطَطَ السَّلِيمَةَ لِصِيَانَةِ أُمَّتِهِ مِنَ الزِّيغِ قَفَلَ رَاجِعًا إِلَى يَثْرِبَ، وَ حِينَمَا اجْتَازَ مَوْكِبُهُ فِي غَدِيرِ خَمِّ هَبَطَ

ص: ٧٤

عليه جبرئيل و هو يحمل رساله من الله تعالى بالغه الخطوره تتعلّق بمصير الامه الإسلاميه و مستقبلها الحضارى، فقد أمره الله تعالى أن يحطّ رحله فى ذلك المكان لينصبّ الإمام عليًا عليه السّلام خليفه من بعده و يقلّمه المرجعيه العامه، و لم يرخصه فى التأخير قيد لحظه واحده، و كان أمر السماء بهذه الآيه: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ... [١].

و نصّ الرواه على أنّها نزلت فى غدیر خمّ [٢]، و طابع هذه الآيه الإنذار الشديد، فالنبيّ إن لم يبلغ ما أنزل إليه من ربّه فى تقليد الإمام لمنصب الخلافه فقد ضاعت جهوده و تبدّدت أتعابه.

و تلقّى الرسول صلّى الله عليه و آله الأمر بأهمّيه بالغه، فانبرى بعزم ثابت و إرادته صلبه لتنفيذ أمر الله تعالى، فوضع أعباء المسير، و حطّ رحله فى رمضاء الهجير و أمر قوافل الحجّ أن تحطّ رحالها، و كان الوقت قاسيا فى حرارته، فكان الرجل يضع طرف رداءه تحت قدميه ليتقى به من الحرّ.

و اجتمع الحجّاج فصلّى بهم النبيّ صلّى الله عليه و آله و بعد ما فرغ من الصلاه أمر بوضع حدائج الإبل لتكون منبراً له، فصنعوا له ذلك، فاعتلى عليها، و كان عدد الحاضرين مائه ألف أو يزيدون، و أقبلت الجماهير بقلوبها نحو النبيّ، فخطب فيهم معلنا ما عناه من الجهود الشاقّه فى سبيل الإسلام، و ما كانوا فيه من الضلال و الحياه البائسه فأنقذهم منها، ثمّ ذكر كوكبه من أحكام الإسلام و تعاليمه،

ثمّ التفت إليهم قائلاً:

«انظروا كيف تخلفوني فى الثقلين؟».

فناده مناد من القوم:

ما الثقلان يا رسول الله؟ و عرض عليهم أمر الثقيلين قائلاً:

«الثقل الأ-كبر: كتاب الله طرف بيد الله عزّ و جلّ ، و طرف بأيديكم فتمسّكوا به و لا- تضلّوا، و الآخر الأصغر: عترتي، و إنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض، فسألت ذلك ربّي لهما، فلا تقدّموهما فتهلكوا، و لا تقصروا عنهما فتهلكوا...».

و وضع النبيّ صلّى الله عليه و آله بذلك المناهج السليمه لسلامه امّته من الضلال و الانحراف عن طريق الحقّ ،

ثمّ أخذ النبيّ صلّى الله عليه و آله بيد وصيّيه و سيّد عترته و باب مدينه علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام ففرض ولايته على المسلمين، و أقامه علما لهدايتهم، فرفعها حتى بان بياض إبّطيهما، و رفع صوته عالياً قائلاً:

«أيّها النّاس، من أولى النّاس بالمؤمنين من أنفسهم؟».

فأجابوا جميعاً:

الله و رسوله أعلم..

فقال صلّى الله عليه و آله:

«إنّ الله مولاي، و أنا مولى المؤمنين، و أنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلىّ مولاه»، قال ذلك ثلاث مرّات، ثمّ قال:

«اللّهّم وال من والاه، و عاد من عاداه، و أحبّ من أحبّه، و أبغض من أبغضه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله، و أدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشّاهد الغائب...».

و بذلك أنهى خطابه الشريف الذي أذى فيه رساله ربّه، فنصب الإمام أمير

المؤمنين عليه السّلام خليفه من بعده، و أثبت له الولاية الكبرى على عموم المسلمين كما كانت له صلّى الله عليه و آله الولاية العامّة على جميع المسلمين.

البيعة العامّة للإمام:

و أقبل المسلمون يبايعون الإمام بولاية العهد و يهتّون به بإمره المسلمين، و أمر النبيّ صلّى الله عليه و آله أمّهات المؤمنين بمبايعته [١]، و أقبل عمر بن الخطّاب فهنّأ الإمام و صافحه و قال له مقالته المشهورة:

هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت و أمسيت مولاي و مولى كلّ مؤمن و مؤمنة [٢].

و انبرى حسان بن ثابت فنظم هذه الحادثة الخالده بقوله:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخمّ و أسمع بالرسول مناديا

فقال فمن مولاكم و نبيكم فقالوا و لم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا و أنت نبينا و لم تلق منّا فى الولاية عاصيا

فقال له قم يا علىّ فإنّنى رضيتك من بعدى إماما و هاديا

فمن كنت مولاة فهذا وليّه فكونوا له أتباع صدق مواليا

هناك دعا اللهمّ وال وليّه و كن للذى عادى علينا معاديا [٣]

و قال الشاعر الملهم السيّد الحميرى:

و قام محمّد بغدير خمّ فنادى معلنا صوتا نديّا

لمن وافاه من عرب و عجم و حفّوا حول دوحته جيّثا

ألا من كنت مولاة فهذا له مولى و كان به حفّيا

و قال شاعر الإسلام الكميت الأسدي:

و يوم الدوح دوح غدیر خمّ أبان له الولاية لو أطيعا

و لكنّ الرجال تبايعوها فلم أر مثلها حقاً أضيعا

و سجّل المحقق الأميني في الغدير كوكبه من الشعراء الذين نظموا حادثه الغدير من عصر النبوه حتى يوم الناس هذا.

نزول آيه إكمال الدين:

و في ذلك اليوم الخالد في دنيا الإسلام نزلت هذه الآية الكريمة: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا [١].**

لقد كمل الدين، و تمت نعمه الله الكبرى على المسلمين بولايه إمام المتقين و سيّد الموحدين، و بقيادته الروحيه و الزمنيه على جميع المؤمنين.

لقد وضع النبي صلي الله عليه و آله المنهج السليم لصيانه أئمه و جمع كلمتها و توحيد صفوفها، و لم يترك الأمر من بعده فوضى يتلاعب فيه الطامعون و عشاق الملك و السلطان، فقد سدّ الباب و لم يترك أى منفذ يسلك منه، فقد عين القائد و الموجه لأئمه في جميع شؤونها و لم يهمل هذا الأمر الحساس - كما يقولون -.

و على أى حال فموضوع الغدير جزء من رساله الإسلام و ركن من أركان الدين، فمن أنكره فقد أنكر الإسلام كما يقول الشيخ العلاتي.

المأساه الخالده

اشاره

ص: ٧٩

و بعد ما أقام الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام خليفه على امّته فى غدِير خَمّ وَ نَصَبَهُ إماما من بعده قفل راجعا إلى يثرب، وَ قد بدت صحّته تنهار يوما بعد يوم، فقد ألمّ به المرض وَ أصابته حمى مبرحه، حتى كأنّ به لهبا منها، وَ قد لازمته وَ لم تنقطع عنه، وَ كانت عليه قطيفه، فإذا وضع أزواجه وَ عوّاده أيديهم عليها شعروا بحرّها [١]، وَ قد وضعوا إلى جواره إناء فيه ماء بارد، فكان يضع يده فيه وَ يمسح بها وجهه الشريف لتخفّ حراره الحمى منه.

وَ تذهب بعض المصادر إلى أنّ وفاته تستند إلى طعام مسموم قدّمته إحدى اليهوديات له، فكان يقول:

«ما أزال أجد ألم الطّعام الذى أكلته بخبير، فهذا أوان، وَ جدت انقطاع أبهرى من ذلك السّم» [٢].

و لَمّا اشيع مرضه هرع المسلمون لعيادته وَ هم ما بين باك وَ واجم، قد طافت بهم موجات من الألم وَ الذهول، وَ استقبلهم الرسول بأسى بالغ فعنى إليهم نفسه الشريفه،

وَ أوصاهم بما يضمن لهم الاستقامه وَ التوازن فى حياتهم قائلا:

«أيّها النّاس، يوشك أن أقبض قبضا سريعا فينطلق بى، وَ قدّمت إليكم القول

معذره إليكم، ألا إني مخلف فيكم كتاب الله عز وجل و عترتي أهل بيتي...».

و كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانبه، فأخذ بيده و قال لعوده:

«هذا علي مع القرآن، و القرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض» [١].

و قد وضع النبي صلى الله عليه و آله أهم المخططات التي تضمن لأمته النجاح و تقيها من الأزمات، و هي:

أولاً: التمسك بكتاب الله و العمل بما فيه، فإنه يهدي للتي هي أقوم.

ثانياً: التمسك بالعترة الطاهرة و على رأسها سيدها الإمام أمير المؤمنين، فإنها لا تألوا جهداً في إسعادها و بلوغ أهدافها.

إعطاء القصاص من نفسه:

و لَمَّا علم النبي صلى الله عليه و آله إن لقاءه بربه قريب، دعا الفضل بن عباس، فأمره أن يأخذ بيده و يجلسه على المنبر، كما أمره أن ينادى بالناس الصلاة جامعهم، فنادى الفضل بذلك، فاجتمع الناس،

فخطب فيهم الرسول صلى الله عليه و آله قائلاً:

«أيها الناس، إنه قد دنا مني خلوف من بين أظهركم، و لن تروني في هذا المقام فيكم، و قد كنت أرى أن غيره غير مغن عني حتى أقومه فيكم، ألا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد، و من كنت أخذت منه مالا فهذا مالي فليأخذ منه، و من كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد... و لا يقولن قائل: أخاف الشحنة من قبل رسول الله، ألا و إن الشحنة ليست من شأني و لا من خلقي، و إن أحبكم إلي من أخذ

حقًا كان له عليّ ، أو حللني فلقيت الله عزّ وجلّ و ليس لأحد عندي مظلمه...».

يا لروعه العدل!! يا لروعه الخلق النبوي!! لقد أسّيس النبيّ صلّى الله عليه و آله جميع صنوف العدل التي لم يؤسّسها أى مصلح اجتماعي.

لقد أعطى رسول الإنسانية القصاص من نفسه و هو فى الساعات الأخيره من حياته، ليخرج من هذه الدنيا و ليس لأى أحد أى تبعه عليه، و قد انبرى رجل من القوم فقال للرسول:

يا رسول الله، لى عندك ثلاثة دراهم..

فقابله الرسول بلطف قائلاً:

«أما أنا فلا اكذب قائلاً، و لا مستحلفه على يمين، فبم كانت لك عندي؟».

فسارع الرجل قائلاً: أ ما تذكر أنّه مرّ بك سائل فأمرتنى أن اعطيه، فأعطيته ثلاثة دراهم...

و أمر النبيّ صلّى الله عليه و آله الفضل بإعطائه الدراهم،

ثمّ عاد النبيّ إلى خطابه فقال:

«من عنده من الغلول شىء فليردّه...».

فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، عندي ثلاثة دراهم غللتها فى سبيل الله، فقال له النبيّ :

«لم غللتها؟».

كنت محتاجاً إليها...

فأمر النبيّ صلّى الله عليه و آله الفضل أن يأخذها منه فأخذها،

و عاد النبيّ فى خطابه، فقال:

«أيها النّاس، من أحسّ فى نفسه شيئاً فليقم أدع الله له...».

فقام إليه رجل فقال:

يا رسول الله، إني لمنافق، و إني لكذوب، و إني لشؤوم..

فزجره عمر و صاح به، و قال له:

لقد سترك الله، لو سترت على نفسك.

و التفت النبي صلى الله عليه و آله إلى عمر فقال له:

«صه يا ابن الخطاب! فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة».

و دعا النبي صلى الله عليه و آله للرجل فقال: «اللهم ارزقه صدقا و إيمانا، و أذهب عنه الشؤم» [١]، و انبرى رجل من أقصى القوم
يسمى سواده بن قيس فقال:

يا رسول الله، إنك ضربتني بالسوط على بطني، و أنا اريد القصاص منك...

فاستجاب الرسول صلى الله عليه و آله لطلبه و أمر بلالا- بإحضار السوط ليقتص منه سواده، و ذهل الحاضرون، و ساد عليهم
صمت رهيب من هذا العدل، و انطلق بلال رافعا عقيرته قائلا:

أيها الناس، اعطوا القصاص من أنفسكم في دار الدنيا، فهذا رسول الله قد أعطى القصاص من نفسه..

و مضى بلال إلى بيت النبي صلى الله عليه و آله فجاء بالسوط و ناوله إلى سواده، فأخذه و أقبل رافعا له صوب النبي الذي ألمت
به الأمراض، و هو في الساعات الأخيرة من حياته، و أتجه المسلمون بقلوبهم و أبصارهم نحو سواده فقال للنبي :

يا رسول الله، اكشف عن بطنك...

فكشف الرسول عن بطنه، فقال سواده و هو غارق في البكاء:

يا رسول الله، أ تَأْذَن لِي أَنْ أَضَعُ فَمِّي عَلَى بَطْنِكَ؟ «نعم».

و وضع سواده وجهه على بطن الرسول و دموعه تتبلور على خدييه و هو يقول بصوت حزين النبرات: أعود بموضع القصاص من رسول الله من النار يوم القيامة.

و التفت إليه النبيّ قائلاً:

«أ تعفو يا سواده أم تقتصّ؟».

بل أعفو يا رسول...

فرجع النبيّ يديه بالدعاء قائلاً:

«اللهم اعف عن سواده كما عفا عن نبيك...».

إنّ هذا الخلق النبويّ أحقّ بالبقاء و أجدر بالخلود من هذا الكوكب الذي نعيش فيه، فقد تجسّدت فيه جميع القيم و المبادئ الكريمة التي سما بها النبيّ على سائر الأنبياء.

سريه اسامه:

و استبانة للنبيّ صلّى الله عليه و آله التيارات الحزبية من صحابته الذين صمّموا على صرف الخلافة عن أهل بيت النبوه، فرأى خير وسيله يتدارك بها الموقف أن يبعث بجميع أصحابه لغزو الروم حتى تخلو عاصمته منهم إذا انتقل إلى حضيره القدس، و بذلك يتمّ ما أراه من تسلّم الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام مقاليد الحكم من دون منازع له، و قد أمر أعلام المهاجرين و الأنصار بالالتحاق بالجيش، كان من بينهم أبو بكر و عمر و أبو عبيده الجراح و بشير بن سعد [١]، و هم من أقطاب الحزب المعارض للإمام،

و عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بِإِمَارَةِ الْجَيْشِ إِلَى إِسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَ كَانَ فِي شَرِّحِ الشَّبَابِ، وَ لَمْ يَعْهَدْ بِهَا إِلَى شَيْخِ أَصْحَابِهِ، وَ كَانَ فِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ مِنْهُ بِأَنَّ الْقِيَادَةَ الْعَامَّةَ لَا تَخْضَعُ لِكَبْرِ السِّنِّ وَ التَّقَدُّمِ فِي الْعَمْرِ، وَ إِنَّمَا تَخْضَعُ لِلْمَوْهَلَاتِ وَ الْقَابِلِيَّاتِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا الْقَائِدُ.

وَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لِإِسَامَةَ: «سِرْ إِلَى مَوْضِعِ قَتْلِ أَبِيكَ فَأَوْطِئْهُمْ الْخَيْلَ، فَقَدْ وَلَّيْتُكَ هَذَا الْجَيْشَ فَاغْزِ صَبَاحًا عَلَى أَهْلِ أُبْنَى [١] وَ حَزَّقْ عَلَيْهِمْ، وَ أَسْرِعِ السَّيْرَ لِتَسْبِقَ الْأَخْبَارَ، فَإِنْ أَظْهَرَكَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَأَقْلِلِ اللَّبْثَ فِيهِمْ، وَ خُذْ مَعَكَ الْأَدْلَاءَ، وَ قَدِّمِ الْعْيُونَ وَ الطَّلَائِعَ مَعَكَ...».

وَ حَفَلَتْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ بِالْمَنَاهِجِ الْعَسْكَرِيَّةِ الرَّائِعَةِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى أَصَالِهِ التَّعَالِيمِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ.

وَ فِي الْيَوْمِ التَّاسِعِ وَ الْعَشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله جَيْشَهُ قَدْ مَنَى بِالْتَمَرْدِ، فَلَمْ يَلْتَحِقْ أَعْلَامُ الصَّحَابَةِ بِوَحْدَاتِهِمْ الْعَسْكَرِيَّةِ، فَسَاءَ ذَلِكَ وَ خَرَجَ مَعَ مَا بِهِ مِنَ الْمَرَضِ فَحَثَّهِمْ عَلَى الْمَسِيرِ،

وَ عَقَدَ بِنَفْسِهِ اللَّوَاءَ لِإِسَامَةَ وَ قَالَ لَهُ:

«اغْزِ بِسْمِ اللهِ، وَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَ قَاتِلْ مِنْ كَفَرٍ بِاللَّهِ»، وَ خَرَجَ إِسَامَةُ مَعْقُودًا لَوَاؤَهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى بَرِيدِهِ وَ عَسَكَرَ بِالْجَرْفِ [٢]، وَ تَنَاقَلَ الصَّحَابَةُ مِنَ الْإِلْتِحَاقِ بِالْمَعْسُكِرِ، وَ أَظْهَرُوا الْعَصِيَانَ وَ الطَّعَنَ بِقِيَادَةِ إِسَامَةَ، يَقُولُ لَهُ عُمَرُ:

مَاتَ رَسُولَ اللهِ، وَ أَنْتَ عَلِيٌّ أَمِيرٌ؟ وَ نَقَلْتَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ كَانَتْ قَدْ أَزْدَادَتْ بِهِ الْحَمِيَّ فِغْضَبِ، وَ خَرَجَ وَ هُوَ مَعْصَبُ الرَّأْسِ قَدْ دَثَّرَ بِقَطِيفَتِهِ، فَصَعَدَ الْمَنْبِرَ وَ هُوَ مَتَبَرِّمٌ، فَأَعْلَنَ سَخَطَهُ

على من لم يلتحق بجيش اسامه.

«أيها الناس، ما مقاله بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى اسامه ؟ و لقد طعتم فى تأميرى أباه، و أيم الله إنه كان لخليقا بالإماره و إن ابنه من بعده لخليق بها...» [١].

ثم نزل عن المنبر و هو متألم كأشد ما يكون الألم، و جعل يؤكد على الالتحاق بجيش اسامه، و يلعن من تخلف عنه قائلا:
«جهّزوا جيش اسامه..».

«نفذوا جيش اسامه...».

«لعن الله من تخلف عن جيش اسامه..».

و لم تثر هذه الأوامر المشدده من رسول الله صلى الله عليه و آله حفاظ نفوسهم، و لم تدفعهم إلى الالتحاق بجيش اسامه، فقد تشاقلوا و اعتذروا للرسول بشتى المعاذير الواهيه، و هو سلام الله عليه لم يمنحهم العذر، و إنما أظهر السخط و عدم الرضا.. و هناك بحوث مهمه عرضنا لها بالتفصيل فى كتابنا (حياه الإمام الحسن عليه السلام)

رزيه يوم الخميس:

و استبان للنبي صلى الله عليه و آله بصوره مكشوفه ما عليه بعض الصحابه من تصميمهم على صرف الخلافه عن وصيه و باب مدينه علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فرأى أن يكتب كتابا خاصا بالنص عليه، و يعزز بيعه يوم الغدير، و يسد بذلك أبواب المتآمرين عليه،

فقال:

«اتنوني بالكتف و الدواه لأكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا...».

يا لها من نعمه كبرى على المسلمين أنه التزم من سيد الكائنات بأن لا تضلّ

ص: ٨٧

أمته على امتداد التاريخ إن كتب لها الكتاب، إنَّه الكتاب الذي أراد الرسول به أن يصون أمته من الزيغ والانحراف، و لا تصاب بأية نكسه في جميع الأحقاب و الآباد.

و علم بعض الصحابه ما يريد النبي صَلَّى الله عليه و آله من نصب الإمام عليه السلام خليفه من بعده و قائدا لمسيره أمته، فقال:

حسبنا كتاب الله...

و المتأمل في هذا الكلام يطلّ على الغايه المنشوده لهذا القائل و هو صرف النبي صَلَّى الله عليه و آله من الكتابه في حقّ الإمام عليه السلام، فلو كان يعتقد أنّ النبي صَلَّى الله عليه و آله يريد أن يوصى بحمايه الثغور أو بجهاد الكفّار أو بالمحافظه على الطقوس الدينيه لما ردّ على النبي صَلَّى الله عليه و آله و قابله بهذه الجراه و وقف بصلابه دون تنفيذ رغبته.

و على أى حال، فقد كثر الجدل بين القوم، فطائفه حاولت تنفيذ ما أمر به النبي صَلَّى الله عليه و آله، و طائفه أخرى أصرت على معارضتها و الحيلولة بينه و بين ما طلبه من الكتابه؛ و ذلك خوفا على فوات مصالحها و أطماعها، و انطلقت بعض السيدات من وراء الستر فأنكرن على القوم هذا الموقف المتّسم بالجراه على النبي و هو في ساعاته الأخيره، فقلن لهم:

أ لا تسمعون ما يقول رسول الله ؟ أ لا تنفّذون ما يريد رسول الله ؟ فثار عمر و هو بطل الموقف، و زعيم المعارضه فصاح بالنساء قائلا:

إنّكن صويحبات يوسف إذا مرض عصرتن أعينكن، و إذا صحّ ركبتن عنقه...

فرمقه الرسول بطرفه و صاح به:

«دعوهنّ فإنّهنّ خير منكم».

و بدا صراع رهيب بين القوم و كادت تفوز الجبهه التي أرادت أن يكتب النبي ،

فانبرى بعض الحاضرين فسدد سهمها لما رامه النبي ، فقال - و يا لهول ما قال! :-

إن النبي ليهجر [١]! ما أعظم هذه الجراه على النبي! ما أقسى هذا الاعتداء على مركز النبوه! يا لها من كلمه تحمل جميع ألوان الشرور! أ لم يسمع هذا القائل كلام الله تعالى فى حق نبيه العظيم: ما ضلَّ صاحبكُم و ما غوى . و ما يُنطقُ عن الهوى . إن هُوَ إلاَّ وحيُّ يوحى . علَّمهُ شَديدُ القُوى [٢]؟ أ لم تمرَّ عليه هذه الآيه فى سموِّ مكانه رسول الله صلَّى الله عليه و آله: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ [٣]؟ بلى و الله! لقد سمع هذا القائل ما أنزل الله من الآيات فى كتابه المجيد فى شأن رسوله الكريم، و لكن الأطماع السياسيه دفعته إلى هذا الموقف الذى يحزُّ فى نفس كلِّ مسلم.. و كان ابن عباس حبر الامه إذا ذكر هذا الحادث الرهيب يذوب لوعه و يبكى حتى تسيل دموعه على خديه كأنها نظام اللؤلؤ و هو يقول:

يوم الخميس، و ما يوم الخميس؟

قال رسول الله صلَّى الله عليه و آله: «ائتوني بالكتف و الدّواه أكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا»، فقالوا: إن رسول الله يهجر [٤].

حقاً لأن يجزع ابن عباس و يبكى بأمر ألوان البكاء، فقد دهمت المسلمين

كوارثه مدمره ألفتهم فى شرّ عظيم، فقد حيل بينهم و بين ما أراداه الرسول من تطوير حياتهم و سيادتهم فى جميع الأحقاب و الآباد.

و أكبر الظنّ أنّ النبىّ صلّى الله عليه و آله لو كتب فى حقّ علىّ و نصّ علىّ خلافته لما أجدت كتابته شيئاً، فقد اتهموه بالهجر و عدم الوعى، و فى ذلك طعن صريح فى مركز النبوه و قداسه الرسول، فرأى صلوات الله عليه بالاعراض عن الكتابه.

فجيعه الزهراء:

و منيت زهراء الرسول عليها السلام بكارثه مدمره حينما علمت أنّ أباه سيفارق الحياه، فقد نخب الحزن قلبها الرقيق، و هامت فى تيارات من الأسى و اللوعه، و قد لازمت أباه و هى مذهوله كأنها جثمان فارقتة الحياه، و قد أهدقت بوجهه فسمعتة يقول:
«وا كرباه!».

و امتلاً قلبها الطاهر حزناً، فأسرعت قائله:

«وا كرى! لكربك يا أبت»، و أشفق عليها أبوها و راح يسليها قائلاً:

«لا كرب على أيبك بعد اليوم» [١].

و كانت هذه الكلمات أشدّ على نفسها من الموت، و رآها النبىّ و هى و لهى مذهوله قد خطف الحزن لونها كأنما تعانى آلام الاحتضار فأمرها بالدنو منه، فأسرّ إليها بحديث فغامت عيناها بالدموع، ثمّ أسرّ إليها ثانياً، فقابلته ببسمات فياضه بالبشر و الرضا، و كانت عائشه إلى جنبها فبهرت من ذلك، و راحت تقول:

ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن!

و سألتها عما أسرَّ إليها أبوها، فأشاحت بوجهها عنها و أبت أن تخبرها، و لما انصرفت أخبرت سلام الله عليها بعض السيدات عن ذلك

فقال:

«أخبرني أنّ جبرئيل كان يعارضني بالقرآن في كلّ سنه مرّه، و إنّّه عارضني به في هذا العام مرّتين، و لا أراه إلّا قد حضر أجلى».

و كان هذا هو السبب في لوعتها و بكائها، و أمّا سبب سرورها و ابتهاجها

فتقول:

«أخبرني أنّك أوّل أهل بيتي لحوقا بي، و نعم السّلف أنا لك، أ لا ترضين أن تكوني سيّده نساء هذه الامة» [١]؟ و غرقت سيّده النساء في البكاء، فأخذ النبيّ صلّى الله عليه و آله يخفّف عنها آلامها قائلاً:

«يا بيّته، لا تبكى، و إذا متّ فقولي: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون، فإنّ فيها من كلّ ميّت معوضه».

و ذابت نفسها شعاعاً، و غامت عيناها بالدموع، فقالت له بصوت متقطّع بالبكاء:

«و منك يا رسول الله؟».

«نعم، و منّي» [٢].

و اشتدّ الوجع برسول الله صلّى الله عليه و آله، فنظرت إليه سيّده النساء فقالت له:

«أنت و الله! كما قال القائل:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل»

فقال لها أبوها:

«هذا قول عمك أبي طالب»، و قرأ قوله تعالى: وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [١]. [٢]

النبي يوصى بأهل بيته:

روى أنس بن مالك قال: جاءت فاطمه و معها الحسنان إلى رسول الله صلى الله عليه و آله في مرضه الذي توفي فيه فانكبت عليه و ألصقت صدرها بصدره و هي غارقة في البكاء، ثم انطلقت إلى بيتها، و النبي تسبقه دموعه و هو يقول: «اللهم أهل بيتي، و أنا مستودعهم كل مؤمن...».

و جعل يردد ذلك ثلاث مرات [٣] و هو مثقل بالألم و الحزن، فقد استشف من وراء الغيب ما يجري عليهم من المحن و الخطوب.

وصية النبي بسبطيه:

و قبل أن ينتقل النبي إلى حضيره القدس بثلاثة أيام أوصى الإمام عليه السلام برعايه سبطيه قائلاً: «يا أبا الریحانتين، اوصيك بریحانتی من الدنیا، فعن قليل ينهدّ ركناك، و الله خليفتي عليك...».

و لما قبض النبي قال الإمام:

«هذا أحد ركنی الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه و آله»،

و لما ماتت فاطمه قال: «هذا الركن الثاني الذي قال لي رسول الله» [٤].

إلى الفردوس الأعلى:

و آن لسيد الكائنات أن يلتحق بالفردوس الأعلى مقرّ الأنبياء و الأوصياء، فقد

وفد عليه ملك الموت فاستأذن بالدخول عليه، فأخبرته زهراء الرسول بأنه مشغول بنفسه عنه، فانصرف، و بعد قليل عاد طالبا الإذن، فأفاق النبي و قال لبضعتة:

«أ تعرفينه؟».

«لا، يا رسول الله».

«إنه معمر القبور، و مخزّب الدّور، و مفزّق الجماعات»، و ذهلت حبيبه الرسول، و قدّ قلبها، و اندفعت تقول:

«وا أبتاه! لموت خاتم الأنبياء، و ا مصيبتاه! لممات خير الأتقياء، و لانقطاع سيّد الأصفياء، و ا حسرتاه! لانقطاع الوحي من السّماء، فقد حرمت اليوم كلامك».

و تصدّع قلب الرسول و ذابت نفسه، و راح يسلى زهراء قائلاً:

«لا تبكى فإنّك أول أهلى لحوقا بي...» [١].

و أذن النبي لملك الموت بالدخول عليه، و لَمّا مثل أمامه قال له:

«يا رسول الله، إنّ الله أمرنى أن أطيعك فى كلّ ما تأمرنى به، إن أمرتنى أن أقبض نفسك قبضتها، و إن تأمرنى أن أتركها تركتها».

و بهر النبي صلّى الله عليه و آله و قال له:

«أ تفعل يا ملك الموت ذلك؟».

«بذلك امرت أن اطيعك فى كلّ ما أمرتنى...».

و لم يحظ أحد من أنبياء الله و رسله بمثل ما حظى به خاتم الأنبياء، فقد أمر الله تعالى ملك الموت بإطاعته، و الاستئذان بالدخول عليه.

و هبط جبرئيل على رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال له:

«يا أحمد، إنَّ الله اشتاق إليك»، و اختار النبي جوار ربّه، فإنَّ الآخِره خير له و أبقى، و أذن لملك الموت باستلام روحه المقدّسه، و دعا وصيّّه و باب مدينه علمه الامام عليه السّلام

فقال له:

«ضع رأسى فى حجرک، فقد جاء أمر الله، فإذا فاضت نفسى فتناولها، و امسح بها وجهک، ثمَّ وجّهنى إلى القبلة، و تولّ أمرى، و صلّ علىّ أوّل النَّاس، و لا تفارقنى حتّى توارينى فى رمسى و استعن بالله عزّ و جلّ».

و أخذ الإمام رأس النبي فوضعه فى حجره، و مدّ يده اليمنى تحت حنكّه، و أخذ النبي يعانى آلام الموت و قسوته حتى فاضت روحه العظيمه، فمسح بها الإمام وجهه [١]. لقد مادت الأرض، و خبا نور العدل، و انطفأت تلك الشعلة المشرقه التى أضاءت سماء الدنيا بالعلم و الإيمان... يا لمدينه الرسول و آل الرسول، يا لهم من يوم خالد فى دنيا الأحزان، يوم ليس كمثله فى الأيام الحالکات، و وجم المسلمون، و طاشت أحلامهم، و هرعت السيدات صوب دار الرسول و هن يلد من الوجوه، قد علت أصواتهنّ بالبكاء، أمّا امّهات المؤمنین فقد وضعن الجلابيب عن رءوسهنّ، و هن يلد من صدورهنّ، و أمّا نساء الأنصار فقد ذبحت حلوقهنّ من الصياح [٢].

و كان أعظم أهل البيت حزنا بضعه الرسول و ريحانته، فقد وقعت على الجثمان المقدّس و هى تبكى أمّ البكاء و تقول بذوب روحها:

«و أبتاه»!

ص: ٩٤

«وا نبى رحمتاه».

«الآن لا يأتى الوحي. الآن ينقطع عَنَّا جبرئيل، اللهم ألحق روحى بروحه، و اشفعنى بالنظر إلى وجهه، و لا تحرمنى أجره و شفاعته يوم القيامة» [١].

و أخذت تجول حول الجثمان العظيم و هى ولهى قد أخرسها الخطب قائله:

«وا أبتاه! إلى جبرئيل أنعاه».

«وا أبتاه! جنّه الفردوس مأواه».

«وا أبتاه! أجا ربّا دعاه» [٢].

و مادت الأرض بالمسلمين و ذهلوا حتى عن نفوسهم لعظم الكارثة.

تجهيز الجثمان العظيم:

و تولّى الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام تجهيز جثمان أخيه و ابن عمّه، و ذلك بأمر منه، و هو يذرف الدموع، فغسل الجسد، و هو يقول:

بأبى أنت و أمى يا رسول الله! لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النّبوه و الإنباء و أخبار السّماء. خصّيت حتى صرت مسلّياً عمّن سواك، و عمّمت حتى صار النَّاس فيك سواء. و لو لا أنّك أمرت بالصّبر، و نهيت عن الجزع، لأنفدنا عليك ماء الشّؤون و لكان الدّاء مماطلاً، و الكمد محالفا [٣].

قال عليه السّلام: «و لقد وليت غسله - صلّى الله عليه و آله - و الملائكة أعوانى، فضجّت الدّار و الأفنيه،

ملاً يهبط و ملاً يعرج، و ما فارقت سمعى هينمه منهم [١] يصلون عليه...».

و كان العباس عمّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و اسامه يناولان الإمام الماء من وراء الستر [٢].

و كان الطيب فى أثناء الغسل يخرج من الجسد الطاهر،

و الإمام يقول:

«بأبى أنت و أمى يا رسول الله، طبت حياً و ميتاً» [٣]، أما الماء الذى غسّل فيه الرسول فهو من بئر يقال لها الغرس، و كان يشرب منها [٤]، و بعد الفراغ من الغسل أدرجه الإمام فى أكفانه، و وضعه على السرير.

الصلاة على الجثمان العظيم:

و أوّل من صلّى على الجثمان المقدّس هو الله تعالى من فوق عرشه، ثمّ جبرئيل، ثمّ إسرافيل، ثمّ الملائكة زمرا زمرا [٥]، و هرع المسلمون للصلاة على جثمان نبيّهم،

فقال لهم الإمام:

«لا- يقوم عليه إمام منكم، هو إمامكم حياً و ميتاً»، فكانوا يدخلون عليه رسلا رسلا فيصلّون عليه صفّاً ليس لهم إمام، و أمير المؤمنين واقف إلى جانب الجثمان و هو يقول:

«السّلام عليك أيّها النبيّ و رحمه الله و بركاته.. اللهمّ إنّنا نشهد أنّه قد بلغ ما أنزل إليه، و نصح لأمّته، و جاهد فى سبيل الله حتّى أعزّ الله دينه و تمّت كلمته، اللهمّ فاجعلنا ممّن يتّبع ما أنزل إليه، و ثبتنا بعده، و اجمع بيننا و بينه».

و كان المصلّون يقولون: آمين [١]، و كانت جموع المسلمين تمرّ على الجثمان العظيم فتلقى عليه نظره الوداع و هى مذهوله، قد هامت فى تيارات من الهواجس، فقد مات المنقذ، و مات المعلم، و مات من أسّس دوله تدعو إلى تطوّرهم و سعادتهم.

مواراه الجثمان المقدّس:

و بعد ما فرغ المسلمون من الصلاه على الجثمان العظيم قام الإمام بحفر القبر، و بعد الانتهاء منه وارى جثمان أخيه، و قد وارى أعظم شخصيه خلقها الله فى الأرض، و أفضل هبه من الله لعباده... و قد انهارت قوى الإمام، و وقف على حافه القبر، و هو يروى ترابه من ماء عينيه قائلاً:

إنّ الصّبر لجميل إلّا عنك، و إنّ الجزع لقبيح إلّا عليك، و إنّ المصاب بك لجليل، و إنّّه قبلك و بعدك لجلل [٢].

و انطوت فى ذلك اليوم الخالد فى دنيا الأ-حزان ألويه العدل، و غاب ذلك النور الذى أضاء سماء الكون و غير مجرى حياه الإنسان من واقع مظلم ليس فيه بصيص من النور إلى حياه آمنه مزدهره بالعدل، تتلاشى فيها آهات المظلومين و أنين المحرومين و تنبسط فيها خيرات الله على عباده.

فزع أهل البيت:

و فزع أهل البيت عليهم السّلام كأشدّ ما يكون الفزع و داخلهم خوف رهيب من الاسر القرشيّه الذين و ترهم الإمام بسيفه و روى الأرض من دمائهم، و كانت ترتبص بهم الدوائر، و تبغى لهم الغوائل، و قد بات أهل البيت بأطول ليله، قد حاطت بهم

و حكى الإمام الصادق عليه السلام مدى ذعرهم و فزعهم بقوله:

«لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَاتَ أَهْلُ بَيْتِهِ كَأَنَّ لَا سَمَاءَ تَظْلَهُمْ، وَ لَا أَرْضَ تَقْلَهُمْ؛ لِأَنَّهُ وَ تَرِ الْأَقْرَبُ وَ الْأَبْعَدُ...».

و قد انصبّت المحن و الكوارث على العتره الطاهره بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله، فقد انتقمت منهم قريش، و أبعدهم عن مراكزهم، و حالت بينهم و بين ما أَرَادَهُ اللَّهُ وَ رَسُولَهُ لَهُمْ، وَ لَمْ تَمْضِ عَلَى انْتِقَالِهِ إِلَى حُضِيرِهِ الْقُدْسِ خَمْسُونَ عَامًا وَ إِذَا هُمْ بِمَوْكَبِ جَهِيرٍ يَجُوبُ الْأَقْطَارَ حَامِلِينَ رِءُوسَ أَبْنَائِهِ عَلَى أَطْرَافِ الرَّمَاحِ، وَ بَنَاتِهِ سَبَايَا يَتَصَفَّحْنَ وَجُوهَهُنَّ الْقَرِيبَ وَ الْبَعِيدَ.

تأبين الإمام للرسول:

و وقف الإمام عليه السلام على منبر الرسول صلى الله عليه و آله و هو يصوغ من حزنه كلمات و قال:

بأبى أنت و أمى يا رسول الله، و الله! إنَّ الجزع لقييح إلا عليك، و إنَّ الصبر لجميل إلا عنك، و إنَّ المصيبة بك لأجل، و إنَّ ما بعدك و ما قبلك لجلل، ثم قال:

«ما فاض دمعى عند نازله إلا جعلتك للبكا سببا

فإذا ذكرتك سامحتك به مقل الجفون ففاض و انسكبا

إنى أجل ترى حللت به من أن أرى بسواه مكتئبا» [١]

مؤتمر السقيفة

اشاره

و حكومه أبى بكر

ص: ٩٩

ليس في دنيا الإسلام كارثة مدمره امتحن بها المسلمون امتحانا عسيرا كحادثه السقيفه، فقد أولدت الأحقاد، و أجمت نار الفتن بين المسلمين، و فتحت أبواب الطمع و التهالك على السلطه بين الزعماء.

إن جميع ما عاناه الساده المعظمون من أهل البيت عليهم السلام يستند أولا و بالذات إلى مؤتمر السقيفه التي تعمد أعضاؤها على الغض من شأنهم، و معاملتهم معامله عاديه تتسم بالكراهه و الحقد عليهم، متناسين ما ألزمه الله تعالى بمودتهم قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى [١]، و ما حث عليه النبي صلى الله عليه و آله في لزوم مودتهم، و تعظيم شأنهم، فلم يرعوا لاهتمام النبي بهم، فأقصوهم عن مركز الحكم و عن جميع ما يتعلق بالدوله الإسلاميه التي أنشأها جدّهم الرسول، و قامت على أكتاف أخيه و باب مدينه علمه، لقد آلت الخلافه الإسلاميه - مع الأسي و الأسف - إلى بنى أميه فأمعنوا في ظلم العتره الطاهره و إبادتها، و ما كارته كربلاء الخالده في دنيا الأحزان إلا من تبعات السقيفه، و رحم الله الإمام كاشف الغطاء إذ يقول:

تالله ما كربلا لو لا سقيفتهم و مثل هذا الفرع ذاك الأصل أنتجه

إن الأحداث الجسام التي فزع منها المسلمون كإباحه مدينه النبي صلى الله عليه و آله، و حرق الكعبه، و تسلط الأشرار المارقين عن الدين على رقاب المسلمين أمثال بسر بن أرطاه، و المغيره بن شعبه، و زياد بن أبيه، و عبيد الله بن زياد و أمثالهم من الخونه

المجرمين الذين أمعنوا في ظلم المسلمين، و أغرقوهم في المآسى و الخطوب كلها قد نجمت من السقيفة، و ما يرتبط بها من أحداث.

و لسنا في البحث عن السقيفة خاضعين للمؤثرات المذهبية، نعوذ بالله أن نخضع لغير الحق ، و أن نكتب ما تمليه علينا العواطف التقليديه، و إنما نكتب هذه البحوث على ضوء الدراسة العلميه التي اقتبسناها من الوثائق التاريخيه، و حللنا أبعادها بأمانه و إخلاص، و فيما اعتقد أن كل من يتأمل في أحداث السقيفة يؤمن بأنها غير طبيعه و أنها دبّرت لصرف الخلافه عن أهل البيت.

و على أي حال فلا بد لنا من وقفه قصيره للبحث عن هذا الحادث المروع الذي ابتلى فيه المسلمون كأشدّ و أقسى ما يكون الابتلاء، و فيما يلي ذلك:

البواعث المؤتمر السقيفه

و عقد الأنصار في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه و آله مؤتمرا في سقيفه بنى ساعده، ضمّ الجناحين منهم الأوس و الخزرج، تداولوا فيه شئون الخلافه، و أن لا تخرج من حوزتهم، و لا يكونوا تبعاً لزعامة المهاجرين من قريش و تحت نفوذهم.

و الشيء الذي يدعو إلى التساؤل لما ذا سارعوا إلى عقد مؤتمرهم بهذه السرعه الخاطفه، و الرسول لم يغيبه عن عيون القوم مثواه، و أكبر الظنّ أن أسباب ذلك تتلخّص بما يلي:

أولاً: إنّ الأنصار قد استبان لهم بصوره مكشوفه لا خفاء فيها على تصميم المهاجرين من قريش للاستيلاء على الحكم بعد النبيّ صلى الله عليه و آله و صرفه عن الإمام أمير المؤمنين، و يدعم ذلك:

١ - إنّ المهاجرين من قريش أعلنوا رفضهم الكامل لبيعه الإمام يوم غدير خمّ ، فقد قالوا: لقد حسب محمّد أنّ هذا الأمر قد تمّ لابن عمّه و هيهات أن يتمّ ، و تناقلت

حديثهم معظم الأوساط في يثرب.

٢ - امتناع قادة المهاجرين من الالتحاق بجيش اسامه خوفاً أن يتم الأمر للإمام بعد وفاه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَفَلْتِ الزَّمَامِ مِنْهُمْ، وَ لَمْ يَكُنْ يَخْفَى عَلَى الْأَنْصَارِ ذَلِكَ.

٣ - قيام بعض المهاجرين بالحيلولة بين النبي و بين ما رآه من الكتابه التي تضمن لامته السعاده في جميع الأحقاب و الآباد - على حدّ تعبيره - فقد رموه بالهجر، و هو طعن مؤسف في شخصيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فامتنع بأبي و أمي من الكتابه التي تهدف إلى النصّ الصريح على خلفه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ثانياً: إنّ الأنصار كانوا على يقين لا يخامرهم شكّ أنّ المهاجرين من قريش كانوا حاقدين على الإمام؛ لأنّه قد وترهم، و حصد رءوس أعلامهم، و قد أعلن ذلك عثمان بن عفّان، فقد قال للإمام:

ما أصنع إن كانت قريش لا- تحبكم و قد قتلتم منهم يوم بدر سبعين رجلاً كأنّ وجوههم شنوف الذهب تصرع آنافهم قبل شفاهم... [١].

أرأيتم كيف صوّر عثمان لوعه القرشيين على فتیانهم و فرسانهم الذين أبادهم الإمام في يوم بدر و أبادتهم القوّات المسلّحه في الجيش الإسلامي.. و كانت قريش ترى أنّ الإمام عليه السّلام هو الذي وترها، فهي تطالبه بذحلها... و يقول الكناني من شعراء قريش محرّضاً لها على الوقيعه بالإمام:

في كلّ مجمع غايه أخزاكم جذع أبرّ على المذاكي القرح

لله درّكم ألما تذكروا قد يذكر الحرّ الكريم و يستحي

هذا ابن فاطمه [٢] الذي أفناكم ذبحاً بقتله بعضه لم يذبح

أين الكهول و أين كلّ دعامة في المعضلات و أين زين الأبطح [١]؟

و روى ابن طاوس عن أبيه أنّه قال للإمام زين العابدين:

ما بال قريش لا تحبّ علينا؟ فأجابهم الإمام:

لأنّه أورد أولهم النار، و ألزم آخرهم العار [٢].

لقد كان بغض القرشيين للإمام عليه السّلام مكشوفاً و غير خفى على أحد، و خاف الأنصار من استيلاء المهاجرين على دست الحكم فينزّلون بهم الضربات القاصمه لولا أنّهم للإمام عليه السّلام و مودّتهم له.

ثالثاً: إنّ الأنصار كانوا العمود الفقري للقوّات الإسلاميه، و قد أشاعوا الحزن و الحداد في بيوت القرشيين، و من المؤكّد أنّ القرشيين كانوا يحقدون أشدّ الحقد على الأنصار، و أنّهم لا يألون جهداً في الانتقام منهم، فلذا سارعوا في عقد مؤتمهم خشيه من المهاجرين، يقول الحنّاب بن المنذر و هو من مفكّري الأنصار:

لكنّنا نخاف أن يليها بعدكم من قتلنا أبناءهم و آباءهم و اخوانهم [٣].

و تحقّق ما تنبأ به الحنّاب، فإنّه لم يكّد ينتهي حكم الخلفاء القصير الأمد حتى آل الحكم إلى الأمويين فسعوا جاهدين في إذلالهم و التنكيل بهم. و قد أمعن معاويه في قهرهم و ظلمهم، و لمّا ولى الأمر بعده يزيد جهد على الوقيعه بهم فأباح دماءهم و أموالهم و أعراضهم في واقعه الحرّه المحزنه التي لم يشاهد التاريخ لها نظيراً في فظاعتها و قسوتها.

رابعاً: إنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله استشفّ من وراء الغيب ما تعانیه الأنصار من بعده من

فقال لهم: «ستلقون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض...» فخافوا كأشد ما يكون الخوف، فلذا بادروا إلى عقد مؤتمرهم ليكونوا بمأمن من الأثره و الجهد.

و فيما أحسب أنّ هذه العوامل بعض الأسباب التي أدت إلى عقد الأنصار مؤتمرهم في سقيفه بنى ساعده.

خطاب سعد:

و لَمَّا عقد الأنصار مؤتمرهم في السقيفه انبرى سعد بن عباده زعيم الخزرج إلى افتتاح مؤتمرهم، و كان مريضاً لا يتمكن أن يجهر بكلامه، و إنّما كان يقول: فيبلغ بعض أقربائه مقالته، و هذا نصّ كلامه:

يا معشر الأنصار، لكم سابقه في الدين، و فضيله في الإسلام ليست لأحد من العرب، إنّ محمّداً صلّى الله عليه و آله لبث في قومه بضع عشره سنه يدعوهم إلى عباده الرحمن و خلع الأنداد و الأوثان، فما آمن به إلاّ قليل، ما كانوا يقدرّون على منعه، و لا على إعزاز دينه، و لا على دفع ضميم حتى إذا أراد الله بكم الفضيله ساق إليكم الكرامه و خصّكم بالنعمة، و رزقكم الإيمان به و برسوله، و المنع له و لأصحابه، و الاعزاز له و لدينه، و الجهاد لأعدائه، فكنتم أشدّ الناس على عدوّه، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً و كرهاً، و أعطى البعيد المقاده صاغراً، فدانت لرسوله بأسيافكم العرب، و توفاه الله و هو عنكم راض، و بكم قرير العين.. استبدّوا بهذا الأمر دون الناس فإنّه لكم دونهم... [١].

و حفل خطاب سعد بالاشاده بإيمان الأنصار و بسالتهم و حمايتهم للإسلام، و أنّه قام على سوقه عبل الذراع مفتول الساعد بفضل جهادهم و نصرتهم له، فهم

الذين حموه أيام غربته و محنته.. فإذا هم أولى بالنبى ، و أحق بمركزه و مقامه، فإن من كان عليه العزم فهو أولى بالغنم.

و كان من بنود هذا الخطاب التنديد بالقرشيين الذين ناهضوا النبى صلى الله عليه و آله و ناجزوه الحرب، حتى اضطرّ إلى الهجره إلى يثرب، و ما آمن به من قومه إلا- فئه قليله لم تتمكّن من حمايته و الذبّ عنه... و بذلك فلاحق للقرشيين فى الخلافه و لا نصيب لهم بها.

المؤاخذه على سعد:

و تناسى سعد فى خطابه المصيبه العظمى التى دهمت المسلمين و هى موت سيّد الكائنات، فلم يشر إليها بقليل و لا بكثير، و لم يعزّ الأنصار بهذا الخطب المروع، كما تناسى فى خطابه العتره الطاهره التى هى وديعه النبى فى امته، و عديله القرآن الكريم، و لم يتعرّض لسيّد المسلمين و إمام المتّقين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذى هو باب مدينه علم النبى ، و من كان منه بمنزله هارون من موسى، فقد تجاهله سعد بالمزّه، و نسى البيعه له يوم غدير خمّ ، فدعا لنفسه و قومه.

لقد أخطأ سعد إلى حدّ بعيد، و لا مبرّر له فى عقد مؤتمره، فقد أخلد للامه الفتن و المصاعب، و ألقاها فى شرّ عظيم، و من ذلك اليوم عانت العتره الطاهره ألوانا قاسيه من الكوارث و الخطوب، و آلت الخلافه إلى الطلقاء و أبنائهم فاتخذوها مغنما و وسيله لنيل شهواتهم و رغباتهم، و لم يعد للامه أى ظلّ لمصالحها طيله الحكم الأموى و العباسى.

و على أى حال فقد لاقى سعد جزاء عمله، فإنه لم يكّد يستقرّ الحكم القصير الأمد إلى أبى بكر حتى جهد فى ملاحقته، و فرض الرقابه عليه حتى اضطرّ إلى الهجره إلى الشام، فتبعه خالد بن الوليد مع صاحب له، فكمننا له ليلا- و طعناه و ألقياه فى البئر، و تحدّثوا أنّ الجنّ هى التى قتلته و أوردنا على لسانها شعرا تفتخر فيه بقتله و هو:

نحن قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عباده و رميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده

و من الغريب أنّ دبلوماسيه الحكم فى ذلك العصر استخدمت الجنّ فى أغراضها السياسيه، و قد آمن بذلك البسطاء و السدّخ من غير وعى للأهداف السياسيه.

ضعف نفسه الأناصار:

و لم تكن للأناصار إرادته صلبه و لا عزم ثابت، فقد منوا بالضعف و الوهن و التخاذل، فكانوا بعد خطاب زعيمهم سعد متخاذلين، فقد أخذ بعضهم يقول لبعض: فإنّ أبى المهاجرون من قريش، و قالوا: نحن المهاجرون و أصحابه الأوّلون و عشيرته و أولياؤه فعلام تنازعون هذا الأمر بعده..

و انبرت طائفه منهم فقالوا:

فإنّا نقول: منّا أمير و منكم أمير، و لن نرضى بدون هذا أبدا..

و أظهرت هذه المحاوره ضعفهم و انهيار عزائمهم و خوفهم من المهاجرين من قريش، و ثار سعد حينما رأى منهم هذه الروح الانهزاميه فقال لهم:

هذا أوّل الوهن [١].

أجل إنّ هذا أوّل الوهن و آخره، فقد تنازلوا للقرشيين و شاركوهم فى الأمر فى حين أنّ الساحة قد خلت من كلّ قرشى، و قد دلّ هذا على عدم نضوجهم السياسى و عدم عمقهم، فإنّهم قد أحاطوا مؤتمهم بكثير من الكتمان ليسبقوا الأحداث و يظفروا بالحكم قبل أن يعلم المهاجرون من قريش، فقد ظلّوا قابعين فى هذا الصراع الفارغ فأضاعوا عليهم الفرصه، فقد دهمهم المهاجرون و سيطروا على

ص: ١٠٧

الوضع، و استلموا الحكم بمهاره فائقه كما سنين ذلك.

اختلاف الأنصار:

و شىء بالغ الأهميه فى انهزام الأنصار و عدم سيطرتهم على الموقف هو ما منوا به من الصراع القبلى بين الأوس و الخزرج، فقد كانت بينهما أحقاد و ضغائن منذ عهد بعيد، و شاعت بينهما الفتن و الحروب، و كان آخر أيام حروبهم هو (يوم بعاث) و كان ذلك قبل أن يهاجر النبى صلى الله عليه و آله إليهم، و لما حلّ فى ديارهم جهد على نشر المحبّه و الوئام فيما بينهم، و لكن لم تزل الأحقاد كامنه فى نفوسهم، و قد ظهرت بشكل سافر يوم السقيفه، فإنّه حينما عزموا على مبايعه سعد فقد عليه خضير بن أسيد زعيم الأوس، فقال لقومه:

لئن وليتموها - أى الخلافه - سعدا عليكم مرّه واحده لا زالت لهم بذلك الفضيله، و لا جعلوا لكم فيها نصيبا أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر [١].

و حكى ذلك مدى الحقد المستحكم فى نفوس الأوس للخزرج، فإنّ سعدا إذا ولى الحكم مرّه واحده تكون له فضيله على الأوس و تفوق عليهم، و فعلا فقد انبرى مع قومه فبايع أبا بكر و لولاه لما تمّ الأمر له.

و مضافا إلى الأحقاد بين الأوس و الخزرج إنّ بعض أبناء الخزرج الذين هم من أسره سعد كانوا يحقدون عليه، فهذا بشير بن سعد الخزرجى انبرى فبايع أبا بكر.

فذلكه عمر:

و شىء خطير بالغ الأهميه قام به عمر لتجميد الأوضاع و إيقاف أيّه عمليه تؤدى إلى انتخاب خليفه على المسلمين، فإنّ صاحبه أبا بكر لم يكن فى يثرب عند

وفاه النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وإِنَّمَا كَانَ فِي السَّنْحِ [١]، فَبَعَثَ خَلْفَهُ مِنْ يَأْتِي بِهِ عَلَى وَجْهِ السَّرْعَةِ، وَانْطَلَقَ عَمْرٌ وَهُوَ يَجُوبُ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ شَهَرَ السِّيفَ وَيُلَوِّحُ بِهِ وَيُنَادِي بِصَوْتٍ عَالٍ:

إِنَّ رَجَالَ- مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ مَاتَ، وَاللَّهُ! مَا مَاتَ وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ... وَاللَّهُ لِيَرْجِعَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ مِمَّنْ أَرْجَفُوا بِمَوْتِهِ...

وَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِأَحَدٍ يَقُولُ مَاتَ رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا خَبَطَهُ بِسَيْفِهِ وَتَهَدَّدَهُ وَتَوَعَّدَهُ.. [٢].

وَذَهَلَ النَّاسُ وَسَاوَرْتَهُمْ مَوَاجِدُ مِنَ الشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ، فَلَا يَدْرُونَ أَيْ صَدَّقُوا مَزَاعِمَ عَمْرِ بِحَيَاةِ النَّبِيِّ وَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَهِيَ مِنْ أَعَزِّ أَمَانِيهِمْ، وَ مِنْ أَرْوَعِ أَحْلَامِهِمْ، أَمْ يَصَدَّقُونَ مَا عَيْنُوهُ مِنْ جِثْمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ مَسْجِيٌّ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا حَرَكَ فِيهِ.

وَيَسْتَمِرُّ عَمْرٌ يَجُولُ فِي الْأَزْقَةِ وَالشُّوَارِعِ وَهُوَ يَبْرُقُ وَيَرْعُدُ حَتَّى أَزْبِدَ شِدْقَاهُ، وَهُوَ يَتَهَدَّدُ بِقَتْلِ مَنْ أَرْجَفَ بِمَوْتِ النَّبِيِّ وَبِقَطْعِ يَدِهِ، وَلَمْ يَمُضْ قَلِيلٌ مِنَ الْوَقْتِ حَتَّى أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْطَلَقَ مَعَهُ إِلَى بَيْتِ النَّبِيِّ فَكَشَفَ الرِّدَاءَ عَنْ وَجْهِهِ فَتَحَقَّقَ مِنْ وَفَاتِهِ، فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَأَخَذَ يَفْنَدُ مَزَاعِمَ عَمْرِ، وَخَاطَبَ الْجَمَاهِيرَ الَّتِي أَخْرَسَهَا الْخُطْبُ وَذَهَلَهَا الْمَصَابِ قَائِلًا:

مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ

ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [١] و صدق عمر بسرعه مقالته، و راح يقول: فو الله ما هو إلا إذا سمعتها فعقرت حتى وقعت على الأرض ما تحملنى رجلاى، و قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه و آله قد مات.. [٢].

نظرة و تأمل:

اشاره

و لم تكن الحادثه بسيطه و ساذجه، فقد حفت بالغموض و يواجهها عدّه من التساؤلات و هى:

١ - إن القرآن الكريم أعلن بصراحه و وضوح أنّ كلّ إنسان لا بدّ أن يسقى كأس المنيه، سواء أ كان نبياً أم غيره، قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ [٣]، و قال تعالى فى خصوص نبيّه: وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ...

و هذه الآيات الكريمه تتلى فى وضح النهار و فى غلس الليل، فهل خفيت على أبى حفص و لم يسمعها، و هو يصاحب رسول الله صلى الله عليه و آله و يماسيه، و يسمع منه ما يتلوه من كتاب الله.

٢ - إنّ عمر بالذات كان متفائلا بموت النبى صلى الله عليه و آله، فقد قال لاسامه بن زيد

حينما ولّاه النبيّ على الجيش الذي فيه عمر و أبو بكر: مات رسول الله و أنت عليّ أمير، و هذا يدلّ بوضوح على أنّه كان مطمئنًا بوفاته، مضافا إلى أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله في أيامه الأخيره قبل مرضه و بعده قد نعى نفسه إلى المسلمين.

٣- إنّ عمر هو الذي حال بين النبيّ صلّى الله عليه و آله و بين ما رامه من الكتابه التي ضمن فيها أن لا تضلّ أمته في جميع الأحقاب و الآباد، فقال له: حسبنا كتاب الله، و قال:

إنّ النبيّ يهجر، و من المؤكّد أنّه إنّما قال ذلك بعد الاعتقاد بوفاته، و لو كان يحتمل أنّ النبيّ لا يموت في مرضه لما قال ذلك.

٤- إنّ سكوت عمر و هدوء ثورته الجامحه حينما جاء أبو بكر و أعلن وفاه النبيّ ، فصدّقه و لم يناقشه، فإنّه يقضى على اتّفاق مسبق بينهما في ذلك.

٥- إنّ حكم عمر بأنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله سوف يرجع إلى الأرض و يقطع أيدي رجال و أرجلهم ممّن ارجفوا بموته لا يخلو من مناقشه، فإنّ تقطيع الأيدي و الأرجل و الحكم بالاعدام إنّما هو على الذين يخرجون عن دين الله أو يسمعون في الأرض فسادا، و الذهاب إلى موت الرسول لا يوجب ذلك قطعا.

٦- إنّ حكم أبي بكر بأنّ من كان يعبد محمّدا فإنّه قد مات، و من كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت لا يخلو من النظر؛ لأنّه لم يؤثر عن أى أحد من المسلمين أنّه كان يعبد محمّدا و اتّخذه ربّا يعبده من دون الله، و إنّما أجمع المسلمون على أنّه عبد الله و رسوله اختاره الله لوحيه، و اصطفاه لرسالته..

هذه بعض الملاحظات التي تحوم حول هذه الحادته، و قد ذكرناها في كتابنا (حياه الإمام الحسين عليه السّلام)

مداهمه الأنصار:

و بينما كان الأنصار في سقيفتهم يدبّرون أمرهم و يتداولون الرأى في شئون

الخلافة و يحدّدون موقفهم من المهاجرين من قريش إذ خرج من مؤتمهم - وهم لا يشعرون - عويم بن ساعده الأوسى، و معن بن عدى حليف الأنصار، و كانا من أولياء أبى بكر على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و من أعضاء حزبه، كما كانا من ألد أعداء سعد، فانطلقا مسرعين صوب أبى بكر، و أحاطاه علما بما جرى، و فرغ أبو بكر و عمر و سارعا نحو السقيفة، و معهما أبو عبيده بن الجراح، و سالم مولى أبى حذيفة، و جماعه من المهاجرين، فكسبوا الأنصار فى نذوتهم، و ذعر الأنصار و أسقط ما بأيديهم، و غاض لون سعد و خاف من خروج الأمر منهم، و ذلك لعلمه بضعف الأنصار و تصدّع وحدتهم، و فعلا فقد فشل سعد و انهارت جميع مخططاته.

خطاب أبى بكر:

و بعد أن داهم المهاجرون ندوه الأنصار أراد عمر أن يفتح الحديث معهم فنهروه أبو بكر، و ذلك لعلمه بشدّته، و هى لا تنجح فى مثل هذا الموقف الملبّد بالضغائن و الأحقاد، الأمر الذى يستدعى الكلمات الناعمة لكسب الموقف، فانبرى أبو بكر فخاطب الأنصار و قابلهم ببسمات فياضه بالبشر قائلا:

نحن المهاجرين أوّل الناس إسلاما، و أكرمهم أحسابا، و أوسطهم دارا، و أحسنهم وجوها، و أمسّهم برسول الله صلّى الله عليه و آله.

و أنتم اخواننا فى الإسلام، و شركاؤنا فى الدين، نصرتم و واسيتم فجزاكم الله خيرا، فنحن الأمراء و أنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحىّ من قريش، فلا تنفسوا على اخوانكم المهاجرين ما فضّلهم الله به، فقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين - يعنى عمر بن الخطّاب و أبا عبيده بن الجراح [١] -.

و منى خطاب أبى بكر بكثير من التساؤلات، كان منها ما يلى:

١ - إنّه لم يعن بصوره مطلقه بوفاه النبىّ صلّى الله عليه و آله التى هى أعظم كارثه مدّمّره فجع بها المسلمون، فكان الأجدر به - فيما يقول المحقّقون - أن يعزّى الحاضرین بوفاه المنقذ العظيم الذى برّ بدين العرب و دنياهم، و يدعوهم إلى الالتفاف حول جثمانه حتى يواروه فى مقزّه الأخير، و يعودوا بعد ذلك إلى عقد مؤتمر عامّ يضمّ المسلمين لينتخبوا عن إرادتهم و حرّيتهم من يرضونه خليفه لهم - على فرض أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله لم يعهد إلى الإمام عليه السّلام بولايه العهد -.

٢ - إنّ هذا الخطاب قد حفل أوّلا و أخيرا بطلب الامر و السلطان، و قد عرض أبو بكر على الأنصار التنازل عن الخلافه و منحها للمهاجرين و منّاهم عوض ذلك أن تكون لهم الوزاره، إلّا أنّه من المؤسف لّمّا تمّ له الأمر لم يقلّمدهم أى منصب من مناصب الدوله و أقصاهم عن جميع مراتب الحكم.

٣ - و تجاهل خطاب أبى بكر بالمرّه حقّ الاسره النبويه التى هى عديله القرآن، أو كسفينه نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق و هوى، حسبما تواترت الأخبار بذلك عن النبىّ صلّى الله عليه و آله.

و كان الأجدر بأبى بكر التريث بالأمر حتى يتمّ تجهيز النبىّ صلّى الله عليه و آله، و يؤخذ رأى عترته الطاهره فى الخلافه حتى تحمل طابعا شرعيا، و لا يحدث انقسام بين صفوف المسلمين، و لا توصم بيعته بأنّها فلتة و قى الله المسلمين شرّها - كما يقول عمر -، و علّق الإمام شرف الدين على إهمال العتره الطاهره و عدم أخذ رأيها فى بيعه أبى بكر بقوله:

لو فرض أنّ لا نصّ بالخلافه على أحد من آل محمّد صلّى الله عليه و آله، و فرض كونهم غير

مبرزين فى حسب أو نسب أو أخلاق أو جهاد أو علم و عمل أو إيمان أو إخلاص، و لم يكن لهم السبق فى مضامير كل فضل، بل كانوا كسائر الصحابه، فهل كان مانع شرعى أو عقلى أو عرفى يمنع من تأجيل عقد البيعه إلى فراغهم من تجهيز رسول الله صلى الله عليه و آله، و لو بأن يوكل حفظ الأمن إلى القيادة العسكريه مؤقتا حتى يستتب أمر الخلافه.

أليس هذا المقدار من التريث كان أرفق بأولئك المفجوعين و هم وديعه النبى لديهم، و بقيته فيهم، و قد قال الله تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ [١]؟ أليس من حق هذا الرسول الذى يعز عليه عنت الامه، و يحرص على سعادتها و هو الرءوف بها الرحيم لها أن لا تعنت عترته فلا تفاجأ بمثل ما فوجئت به، و الجرح لَمَا يندمل و الرسول لما يقبر [٢].

٤ - إن الحجّه التى استند إليها أبو بكر فى أحقيّه المهاجرين للخلافه هى أنهم أمسّ الناس رحما برسول الله صلى الله عليه و آله، و أقربهم إليه، و بهذه الحجّه تغلب على الأنصار، و ممّا لا ريب فيه أنّ هذا الملاك متوفّر فى أهل البيت فهم ألصق الناس به، و أمسّهم رحما به،

و قد عرض لذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

احتجّوا بالشجره، و أضاعوا الثمره.

و أثر عنه أنّه خاطب أبا بكر بقوله:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا و المشيرون غيب

و إن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبى و أقرب

و قال الإمام عليه السلام في حديث له:

«و الله! إني لأخوه - أي أخو النبي -، و وليه، و ابن عمه، و وارث علمه، فمن هو أحقّ به منّي...؟».

و التفت المتكلّمون من الشيعة إلى هذه الجهة، يقول الكميت في إحدى روائعه:

بحقّكم أمست قريش تقودنا و بالقذّ منها و الرديفين نركب

و قالوا ورتناها أبانا و أمنا و ما ورتتهم ذاك أمّ و لا أب

يرون لهم فضلا على الناس واجبا سفاها و حقّ الهاشميين أوجب [١]

و على أي حال فقد أعرض القوم عن أهل البيت عامدين أو غير عامدين، فواجهت الامة منذ ذلك اليوم إلى أن يرث الله الأرض و ما عليها أعنف المشاكل و أفسى ألوان الخطوب.

٥ - إنّ أبا بكر في خطابه رشّح لقياده الامة عمر و أبا عبيده بن الجراح، و كان ذلك منه التفاته بارعه، فقد جرّد نفسه من الأطماع السياسيّه، و غزا نفوس الأنصار، و ملك عواطفهم و مشاعرهم، و قد أجابه عمر بلباقه:

لا يكون هذا و أنت حيّ، ما كان أحد ليؤنّرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله صلّى الله عليه و آله...

و علّق بعض المحقّقين على مقاله عمر بقوله: لا نعلم متى أقامه رسول الله صلّى الله عليه و آله، أو دلّل عليه، و قد كان مع بقيته المهاجرين جنودا في سريه أسامه، و لو كان قد رشّحه للخلافه لأقامه معه في يثرب، و ما أخرجه إلى ساحات الجهاد.

هذه بعض الملاحظات التي تواجه خطاب أبي بكر.

فوز أبي بكر بالحكم:

و كسب الموقف أبو بكر في خطابه السالف الذي أثنى فيه على الأنصار، فقد مَنّاهم بالوزاره، و أزال ما في نفوسهم ما كانوا يحذرونه من استبداد المهاجرين بالحكم، إلا أنّ بعض الأنصار شجب البيعه لأبي بكر، فردّ عليه عمر بعنف قائلاً:

هيهات لا يجتمع اثنان في قرن، و الله! لا ترضى العرب أن يؤمروكم و نبئها من غيركم، و لكن العرب لا تمتنع أن تولّى أمرها من كانت النبوءه فيهم، و ولى امورهم منهم، و لنا بذلك على من أبى الحجّه الظاهره و السلطان المبين من ذا ينازعنا سلطان محمّد و امارته و نحن أولياؤه و عشيرته؟ إلا مدل بباطل أو متجانف لائم أو متورّط في هلكه..

و ليس في هذا الكلام شيء جديد سوى أنّ المهاجرين من قريش أولى بالرسول لأنهم من أسرته القرشيه، و إذا أخذوا الحكم بهذه الحجّه و سيطروا على الموقف بها فإنّ عليّاً أولى لأنّه من صميم الاسره النبويه بالاضافه إلى جهاده و جهوده في سبيل الإسلام، يقول الأستاذ محمّد الكيلاني:

إنّه احتجّ عليهم - أي على آل النبيّ - بقرابه المهاجرين للرسول، و مع ذلك فقد كان واجب العدل يقضى بأن تكون الخلافه لعليّ بن أبي طالب ما دامت القرابه اتّخذت سنداً بحيازه ميراث الرسول، لقد كان العباس أقرب الناس إلى النبيّ، و كان أحقّ الناس بالخلافه، و لكنّه تنازل بحقّه هذا لعليّ، فمن هنا صار لعليّ الحقّ وحده في هذا المنصب [١].

و عليّ أي حال فإنّ عمر لم ينته من كلامه حتى ردّ عليه الحباب بقوله:

يا معشر الأنصار، املكوا عليكم أمركم، و لا تسمعوا مقاله هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم فاجلوهم عن هذه البلاد، و تولّوا عليهم هذه الامور، فأنتم - و الله! - أحقّ بهذا الأمر منهم؛ فإنّه بأسيافكم، دان الناس لهذا الدين من دان ممّن لم يكن يدين، أنا جديها المحك، و عذيقها المرجب، أنا شبل في عرينه الأسد و الله! لو شتّم لنعيدها جذعه، و الله! لا يرد أحد علىّ ما أقول إلّا حطّمت أنفه بالسيف..».

و حفل هذا الخطاب بالعنف و التهديد، و الدعوه إلى الحرب، و إجلاء المهاجرين - الذين لا يتجاوز عددهم الأصابع - عن يثرب، كما حفل بالاعتزاز بنفس المتكلّم و الافتخار بشجاعته، و ردّ عليه عمر بغيظ قائلاً:

إذا يقتلك الله...

فردّ عليه الحباب:

بل إياك يقتل..

و خاف أبو بكر من تطوّر الأحداث فهدأ الموقف و بادر أعضاء حزبه بسرعه خاطفه فبايعوه، و كان أوّل من بايعه عمر و بشير و أسيد بن خضير و عويم بن ساعده و معن بن عدى و أبو عبيده بن الجرّاح و سالم مولى أبي حذيفه، و كان من أشدّهم حماسا و اندفاعا لبيعته عمر و خالد بن الوليد، و اشتدّ هؤلاء في حمل الناس و إرغامهم على مبايعه أبي بكر، و جعل عمر يجول و يصول و يدفع الناس دفعا إلى البيعه، و من أبي علاه بدرته، و سمع الأنصار يقولون:

قتلتم سعدا...

فاندفع يقول بعنف:

اقتلوه قتله الله، فإنّه صاحب فتنه..

ص: ١١٧

و كادوا يقتلون سعدا، و هو مزمّن و جع، و حمل إلى داره و هو و جع قد انهارت آماله و تبددت أحلامه و ضاعت أمانيه.

و انتهت البيعه لأبى بكر بهذه السرعة، فأقبل به حزبه يزفونه إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله زفاف العروس إلى بيت زوجها [١]، و قد علا منهم التكبير و التهليل، و كان النبى صلى الله عليه و آله مسجى فى فراش الموت لم يغيبه عن عيون القوم مثواه، و قد انشغل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بتجهيزه، و لَمّا علم بيعه أبى بكر تمثّل بقول القائل:

و أصبح أقوام يقولون ما اشتها و يطغون لما غال زبد غوائل [٢]

و على أى حال لقد تمّت البيعه لأبى بكر بهذه الكيفيه التى اهمل فيها رأى الاسره النبويه و رأى خيار الصحابه أمثال الطيب ابن الطيب عمّار بن ياسر و أبى ذرّ و سلمان الفارسى و غيرهم من أعلام الإسلام.

هزيمه الأنصار:

و أفل نجم الأنصار و انهارت قواهم، و عراهم الذلّ و الهوان، و قد حكى حسان ابن ثابت خيبه آمالهم بقوله:

نصرنا و آوينا النبى و لم نخف صروف الليالى و البلاء على و جل

بذلنا لهم أنصاف مال أكفنا كقسمه أسار الجزور من الفضل

فكان جزاء الفضل مّنا عليهم جهالتهم حمقا و ما ذاك بالعدل [٣]

و تعرّضت الأنصار للمحن و الخطوب فى كثير من عهود الخلفاء و الملوّك،

و كان ذلك جزاء ما اقترفوه في حق العتره الطاهره، فهم الذين فتحوا الباب لظلمهم و الاعتداء عليهم.

ابتهاج القرشيين:

و ابتهجت الاسر القرشيه بحكومته ابي بكر و اعتبرته فوزا ساحقا لهم، و قد عبّر عن مدى فرحها و سرورها أبو عبره القرشي بقوله:

شكرا لمن هو للثناء حقيق ذهب اللجاج و بويح الصديق

من بعد ما زلت بسعد نعله و رجا رجاء دونه العيوق

إنّ الخلافه في قريش ما لكم فيها و ربّ محمّد معروق [١]

و حكى هذا الشعر سرور القرشيين البالغ بحرمان الأنصار من الخلافه، كما أظهر عمرو بن العاص سروره و فرحه ببيعه ابي بكر، و لم يكن في يثرب و إنما كان في سفر له، فلما قدم و سمع بالبيعه قال:

قل لأوس إذا جئتها و قل إذا ما جئت للخزرج

تمنيتم الملك في يثرب فأنزلت القدر لم تنضج [٢]

لقد عمّت الفرحة الكبرى جميع القرشيين ببيعه ابي بكر، فقد تخلّصوا من حكمه الأنصار و حكمه الاسره النبويه.

موقف ابي سفيان:

و أعلن أبو سفيان معارضته لحكومته ابي بكر، و مضى إلى الإمام عليه السلام يحفّزه على فتح باب الحرب على ابي بكر، و يعده بنصره إن نهض لاسترداد حقه يقول له:

إِنِّي لأرى عجاجه لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من اموركم.

أين المستضعفان؟ أين الأذلان على و العباس؟..

ما بال الأمر في أقل حي من قريش؟ ثم قال للإمام:

ابسط يدك اباعك، فوالله! لئن شئت لأملأها عليه خيلا و رجالا، و تمثل بشعر المتلمس:

و لن يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان غير الحي و الوتد

هذا على الخسف مربوط برمته و ذا يشج فلا يبكي له أحد

و قال أبو سفيان:

و أضحت قريش بعد عزّ و منعه خضوعا لتيمن لا بضرب القواضب

فيا لهف نفسي للذي ظفرت به و ما زال منها فائزا بالرغائب [١]

و لم يكن موقف أبي سفيان متّسما بالإخلاص و الولاء للإمام، فهو العدوّ الأوّل للإسلام و للمسلمين، و لم تكن تخفى على الإمام دوافعه، فلم يستجب له و نهره و أغلظ له في القول قائلا:

«و الله! ما أردت بهذا إلا الفتنة، و إنك و الله! طالما بغيت للإسلام شرا، لا حاجة لنا في نصيحتك» [٢].

و راح أبو سفيان يشتدّ لإثاره الفتنة بين المسلمين، و يدعو الإمام إلى إعلان الثورة على حكومه أبي بكر، و كان ينشد هذه الأبيات:

ص: ١٢٠

بنی هاشم لا تطمعوا النَّاسَ فیکم و لا سیما تیم بن مرّه أو عدی

فما الأمر إلا فیکم و إلیکم و لیس لها إلا أبو حسن علی

أبا حسن فاشدد بها کفّ حازم فإنّک بالأمر الذی یرتجى علی [١]

و من المؤکّد أنّه لم تکن معارضه أبی سفیان ناشئه عن إیمان بحقّ الإمام و إخلاص له، فإنّه بعید عن ذلك کلّ البعد، و إنّما كانت عواطف کاذبه أراد بها الکید للإسلام و البغی علیه، و تمزیق صفوف المسلمین، و لذا أعرض الإمام عنه و لم یعر لکلامه أی اهتمام.

لقد كانت علاقته أبی سفیان بأبی بکر و ثیقه للغایه، فقد روى البخاری أنّ أبا سفیان اجتاز علی جماعه من المسلمین فیهم أبو بکر و سلمان و صهیب و بلال فقال بعضهم:

أ ما أخذت سیوف الله من عنق عدوّ الله مأخذها؟ فزجرهم أبو بکر قائلا:

أ تقولون هذا لشیخ قریش و سیدهم؟ و مضى

أبو بکر مسرعا إلى النبی صلی الله علیه و آله فأخبره بمقاله القوم فی أبی سفیان، فردّ علیه النبی قائلا: «یا أبا بکر، لعلّک أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت الله...» [٢].

و دلّت هذه البادره علی الصله الوثیقه بینهما، كما كانت الصله و ثیقه للغایه بین أبی سفیان و عمر، فقد أفرد عمر غرفه فی داره فرشها بأحسن فرش، و لم یسمح

لأحد بالدخول إليها إلا لأبي سفيان، وقد سئل عن ذلك فقال: هذا شيخ قريش [١].

و على أى حال فقد جهد أبو بكر فى استماله أبى سفيان و كسب عواطفه، فقد استعمله عاملا على ما بين آخر الحجاز و آخر حدّ من نجران [٢]، كما عيّن ولده يزيد واليا على الشام، و لم يعيّن أحدا من أعلام المسلمين واليا فى هذا المكان الحساس، و يقول المحلّلون للأخبار إنّ نجم بنى أمية قد علا فى أيام حكمه أبى بكر.

موقف الإمام من بيعه أبى بكر:

و أجمع المؤرّخون و الرواه على أنّ موقف الإمام تجاه بيعه أبى بكر كان متّسما بالكراهيه و عدم الرضا، فهو أحقّ بالخلافه و أولى بها من غيره؛ لأنّه ألصق الناس برسول الله صلّى الله عليه و آله، بالاضافه إلى ما يتمتّع به من القابليات الفدّه و المواهب العظيمة التى لم تتوفّر بعضها فى غيره، و ما كان يظنّ أنّ القوم يزعجون هذا الأمر و يخرجونه عنه، فقد بادره عمّه العباس قائلا:

يا ابن أخى، امداد يدك اباعك فيقول الناس عمّ رسول الله صلّى الله عليه و آله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يختلف عليك اثنان..

فردّ عليه الإمام: «من يطلب هذا الأمر غيرنا...» [٣].

و علّق الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى على ذلك بقوله:

نظر العباس فى الأمر فرأى ابن أخيه أحقّ منه بورائه السلطان؛ لأنه ربيب النبى ، و صاحب السابقيه فى الإسلام، و صاحب البلاء الحسن الممتاز فى المشاهد

كلها؛ ولأنّ النبيّ كان يدعوه أخاه حتى قالت له أمّ أيمن ذات يوم مداعبه: تدعوه أخاك و تزوّجه ابنتك؟ ولأنّ

النبيّ قال له: «أنت منّي بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدى»،

وقال للمسلمين يوماً آخر: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، من أجل ذلك أقبل العباس بعد وفاه النبيّ على ابن أخيه وقال له: ابسط يدك اباعك.. [١].

وعلى أى حال فإنّ الإمام امتنع عن بيعه أبى بكر، وأعلن سخطه البالغ على ذلك فى كثير من خطبه و كلماته.

امتناع الإمام من البيعه:

وأجمع رأى الجهاز الحاكم على ارغام الإمام و قسره على البيعه لأبى بكر، فأرسلوا حفنه من الشرطه فأحاطت بداره، و أمامهم عمر بن الخطّاب و هو يرعد و يبرق و يتهدّد و يتوعّد، و بيده قبس من نار يريد أن يحرق بيت الوحي، فخرجت إليه حبيبه الرسول و بضعته الصديقه الطاهره الزهراء فصاحت به:

«ما الذى جئت به يا ابن الخطّاب؟».

فأجابها بعنف: الذى جئت به أقوى ممّا جاء به أبوك [٢].

و أخرج الإمام بعنف، و جىء به إلى أبى بكر، فصاح به حزبه:

بايع أبى بكر.

فأجابهم الإمام بحجته الدامغه - و هو غير و جل من جبروتهم - قائلا:

«أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا ابايعكم و أنتم أولى بالبيعه لى، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، و احتججتم عليهم بالقرايه من النبى صلى الله عليه و آله، و تأخذونه منّا أهل البيت غصبا، أ لستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمّد صلى الله عليه و آله منكم فأعطوكم المقاده و سلّموا إليكم الإمارة؟ و أنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيا و ميّتا فانصفونا إن كنتم تؤمنون و إلاّ فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون» [١].

و حكى هذا الخطاب الحجّه التى تغلب بها المهاجرون من قريش على الأنصار، و هى قربهم من النبى صلى الله عليه و آله، فإنّها متوفّره فيه على أكمل الصور و الوجوه، فهو ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه و آله، و أبو سبطيه، و ختنه على ابنته، و لم يجد هذا المنطق الفياض مع القوم، فاندفع عمر بعنف قائلا:

بايع.

«و إن لم أفعل؟».

و الله! الذى لا إله إلاّ هو نضرب عنقك.

و نظر الإمام فإذا ليس له معين و لم يكن يأوى إلى ركن شديد، فقال بصوت حزين النبرات:

«إذن تقتلون عبد الله و أخوا رسوله».

ص: ١٢٤

و اندفع ابن الخطّاب بثوره قائلاً:

أمّا عبد الله فنعم، و أمّا أخو رسوله فلا.

و نسي عمر أنّ الإمام أخو النبيّ و باب مدينه علمه، و التفت إلى أبي بكر يحثّه على الوقيعه به قائلاً:

ألا تأمر فيه بأمرك؟...

و خاف أبو بكر من الفتنه فقال:

لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمه إلى جانبه...

و انبرى أبو عبيده بن الجراح، و هو من أبرز أنصار أبي بكر فخاطب الإمام قائلاً: يا ابن عمّ ، إنك حدث السنّ و هؤلاء مشيخه قومك، ليس لك مثل تجربتهم و معرفتهم بالامور، و لا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك و أشدّ احتمالاً و اضطلاعاً به، فسلم الأمر لأبي بكر، فإنك إن تعش و يطل بك بقاء، فأنت لهذا الأمر خليك، و به حقيق في فضلك و دينك و علمك و سابقتك و نسبك و صهرك....

و أثارت هذه المخادعه كوا من الألم و الأسى في نفس الإمام فاندفع يخاطب المهاجرين و يعظهم قائلاً:

«الله الله يا معشر المهاجرين! لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره، و قعر بيته إلى دوركم و قعور بيوتكم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقّه..»

فو الله يا معشر المهاجرين! لنحن أحقّ الناس به - لأننا أهل البيت -، و نحن أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كان فينا إلا القارى لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله صلّى الله عليه و آله، المضطلع بأمر الرعيه، الدافع عنهم الأمور السيئه، القاسم بينهم بالسويّه، و الله! إنّه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقّ بعداً» [١].

و حفل كلام الإمام عليه السّلام بما يتمّتع به أهل البيت من الصفات القيادية من الفقه بدين الله و العلم بسنن رسول الله، و الاضطلاع بامور الرعيه، و غير ذلك من الصفات التي يعتبرها الإسلام فيمن يتولّى شؤون الحكم، و هي لم تتوفّر إلا في أهل البيت عليهم السّلام.

احتجاجات صارمه:

اشاره

و تخلّفت الاسره النبويه و من يتّصل بها من أعلام الإسلام عن بيعه أبي بكر، و احتجّت عليه بحجج دامغه بأن آل النبي صلّى الله عليه و آله أولى بمقامه، و أحقّ بمركزه منه، و نعرض لها فيما يلي:

١ - احتجاج الإمام أمير المؤمنين:

و احتجّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام بكوكبه من الاحتجاجات الصارمه على أبي بكر، و قد ذكرنا احتجاجاته عليه و على غيره في جزء خاصّ من هذه الموسوعه.

٢ - الزهراء:

اشاره

احتجّت سيّده نساء العالمين على أبي بكر و غيره بحجج بالغه على أحقيه الإمام للخلافه، و ندّدت بما اقترفه القوم من إقصاء الإمام عنها، و أنّ الامّه من جرّاء ذلك ستواجه أعنف المشاكل و أقسى ألوان الخطوب،

قالت سلام الله عليها:

ويحهم أنّي زحزحوها - أي الخلافه - عن رواسي الرّسالة، و قواعد التّبوّه، و مهبط الرّوح الأمين! و الطّبن [١] بأمور الدّنيا و الدّين، ألا ذلك هو الخسران الميبين،

ص: ١٢٤

و ما الذى نقموا من أبى الحسن ؟ نقموا و الله! منه نكير سيفه، و قلبه مبالاته لحتفه، و شده وطأته، و نكال وقعته، و تنمره فى ذات الله.

و تالله لو مالوا عن المحجّه اللائحه، و زالوا عن قبول الحجّه الواضحه، لردّهم إليها، و حملهم عليها، و لساّر بهم سيرا سجحا [١]، لا يكلم خشاشه [٢]، و لا يكلّ سائره، و لا يملّ راكمه، و لأوردهم منهلا نميرا صافيا رويا، تطفح ضفتاه [٣]، و لا يترنق جانباه، و لأصدرهم بطانا [٤]، و نصح لهم سرا و إعلانا.

ألا- هلمّ فاسمع، و ما عشت أراك الدهر عجبا! أما لعمري، لقد لقحت، فنظره ريثما تنتج، ثمّ احتلبوا ملء القعب دما عبيطا، و ذعافا [٥] مبيدا، هنالك يخسر المبطون، و يعرف التّالون غبّ ما أسيس الأوّلون. ثمّ طيبوا عن دنياكم أنفسا، و اطمئنّوا لفتنه جأشا، و أبشروا بسيف صارم، و سطوه معتد غاشم، و بهرج شامل، و استبداد من الظّالمين، يدع فيثكم زهيدا، و جمعكم حصيدا.

فيا حسره لكم، و أنى بكم، و قد عميت علىكم أنزلكموها و أنتم لها كارهون [٦].

استبدلوا و الله! الدّناى بالقوادم، و العجز بالكاهل [٧]، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا. ألا إنّهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون، ويحهم

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [١]؟ [٢].

محتويات الاحتجاج:

و شجبت بضعه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي خطابها على نساء الأنصار و المهاجرين بيعه أبى بكر، و أنهم قد جافوا بها عتره الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و قد حفل خطابها الذائع البليغ بما يلي:

أولاً: أنها أدلت بالأسباب التي من أجلها أعرض القوم عن بيعه الامام، و هي:

١ - نكير سيف الإمام الذى حصد به رءوس المشركين من قريش، ذلك السيف الذى كان معجزه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و قد أولد فى نفوس القوم حقدا على الإمام و كراهيه له.

٢ - شدّه وطأه الإمام، فإنّه لم يصانع طيله حياته، و لم يهب أحدا، و لم تأخذه فى الله تعالى لومه لائم، الأمر الذى ملأ قلوب أعداء الله عليه غيظا و حنقا.

٣ - تنمره فى ذات الله، فقد وهب حياته لله تعالى، و تنكّر للقريب و البعيد إرضاء لله و تفانيا فى طاعته... هذه هى الأسباب التى أدّت إلى إعراض القوم عن بيعه الإمام عليه السّلام.

ثانيا: إنّ الامّه لو تابعت الإمام و أخذت بهديه لظفرت بما يلي:

١ - أن يسير فيهم بسيره العدل الخالص، و الحقّ المحض، و يحكم فيهم بما أنزل الله.

٢ - أنه يوردهم منهلا عذبا و يقودهم إلى شاطئ الأمن و السلام.

٣ - أنه ينصح لهم في السرّ والعلايه، ويهديهم إلى سواء السبيل.

٤ - أنّ الإمام لو تقلّد زمام الحكم لما تحلّى من دنياهم بطائل، و ما استأثر من أموالهم بشيء من متع الحياه، و حينما صارت إليه الخلافه اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعامه بقرصيه، و ما وضع لبنه على لبنه، و عاش عيشه الفقراء البائسين، و هو القائل:

أ أقنع من نفسى بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، و لا أشاركهم فى مكاره الدهر و جشوبه العيش! ٥ - أنّ الإمام لو تقلّد الحكم بعد النبىّ صلّى الله عليه و آله لانتشرت خيرات الله و بركاته و عمّت جميع أنحاء الأرض، و لأكل الناس من فوق رءوسهم و من تحت أرجلهم، و لكن المسلمين حرموا أنفسهم و حرموا الأجيال الآتية من بعدهم، فقد استبدلوا الذنابى بالقوادم، و العجز بالكاهل، فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون.

ثالثا: إنّ بضعه الرسول صلّى الله عليه و آله استشفت من وراء الغيب ما تعانيه الامه من الأزمات و الخطوب من جزاء ما اقترفه القوم من إقصاء الإمام عليه السلام عن الحكم و هى:

١ - انتشارات الفتن بين المسلمين و تفلّل و حدتهم.

٢ - تنكيل السلطات الحاكمه بهم.

٣ - استبداد الظالمين بشئونهم.

و قد تحقّق كلّ ذلك على مسرح الحياه الإسلاميه حينما ولى معاويه على المسلمين فأمعن فى ظلمهم و إرهابهم، و سلط عليهم جلاوزته الجلاّدين أمثال سمره بن جندب و المغيره بن شعبه و زياد بن أبيه، و بسر بن أرطاه و أمثالهم من الجناه الذين لا يرجون لله و قارا، فنشروا الخوف و أخذوا الناس بالظنّه و التهمه، خصوصا فى عهد زياد؛ فقد سمل الأعين، و استخراج قلوب المسلمين، و صلب على جذوع

النخل، أبعدہ اللہ عن رحمته.

و ولى معاويه من بعده ابنه يزيد صاحب الاحداث و الموبقات، فاقترف من الجرائم ما لا توصف لمرارتها و قسوتها، و أخذ للمسلمين الفتن و المصائب و ذلك بإبادته لعتره رسول اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ فی صعيد كربلاء، مضافا إلى ما اقترفه فی المدينه المنوره من الآثام، فقد أباحها لجنده و حمل أهلها على البيعه له على أنهم عبيد له، كما هدم الكعبه و أحرقتها بالنار.

استنجد الزهراء بنى قيله:

و استنجدت بضعه الرسول و ريحانته بنى قيله، و هم القوه الضاربه من الأنصار فى الجيش الإسلامى فقالت لهم:

«أيها بنى قيله، أأهضم تراث أبى و أنتم بمرأى منى و مسمع و منتدى و مجمع، تلبسكم الدعوه، و تشملمكم الخيره، و أنتم ذوو العدد و العدّه و الأداه و القوه، و عندكم السلاح و الجئه، توافيكم الدعوه فلا- تجيون، و تأتيكم الصيرخه فلا تغيثون، و أنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير و الصلاح، و النخبه التى انتخبتم، و الخيره التى اختيرت لنا أهل البيت.

قاتلتم العرب، و تحمّلتكم الكدّ و التعب، و ناطحتم الامم، و كافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتّى إذا دارت بنا رحى الإسلام، و درّ حلب الأييام، و خضعت نعره الشرك، و سكنت فوره الإفك، و خمدت نيران الكفر، و هدأت دعوه الهرج، و استوسق نظام الدين، فأنى حزتم بعد البيان، و أسررتم بعد الإعلان، و نكصتم بعد الإقدام، و أشركتم بعد الإيمان؟ [١].

و أثارَت حفاظ النفوس، و ألهمت نار الثوره فى النفوس، إلا إنّ أبا بكر استقبلها

باحترام بالغ، فأحمد الثوره و شل حركتها.

٣ - الإمام الحسن:

كان الإمام الحسن عليه السلام لا يتجاوز عمره سبع سنين حينما ولي أبو بكر، فقد انطلق إلى مسجد جدّه فرأى أبا بكر على المنبر، فوجّه إليه لاذع القول قائلاً:

«انزل عن منبر أبي و اذهب إلى منبر أبيك...».

فبهت أبو بكر و أخذته الحيره و الدهشه، و استردّ خاطره فقال له بناعم القول:

صدقت، و الله! إنّه لمنبر أبيك لا منبر أبي [١].

إنّ احتجاج الإمام الحسن عليه السلام و هو فى غضون الصبا انبعث عن طموح و عبقرية و ذكاء، كان يرى المنبر يرقاه جدّه الرسول صلّى الله عليه و آله، و هو لا يجد أحداً خليفاً بأن يرقاه سوى أبيه سيّد الأوصياء.

٤ - سلمان الفارسي:

و هو من أكثر الصحابه و عيا للإسلام و إحاطه بأحكامه و مبادئه، و قد عنى به الرسول فألحقه بأسرته، فقال:

«سلمان منّا أهل البيت»،

«لا تقولوا سلمان الفارسيّ و لكن قولوا سلمان المحمّدي»، و حرّم عليه الصدقه كما حرّمها على أهل بيته،

فقال:

«الصّيدقه حرام على سلمان»، و لمّا رأى هذا الصحابي العظيم الخلافه قد انتزعت من العتره الطاهره اندفع إلى الانكار على أبي

بكر فقال له:

ص: ١٣١

يا أبا بكر، إلی من تسند أمرک إذا نزل بک ما لا تعرفه، و إلی من تفزع إذا سئلت عما لا تعلمه، و ما عذرک فی تقدّمک علی من هو أعلم منک، و أقرب إلی رسول الله، و أعلم بتأویل کتاب الله عزّ و جلّ و سنّه نبیّه، و من قدّمه النبی فی حیاته و أوصاکم به عند وفاته، فنبدتم قوله، و تناسیتم وصیّته، و أخلفتم الوعد، و نقضتم العهد، و حللتم العقد الذی کان عقده علیکم من النفوذ تحت رایه اسامه [١].

و فی هذا الاحتجاج دعوه إلی الحقّ، و دعوه إلی جمع الکلمه، و وحده الصفّ، و تسلیم الأمر إلی أعلم من فی الامّه و هو الإمام أمير المؤمنین علیه السّلام.

٥ - عمّار بن یاسر:

و عمّار بن یاسر من المساهمین فی بناء صرح الإسلام، و من المعدّین فی سبیل الله، و کان أثیرا عند النبی صلی الله علیه و آله، و من خلّص أصحابه، و لما آلت الخلافه إلی أبی بکر اندفع إلی الانکار علیه و علی القرشیین قائلا:

یا معاشر قریش، و یا معاشر المسلمین، إن کنتم علمتم و إلاّ - فاعلموا أنّ أهل بیت نبیّکم أولى به، و أحقّ بإرثه، و أقوم بامور الدین، و آمن علی المؤمنین، و أحفظ لملّته، و أنصح لامّته، فمروا صاحبکم فلیردّ الحقّ إلی أهله قبل أن یضطرب حبّکم، و یضعف أمرکم، و یظهر شقاقکم، و تعظم الفتنة بکم، و تختلفون فیما بینکم، و یطمع فیکم عدوّکم، فقد علمتم أنّ بنی هاشم أولى بهذا الأمر منکم، و علیّ أقرب منکم إلی نبیّکم، و هو من بینهم ولیکم بعهد الله و رسوله، و فرق ظاهر قد عرفتموه فی حال بعد حال عند ما سدّ النبی صلی الله علیه و آله أبوابکم التي كانت إلی المسجد کلّها غیر باب، و إیثاره إیّاه بکریمته فاطمه، دون سائر من خطبها إلیه منکم، و قوله صلی الله علیه و آله: «أنا مدینه الحکمه و علیّ بابها، فمن أراد الحکمه فلیأت الباب»، و أنّکم جمیعا مضطرون

فيما أشكل عليكم من أمور دينكم إليه، وهو مستغن عن كل أحد منكم، إلى ما له من السوابق التي ليست لأفضلكم عند نفسه، فما بالكم تحيدون عنه، و تبتزون عليًا على حقه، و تؤثرون الحياه الدنيا على الآخرة، بئس للظالمين بدلا، أعطوه ما جعله الله له، و لا تولوا عنه مدبرين، و لا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين [١].

و حفل احتجاج عمّار بالدعوه إلى صالح الامّه و إبعادها من مظانّ الفتن و الأهواء، كما دعاها إلى تسليم القيادة العامّه للإمام أمير المؤمنين عليه السّلام الذي هو باب مدينه علم النّبى صلّى الله عليه و آله، و العالم بما تحتاج إليه الامّه في جميع مجالاتها.

٦ - أبو ذرّ:

أمّا أبو ذرّ فهو صوت العدل و الحقّ في الإسلام الذي استوعب فكره تعاليم الدين و أحكامه الهادفه إلى بسط العدله الاجتماعيه في الأرض؛ و هو في طليعه الثائرين و الناقمين على الحكم الأموى الذي اتّخذ مال الله دولا- و عباده خولا- و قد نقم هذا الصحابي الجليل على القوم لإقصائهم الإمام عن الخلافه، فقال مخاطبا القرشيين و الأنصار:

أمّا بعد يا معشر المهاجرين و الأنصار، لقد علمتم و علم خياركم

أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: «الأمر لعلّي بعدى ثمّ للحسن و الحسين، ثمّ في أهل بيتي من ولد الحسين»، فطرحتم قول نبيكم و تناسيتم ما أوعز إليكم، و اتّبعتم الدنيا، و تركتم نعيم الآخرة الباقيه التي لا- يهدم بنيانها، و لا يزول نعيمها، و لا يحزن أهلها، و لا يموت سكانها، و كذلك الامم التي كفرت بعد أنبيائها بدلت و غيرت، حذو القذّه بالقذّه، و النعل بالنعل، فعما قليل تذوقون وبال أمركم، و ما الله بظلام للعييد... [٢].

و حكى خطاب الشائر العظيم ما استعانيه الامه في مستقبلها من الويلات من جزاء فصل الخلافه عن بيت النبوه و مركز الدعوه الإسلاميه، و تحقّق ذلك على مسرح الحياه الإسلاميه، فقد سفكت الدماء، و تهالك الأشرار من بنى أميه على الحكم، فعاثوا فسادا في الأرض حينما استولوا عليه، فأنفقوا أموال المسلمين على رغباتهم و شهواتهم، و نكلوا أشد التنكيل و أقساه بعتره النبيّ صَلَّى الله عليه و آله.

٧ - المقداد:

أمّا المقداد فهو من أعلام الإسلام، و من خلّص أصحاب الإمام عليه السّلام، و من عيون أصحابه، و قد نqm على أبو بكر و خاطبه بعنف قائلاً:

يا أبا بكر، ارجع عن ظلمك، و تب إلى ربّك، و سلّم الأمر إلى صاحبه الذي هو أولى به منك، فقد علمت ما عقده رسول الله صَلَّى الله عليه و آله في عنقك من بيعته... [١]، و ألزمتك بالنفوذ تحت رايه اسامه بن زيد، و هو مولاه، و نبّه على بطلان وجوب هذا الأمر لك و لمن عضدك عليه، بضّمّه لكما إلى علم النفاق و معدن الشنآن و الشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه على نبيه إنّ شائتكَ هُوَ الأَبْتَرُ [٢].

و أضاف بعد ذلك قائلاً:

أتق الله، و بادر بالاستقاله قبل فوتها، فإنّ ذلك أسلم لك في حياتك و بعد وفاتك، و لا تركز إلى دنياك، و لا تغرّنك قريش و غيرها، فعن قليل تضمحلّ عنك دنياك، ثمّ تصير إلى ربّك فيجزيك بعملك، و قد علمت و تيقّنت أنّ عليّ بن أبي طالب هو صاحب الأمر بعد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، فسلمه إليه ما جعله الله له، فإنّه أتمّ

لسترك، و أخف لوزرك، فقد و الله! نصحت لك إن قبلت نصيحتي و إلى الله ترجع الامور [١].

و لو أنّ القوم استجابوا لنصحه، و سلّموا الأمر للإمام لما ابتلى المسلمون بالأزمات و الكوارث.

٨ - عتبه بن أبي لهب:

و من الناقلين على إقصاء الإمام عن الخلافة عتبه بن أبي لهب، و قد عبّر عن شعوره بهذه الأبيات:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منهم عن أبي حسن

عن أوّل الناس إيماناً و سابقه و اعلم الناس بالقرآن و السنن

و آخر الناس عهداً بالنبيّ و من جبريل عون له فى الغسل و الكفن

من فيه ما فيهم لا يتمرون به و ليس فى القوم ما فيه من الحسن [٢]

و حكّت هذه الأبيات عن أساه و لوعته عن عدم تقلّد الإمام للخلافة الذى هو أوّل الناس إيماناً برسول الله صلّى الله عليه و آله و أعلمهم بالكتاب و السنّه، و آخرهم عهداً بالنبيّ صلّى الله عليه و آله، و أنّ الصفات الكريمة المتوفّره فيه لا توجد عند غيره، فكيف أقصى هذا العملاق العظيم عن الخلافة.

٩ - أبو أيوب الأنصارى:

أمّا أبو أيوب الأنصارى فهو من ألمع أصحاب الإمام عليه السّلام، و قد شهد معه مشاهده كلّها، و قد آمن بحقّه، و أنّه أولى بالخلافة من غيره [٣]، و قد أنبرى للإنكار

على أبي بكر فقال له:

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، وَرُدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ مِثْلَ مَا سَمِعَ إِخْوَانُنَا فِي مَقَامِ بَعْدِ مَقَامِ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَجْلِسِ بَعْدِ مَجْلِسِ

يقول: «أهل بيتي أئمتكم بعدى» و يومئ إلى عليّ ، و يقول:

«و هذا أمير البرره، و قاتل الكفره، مخذول من خذله، منصور من نصره، فتوبوا إلى الله من ظلمكم إيّاه، إنّ الله توّاب رحيم، و لا تتولّوا عنه معرضين»[١].

و فى هذا الخطاب دعوه إلى الحقّ ، و وثام المسلمين، و جمع كلمتهم، و وحده صفّهم إلا أنّ القوم أعاروا خطابه أذنا صمّاء.

١٠ - أبى بن كعب:

و أبى بن كعب الأنصارى سيّد القراء، و من أصحاب العقبة الثانيه، شهد مع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَ كَانَ عَمْرَ يَسْمِيهِ سَيِّدَ الْمُسْلِمِينَ [٢]، وَ قَدْ أَنْكَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ تَقَمُّصَهُ لِلْخِلَافَةِ، وَ قَالَ لَهُ:

يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَجْحَدْ حَقًّا جَعَلَهُ اللَّهُ لغيرك، وَ لَا تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ عَصَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي وَصِيَّتِهِ وَ صَفِيَّتِهِ، وَ صَدَفَ عَنْهُ أَمْرُهُ، أَرَدَدَ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ تَسْلَمَ، وَ لَا تَتَمَادَ فِي غَيْبِكَ فَتَنْدَمَ، وَ بَادِرِ الْإِنَابَةَ يَخْفَ وَ زُرْكَ، وَ لَا تَخْتَصَّ بِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ لَكَ، فَتَلْقَى وَبَالَ عَمَلِكَ، فَعَنْ قَلِيلٍ تَفَارِقَ مَا أَنْتَ فِيهِ، وَ تَصِيرَ إِلَى رَبِّكَ فَيَسْأَلُكَ عَمَّا جَنَيْتَ، وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ [٣].

و فى هذا الخطاب الإشاده بمرکز الإمام عليه السلام، و أنّه أحقّ بالخلافه من غيره.

١١ - النعمان بن عجلان:

و النعمان بن عجلان لسان الأنصار و شاعرهم، و هو من الناقلين على أبى بكر، و قد خاطب القوم بهذه الأبيات:

و قلتم حرام نصب سعد و نصبكم عتيق بن عثمان حلال أبا بكر؟

و أهل أبو بكر لها خير قائم و أنّ عليا كان أخلق بالأمر

و أنّ هوانا فى عليّ و أنّه لأهل لها من حيث يدري و لا يدري [١]

و معنى هذا الشعر أنّ المهاجرين أنكروا على سعد تصديّه للخلافه و حرّموها عليه؛ لأنّه ليس من الاسر القرشيه و أخذوها منه؛ لأنّهم يمتّون إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله بصله النسب، فهلاًّ- أرجعوها إلى الإمام الذى هو ألصق الناس برسول الله و أقربهم إليه.

١٢ - عثمان بن حنيف:

و كان عثمان بن حنيف من خيار الصحابه، و قد انضمّ إلى الجماعه التى أنكرت على أبى بكر، فقد قال له:

سمعنا رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «أهل بيتى نجوم الأرض، فلا تتقدّموهم، فهم الولاه من بعدى»، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، و أى أهل بيتك؟ فقال: «عليّ و الطاهرون من ولده» [٢].

و حكى هذا الاحتجاج النصّ الوارد من النبيّ صلّى الله عليه و آله فى شأن أهل بيته، و هو صريح واضح فى تعيينهم خلفاء لأمته.

١٣ - سهل بن حنيف:

أمّا سهل بن حنيف فهو من خيار الصحابه، و قد أعلن تأييده للإمام عليه السلام، فقد

قال بعد حمد الله و الثناء عليه و الصلاة على النبي :

يا معشر قريش، اشهدوا عليّ ، إني أشهد على رسول الله صلى الله عليه و آله و قد رأيته في هذا المكان - يعنى جامعه - و قد أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام و هو يقول:

«أيها الناس، هذا عليّ إمامكم من بعدى، و وصيى في حياتى و بعد وفاتى، و قاضى دينى، و منجز وعدى، و أول من يضافحنى على حوضى، و طوبى لمن تبعه و نصره، و الويل لمن تخلف عنه و خذله»[١].

لقد أدلى سهل بشهادته أمام القوم بأنّ الرسول صلى الله عليه و آله قد نصّ على إمامه الإمام أمير المؤمنين و على سمو منزلته، و عظيم مكانته عند الله تعالى و عند رسوله.

١٤ - خزيمه بن ثابت:

أمّا خزيمه بن ثابت فهو من ألمع الصحابه و من أوثقهم و آثرهم عند النبي صلى الله عليه و آله، و قد كانت شهادته عند النبي تعادل شهاده شاهدين، و ذلك لما عرف به من الصدق، و قد أعلن تأييده الكامل للإمام عليه السلام قال:

أيها الناس، أ لستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قبل شهادتى وحدى، و لم يرد معى غيرى ؟ فقالوا: بلى، قال: فأشهد أنّى

سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«أهل بيتى يفرقون بين الحقّ و الباطل، و هم الأئمة الذين يقتدى بهم»، و قد قلت ما علمت، و ما على الرسول إلاّ البلاغ المبين[٢].

و حكى خزيمه فى احتجاجه ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه و آله فى شأن عترته، و هم الأئمة الذين يقتدى بهم، و هى شهاده صدق و حقّ .

و أبو الهيثم بن التيهان مَمَّن عرف الإمام أمير المؤمنين عليه السَّلام، و قد أدلى بشهادته على أنه أولى بالخلافه من غيره فقال:

أنا أشهد على نبينا صَلَّى اللهُ عليه و آله أنه أقام علينا يوم غدِير خَمّ، فقالت الأنصار: ما أقامه إلا للخلافه، و قال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله مولى له، و كثر الخوض في ذلك، فبعثنا رجالا منا إلى رسول الله فسألوه عن ذلك؟

فقال: «قولوا لهم: على ولي المؤمنين بعدى، و أنصح الناس لامتى»، و قد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن، و من شاء فليكفر، إنَّ يوم الفصل كان ميقاتا [١].

و حكمت شهاده أبي الهيثم أنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله أقام الإمام عليه السَّلام خليفه على أمته، و قلَّده منصب الإمامه من بعده، و على هذا الأساس بنت الشيعة اطارها العقائدى فى إمامه الإمام عليه السَّلام.

و بهذا ينتهى بنا الحديث عن الاحتجاجات الصارمه التى اثرت عن أعلام الإسلام المتحرّجين فى دينهم على أحقيه الإمام بالخلافه و الولاية العامه لامور المسلمين.

و على أى حال فإنَّ أحداث السقيفه هى التى أدت إلى انشقاق المسلمين و تفرّق كلمتهم، فهى مصدر الفتنة الكبرى التى منى بها المسلمون على امتداد التاريخ، و لم تنشأ الفتنة فى أيام عثمان و على، كما يذهب إلى ذلك عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين.

لقد نظرت الشيعة بعمق و شمول إلى ما اثر عن النبى صَلَّى اللهُ عليه و آله من الأخبار فى فضل الإمام و الإشاده بشخصيته، و لم يرد بعضها فى غيره من أعلام الصحابه، الأمر

الذى يدلّ بوضوح على أنّه صَلَّى اللهُ عليه و آله قد نصّ عليه بالخلافه، و لو لم تكن النصوص فى حقّه موجوده لكان هو المتعيّن لهذا المنصب و ذلك لمواهبه و عبقرياته و جهاده فى سبيل الإسلام، و قد ألمحنا فى فصول هذا الكتاب إلى ذلك.

إجراءات مؤسفه:

إشاره

و اتّخذت حكومه أبى بكر مع أهل البيت عليهم السّلام إجراءات مؤسفه اتّسمت بالقسوه و الشّده، كان منها ما يلى:

كبس دار الإمام:

و لما أعلن الإمام عليه السّلام رفضه الكامل لبيعه أبى بكر، و احتجّ عليه بأنّه أولى بالخلافه منه لأنّه أخو النّبىّ و أبو سبطيه و ختنه على بضعته، و المجاهد الأوّل فى الإسلام، و انضمّ إليه كبار الصحابه، و كانوا يعقدون الاجتماع فى داره، فضاق أبو بكر من ذلك ذرعاً، فاقتضت سياسته أن يكبس دار الإمام و يتّخذ معه جميع وسائل العنف، فأصدر أوامره إلى عمر بكبس داره و إخراجه قسراً إلى الجامع ليبيع، و راح عمر يشتمّ و معه شرطته و جنوده، و حمل معه قبساً من النار، و حمل جنوده الحطب و راحوا مسرعين يعلوهم الغضب ليحرقوا بيت الوحى و التنزيل، البيت الذى أذهب الله عن أهله الرجس و طهرهم تطهيراً، و هجم عمر على دار الإمام و هو مغیظ محنق رافعا صوته:

و الذى نفس عمر بيده ليخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها.

فعدلته طائفه، و حدّرتّه من عقوبه الله قائله:

إنّ فيها فاطمه.

ص: ١٤٠

و قد ذكرته بحفاوه رسول الله بها و قوله فيها:

«إنَّ الله يرضى لرضاك، و يغضب لغضبك» [١]، فلم يحفل ابن الخطّاب بذلك و صاح بهم غير مكترث و لا مبال:

و إن، و إن...

معناه و إن كانت فاطمه فيها لأحرقنّها غير حافل و معتن بها، و خرجت بضعه الرسول و ريحانته قائله:

«لا عهد لى بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلّى الله عليه و آله جنازه بين أيدينا، و قطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا و لم تردّوا لنا حقًا...».

و تبدّد جيروت القوم و ذاب عنفهم، و أسرع عمر و هو بطل الموقف نحو أبو بكر طالبا منه حمل الإمام بالقوّه للبيعه قائلا:

ألا- تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعه؟ و استجاب أبو بكر له، فأرسل معه قنفاذ، و كان شريرا معروفا بالغلظه و الشدّه و معه جماعه من الشرطه، فاقتحموا دار الإمام و أخرجوه ملبيا بحمائل سيفه، و انطلقت خلفه زهراء الرسول، و هى تهتف بأبيها و تستغيث به قائله:

«يا أبت.. يا رسول الله! ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب و ابن أبى قحافه...».

و ازدحمت الجماهير على باب الإمام و علاها الذهول، و أغرق بعضهم فى البكاء، إلا أنّ ابن الخطّاب و حزبه لم يجد معهم موقف بضعه الرسول و هى ولهى مستغيثه بأبيها، فلم تلن قلوبهم و عواطفهم، فأخرجوا الإمام و انطلقوا به يهرول نحو أبى بكر، فقال له:

بايع... بايع.

ص: ١٤١

فردّ عليه الإمام:

«وإن لم أفعل؟».

فأسرع القوم وقد أضلّهم الهوى و أعماهم حبّ الدنيا قائلين:

والله! الذى لا إله إلا هو نضرب عنقك..

و سكت الإمام برهه فنظر إلى القوم، فإذا ليس له ركن شديد يفرع إليه، فقال بصوت حزين النبرات:

«إذا تقتلون عبد الله و أخا لرسوله..».

فاندفع ابن الخطّاب بشراسته قائلاً:

أمّا عبد الله فنعم، و أمّا أخو رسوله فلا..

و نسى عمر ما أعلنه النبيّ أنّ الإمام أخوه و باب مدينه علمه، و من كان منه بمنزله هارون من موسى، كلّ ذلك تنكّر له ابن الخطّاب، و التفت إلى أبى بكر يحثّه على التنكيل به قائلاً:

ألا تأمر فيه بأمرك؟ و خاف أبو بكر من تطوّر الأحداث و تبلور الرأى العامّ، فقال لابن الخطّاب:

لا أكرهه على شىء ما كانت فاطمه إلى جانبه.

و أطلقوا سراح الإمام، و مضى يهرول نحو مثنوى أخيه رسول الله صلّى الله عليه و آله يشكو إليه ما ألمّ به من المحن و الخطوب، و هو يبكى أمرّ البكاء قائلاً:

«يا ابن أمّ، إنّ القوم استضعفونى و كادوا يقتلونى...».

لقد استضعفه القوم و تنكّروا له، و أعرضوا عمّا أوصاهم به النبيّ، و قفل الإمام راجعاً إلى بيته و هو كئيب حزين، و قد استبان له ما يحمله القوم من الحقد و الكراهيه.

و روى المؤرخون أنّ الجيوش الإسلاميّة لمّا فتحت حصون خيبر قذف الله الرعب و الفزع في قلوب أهالي فدك فهرعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله نازلين على حكمه، فصالحهم على نصف أراضيهم، فكانت ملكاً خاصاً له؛ لأنّ المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل و لا- ركاب، و لمّا أنزل الله تعالى على نبيّه الآية: وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ بادر فأنحل فاطمه فدكا، فاستولت عليها و تصرّفت فيها تصرّف الملاك في أملاكهم.

و لمّا استولى أبو بكر على الحكم اقتضت سياسته بمصادره فدك، و انتزاعها من سيده النساء، و ذلك لثلاث تقوى شوكة الإمام على منازعته، و هو إجراء اقتصادي باعته إضعاف الجبهة المعارضه و شلّ فعاليتها، و هذا ما عليه الدول قديما و حديثا، و قد مال إلى هذا الرأي عليّ بن مهنا العلوي قال:

ما قصد أبو بكر و عمر بمنع فاطمه عنها - أي عن فدك - ألا أن يقوى عليّ بحاصلها و غلتها عن المنازعه في الخلافه [١].

مطالبه الزهراء بفدك:

و بعد ما استولى أبو بكر بالقوه على فدك، و أخرج منها عامل الزهراء عليها السلام طالبتها بردها، فامتنع من إجابتها، و طلب منها إقامة البيّنه على صدقها، و يقول المعتمون بالبحوث الفقهيّه من علماء الشيعة إنّ كلام أبي بكر لا يتفق مع القواعد الفقهيّه، و ذلك لما يلي:

١ - إنّ صاحب اليد لا يطالب بالبيّنه، و الزهراء قد وضعت يدها على فدك، فليس عليها إلا اليمين و عليه البيّنه، و بذلك فقد شدّت دعوى أبي بكر عن

٢ - إنّ السيّد فاطمه الزهراء صلوات الله عليها سيده نساء هذه الامّة، و خيرهن نساء العالمين - على حدّ تعبير رسول الله صلّى الله عليه وآله -، و قد نزلت في حقّها و حقّ زوجها و ولديها آية التطهير و هي صريحه في عصمتها من الزيف و الكذب، و هي أصدق الناس لهجه - حسب قول عائشه [١] -، أفلا يكفي ذلك في تصديقها.

٣ - إنّ ريحانه رسول الله صلّى الله عليه وآله أقامت البيّنه على ما ادّعت، مضافا إلى اليد، أمّا بيّنتها فقد تألّفت من الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، و السيّد الفاضله أمّ أيمن، فشهدا عنده أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أنحلها فدكا، فردّ شهادتهما معتذرا أنّ البيّنه لم تتمّ، و هذا لا يخلو من المؤاخذات و هي:

١ - إنّ القواعد الفقيهيه قضت أنّ الدعوى إذا كانت على مال، أو كان المقصود منها المال، فإنّها تثبت بشاهد و يمين، فالمدعى إذا أقام شاهدا واحدا فعلى الحاكم أن يحلفه بدلا من الشاهد الثاني، فإن حلف أعطاه المال، و لم يعن أبو بكر بذلك فردّ الشهاده و ألغى الدعوى.

٢ - إنّ ردّ شهاده الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، و قد صرّح النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه مع القرآن، و القرآن معه لا يفترقان.. [٢].

٣ - إنّ قدح في شهاده السيّد أمّ أيمن، و قد خرجت زهراء الرسول بعد ردّ أبي بكر لدعواها، و هي تتعثر بأذيالها من الخيبه، و قد ألمّ بها الحزن و الأسى، يقول الإمام شرف الدين نصر الله مثواه:

فليتّه - أي أبا بكر - اتقى فشل الزهراء في موقفها بكلّ ما لديه من سبل

الحكمه، و لو فعل ذلك لكان أحمد في العقبى، و أبعد عن مظانّ الندم، و أنأى عن مواقف اللوم، و أجمع لشمل الامه، و أصلح له بالخصوص..

و قد كان فى وسعه أن يربأ بوديعه رسول الله و وحيدته عن الخيبه و يحفظها عن أن تنقلب عنه، و هى تتعثر بأذيالها، و ما ذا عليه إذا احتلّ محلّ أبيها لو سلّمها فدكا من غير محاكمه، فإنّ للإمام أن يفعل ذلك بولايته العامه، و ما قيمه فدك فى سبيل هذه المصلحه، و دفع هذه المفسده [١].

لقد كان أبو بكر باستطاعته و صلاحيته أن يقرّ يد بضعه رسول الله صلّى الله عليه و آله و وديعته على فدك و يصنع معها الجميل و المعروف، و لا يقابلها بمثل تلك القسوه، و لكنّ الأمر كما حكاه على بن الفاروق أحد أعلام الفكر العلمى فى بغداد، و أحد أساتذه المدرسه الغربيه، و أستاذ العلامه ابن أبى الحديد، فقد سأله ابن أبى الحديد:

أ كانت فاطمه صادقته فى دعوها النحله ؟ نعم...

فلم لم يدفع لها أبو بكر فدكا، و هى عنده صادقته، يقول ابن أبى الحديد:

فتبسّم، ثمّ قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه و قلّه دعابته قال:

لو أعطاهما اليوم فدكا بمجرّد دعوها لجاأت إليه غدا و ادّعت لزوجها الخلافه، و زحزحته عن مقامه، و لم يكن يمكن حينئذ الاعتذار بشيء؛ لأنّه يكون قد سجّل على نفسه بأنّها صادقته فيما تدعى كائنا ما كان من غير حاجه إلى بينه و شهود... [٢].

نعم، لهذه الجبهه و لغيرها من الأحقاد و الضغائن أجمع القوم على هضمها

و سلب تراثها، و قد تركوا بذلك عتره النبي و وديعته يتقطعون حسرات، قد نخب الحزن قلوبهم، و هاموا في تيارات من الأسى و الشجون.

إلغاء الخمس:

من الإجراءات المؤسفة التي اتخذها أبو بكر ضدّ العتره النبويه إلغاء الخمس، الذي هو حقّ مفروض لها نصّ عليه القرآن قال تعالى: **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِإِخْوَتِ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [١].**

أجمع الرواه أنّ النبي صلّى الله عليه و آله كان يختصّ بسهم من الخمس و يخصّ أقاربه بسهم آخر منه، و كانت هذه سيرته إلى أنّ اختاره الله تعالى إلى جواره.

ولمّا ولي أبو بكر أسقط سهم النبي و سهم ذوى القربى، و منع بنى هاشم من الخمس، و جعلهم كبقية المسلمين [٢]، و قد أرسلت زهراء الرسول و بضعته فاطمه الزهراء صلوات الله عليها إلى أبي بكر أن يدفع إليها ما بقى من خمس خبير، فأبى أن يدفع إليها شيئاً منه [٣]، فقد ترك شبح الفقر مخيماً على آل النبي صلّى الله عليه و آله و حجب عنهم ما فرضه الله لهم.

مصادره تركه النبي :

و استولى أبو بكر على جميع ما تركه النبي صلّى الله عليه و آله من بلغة العيش، فحازه إلى بيت المال، و قد سدّ بذلك كلّ نافذه اقتصاديه على آل البيت، و كانت حجّته في

عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: لا نورث ما تركناه صدقه [١].

و هو اعتذار مهلهل حسب ما يقوله المحققون من علماء الشيعة، و ذلك لما يلي:

١ - إنَّ الحديث لو كان صحيحاً لأُطلعت عليه سيده نساء العالمين، و ما دخلت مع أبي بكر ميدان المحاججه و المخاصمه، و كيف تطالبه و هي سليله النبوه و أوثق سيده في دنيا الإسلام بأمر لم يكن مشروعاً.

٢ - إنَّ النبي صَلَّى الله عليه وآله كيف يحجب عن بضعته حكماً يرجع إلى تكليفها الشرعي، و قد غداها بروح التقوى و الإيمان، و أحاطها علماً بجميع الأحكام الشرعيه، إنَّ حجب ذلك عنها تعريض لها و للامه لامور غير مشروعه.

٣ - إنَّ من الممتنع أن يحجب النبي صَلَّى الله عليه وآله هذا الحديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و هو حافظ سرّه، و باب مدينه علمه، و باب دار حكمته، و أفضى امته؛ فإنَّ من المقطوع به أن النبي صَلَّى الله عليه وآله لو كان لا يورث لعرفه الإمام عليه السلام، و ما كتبه النبي صَلَّى الله عليه وآله عنه.

٤ - إنَّ الحديث لو كان صحيحاً لعرفه الهاشميون و هم أهل النبي ، و ألصق الناس به، فلما ذا لم يبلغهم به.

٥ - إنَّ الحديث لو كان صحيحاً لما خفي عن أمهات المؤمنين، و الحال أنهنَّ أرسلن إلى عثمان بن عفان يطلبن منه ميراثهنَّ من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله.

٦ - إنَّ بعض أهل العلم يرى أن «ما» التي في الحديث

«لا نورث ما تركناه صدقه» موصوله، و المعنى أن ما تركناه من الصدقات ليس خاضعاً للمواريث، و إنّما

هو للفقراء، و على هذا فيكون الحديث أجنيا عن الاستدلال به من عدم توريث النبي صلى الله عليه و آله لما تركه من الأموال.

الخطاب الخالد للزهراء:

و ضاقت الدنيا على زهراء الرسول و وديعته في أمته من الإجراءات الصارمه التي اتّخذها أبو بكر ضدّها، فرأت أن تلقى الحجّه عليه، و تحفّز المسلمين للإطاحه بحكومته، و يتحدّث الرواه أنّها سلام الله عليها استقلّت غضبا، فلاثت خمارها، و اشتملت بجلبابها، و أقبلت في لّمه من حفدتها و نساء قومها، تطأ ذبولها، ما تخرم مشيتها مشيه رسول الله صلى الله عليه و آله حتى دخلت على أبي بكر و هو في الجامع الأعظم، و قد احتفّ بها المهاجرون و الأنصار و غيرهم، و قد أنيطت دونها ملاءه [١] تكريما لها، فأنت أنه حسره و ألم و بكاء، فأجهش القوم لها بالبكاء و ارتجّ المجلس، و ذلك لأنّهم رأوا في شخصيتها العظيمه شخصيه أيبها العظيم الذي لم يعقب غيرها؛ ولأنّهم قصّيروا في حقّها و حقّ زوجها، و لّمّا سكن نشيجهم و هدأت فورتهم افتتحت خطابها الخالد بحمد الله و الثناء عليه، و انحدرت في خطابها كالسيل، فلم يسمع قبلها و لا بعدها من هو أخطب منها، و حسبها أنّها ابنه رسول الله صلى الله عليه و آله أفصح من نطق بالضاد، و قد ورثت بلاغته و فصاحته..

و تحدّثت في خطابها الخالد عن معارف الإسلام و فلسفه تشريعاته و علل أحكامه، و عرضت إلى ما كانت عليه حاله الامم قبل أن يشرق عليها نور الإسلام من الجهل و الانحطاط و وهن العقول و ضحاله الفكر، خصوصا الجزيره العرييه، فقد كانت على شفا حفره من النار مذقه الشارب، و نهزه الطامع، و قبسه العجلان، و موطى الأقدام، و كانت حياتها الاقتصاديه بالغه السوء، فالأكثرية الساحقه كانت

تقتاد القدّ، و تشرب الطرق، و ظلّت على هذا الحال من الذلّ و الفقر و الهوان حتى أنقذها الله سبحانه و تعالى برسوله العظيم، فدفعها إلى واحات الحضاره و التطور، و جعلها في الطليعه الواعيه من امم العالم، فما أعظم عائده على العرب و على الناس أجمعين، كما عرضت سيده نساء العالم إلى فضل ابن عمها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و جهاده المشرق في نصره الإسلام و الذبّ عن حياضه، فالجاهليه الرعناء من قريش و غيرهم كلّما أوقدوا ناراً للحرب تقدّم إليها الإمام فوطئ صماخها بأخمصه و خمد لها بسيفه، في حين كان المهاجرون من قريش في رفاهيه وادعين آمنين، لم يكن لهم أى ضلع يذكر في نصره الإسلام و الدفاع عنه، و إنّما كانوا ينكصون عند النزال و يفرون من القتال.

و كانوا يتربصون بأهل بيت النبىّ الدوائر، و يتوقعون فيهم نزول القواصم، كما أعربت سيده نساء العالمين عن أسفها البالغ على ما منى به المسلمون من الزيغ و الانحراف، و الاستجابه الكامله لدواعى الهوى و حبّ الدنيا، و تبيّأت صلوات الله عليها ما سيواجهه المسلمون من الأحداث المروع و الكوارث المؤلمه نتيجه ما اقترفوه من الأخطاء و الانحراف عمّا أمره الله و رسوله من التمسك بالعترة الطاهره التى هى مصابيح الهدى و طرق النجاه.

و بعد ما أدلت حبيبه رسول الله صلّى الله عليه و آله بهذه المواد عرضت إلى حرمانها المؤسف من إرث أبيها فقالت:

«و أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أ فحكم الجاهليه تبغون و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون.

أ فلا تعلمون - بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضّاحيه - أنى ابنته.

أيها المسلمون، أ أغلب على تراث أبى ؟

يا ابن أبي قحافه، أ في كتاب الله ترث أباك و لا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئا فريا، أ فعلى عمد تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: وَ وِرثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ [١]، و قال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال:

فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ [٢]، و قال: وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ [٣]، و قال: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ [٤]، و قال: إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَوْلِيَاءِ الْوَالِدِينَ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ [٥].

و زعمتم أن لا- حظوه لي، و لا- أرث من أبي، و لا- رحم بيننا، أ فخصيكم الله بأيه أخرج منها أبي ؟ أم تقولون: أهل ملتين لا يتوارثان ؟ أو لست أنا و أبي من أهل مله واحده ؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومته من أبي و ابن عمي ؟ و حكى هذا المقطع من خطابها الخالد أوثق الأدله و أروعها على استحقاقها لميراث أبيها كان منها ما يلي:

١ - احتجت على أن الأنبياء عليهم السلام كبقية الناس خاضعون للموارث، و قد استندت في ذلك إلى آيتي داود و زكريا، و هما صريحتان بتوريث الأنبياء، و منهم أبوها سيد المرسلين.

٢ - استدلت بعموم آيات الموارث، و عموم آيه الوصيه، و هي بالطبع شامله لآبيها، و خروجه منها من باب التخصيص بلا مخصص، و هو ممتنع كما صرح علماء الاصول.

٣ - إن ما يوجب تخصيص آيه الموارث و عموم آيه الوصيه أن يختلف المورث و وارثه في الدين بأن يكون المورث مسلما و وارثه كافرا، فإنه لا- ميراث بينهما، و هذه الوجهه منتفيه انتفاء قطعيا، فسيده النساء أبوها مؤسس الإسلام و خاتم الأنبياء، و هي بضعته و ريحانته و سيده نساء العالمين، فكيف تمنع عن إرثها؟ و بعد هذه الحجج البالغه و جّهت خطابها لأبي بكر قائله له:

«فدونكها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرك و نشرك، فنعم الحكم الله، و الزعيم محمّد، و الموعد القيامة، و عند الساعه يخسر المبطلون، و لا ينفعكم إذ تدمون، و لكل نأ مستقر، و لسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحلّ عليه عذاب مقيم».

يا له من تفرّيع أمضى و أوجع من كلّ ألم ممضّ! يا له من عتاب أقسى من ضرب السيوف! ثمّ اتّجهت حبيبه الرسول إلى المسلمين تستنهض عزائمهم و تحثّهم على الاطاحه بحكومهم أبي بكر قائله:

«يا معشر التّقييه و أعضاء المله و حضنه الإسلام، ما هذه الغميزه في حقّي، و السنّه عن ظلامتي؟ أ ما كان رسول الله أبي يقول: المرء يحفظ في ولده، سرعان ما أحدثتم و عجلان ذا إهاله، و لكم طاقه بما أحاول، و قوّه على ما أطلب و أزاول؟ أ تقولون: مات محمّد فخطب جليل استوسع و هنه، و استنهر فتقه، و انفتق رتقه، و أظلمت الأرض لغيبته، و كسفت الشّمس و القمر، و انتشرت النّجوم لمصيبته،

و أكدت الآمال، و خشعت الجبال، و اضيع الحريم، و ازيلت الحرمه عند مماته، فتلك و الله! النازله الكبرى، و المصبيه العظمى، لا مثلها نازله، و لا بائقه عاجله، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه فى أفنيتكم، و فى ممساكم و مصبحكم، يهتف فى أفنيتكم هتافا و صراخا و تلاوه و ألقانا، و لقبه ما حلّ بأنبياء الله و رسله حكم فصل، و قضاء حتم، و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزَى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ .

و أخذت زهراء الرسول تحفز الأنصار على الثوره، و تذكرهم ماضيهم المشرق فى نصره الإسلام و حمايه مبادئه، و تطلب منهم القيام بقلب الحكم القائم، و إرجاع الخلافه إلى الإمام عليه السلام، و إرجاع حقوقها لها قائله:

«أيها بنى قيله [١]، أ أهضم تراث أبى و أنتم بمرأى منى و مسمع و منتدى و مجمع، تلبسكم الدّعوه، و تشملكم الخبره، و أنتم ذوو العدد و العدّه و الأداه و القوه، و عندكم السيّاح و الجنّه [٢]، توافيكم الدّعوه فلا تجيبون، و تأتيكم الصّيرخه فلا تغيثون، و أنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير و الصّياح، و النّخبه التى انتخبت، و الخيره التى اختيرت لنا أهل البيت. قاتلتم العرب، و تحمّلتكم الكدّ و التعب، و ناطحتم الامم، و كافحتم البهم، فلا- نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتّى إذا دارت بنا رحي الإسلام، و درّ حلب الأيّام، و خضعت نعره الشّرك، و سكنت فوره الإفك، و خمدت نيران الكفر، و هدأت دعوه الهرج، و استوسق نظام الدّين، فأنتى جرتم [٣] بعد البيان، و أسررتم بعد الإعلان، و نكصتم بعد الإقدام، و أشركتم بعد الإيمان ؟

ولما رأَت سيِّده نساء العالمين وهن الأنصار و تخاذلهم و عدم استجابتهم لنداء الحقّ ، و جَهِت إليهم أعنف اللوم و أشدّ العتب قائله:

«ألا و قد قلت ما قلت هذا على معرفه منّي بالخذله التي خامرتكم و الغدره التي استشعرتها قلوبكم، و لكنّها فيضه النَّفس، و نفثه الغيظ ، و حوز القناه، و بثّه الصِّدر، و تقدّمه الحجّج، فدونكموها فاحتقّبوها دبره الظُّهر، نقبه الخفّ ، باقيه العار، موسومه بغضب الله، و شنار الأبد، موسومه بنار الله الموقده الّتي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِتَّةِ . إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ، فبعين الله ما تفعلون، و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون، و أنا ابنه نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنّا عاملون، و انتظروا إنّا منتظرون»[١].

و انتهى هذا الخطاب الثوري الذي حوى جميع مقومات الثورة على النظام القائم، و لا أكاد أعرف خطابا أبلغ و لا آثر منه إلا إنّ القوم قد تخدّرت أعصابهم فصدوا عن الطريق القويم. و على أي حال فقد لمس أبو بكر مدى تأثير خطاب الزهراء عليه السّلام في نفوس الحاضرين و خاف من اندلاع الثورة فاستطاع بلباقته و قابليّاته الدبلوماسية أن يسيطر على الموقف، و ينقذ حكومته من الانقلاب فقابل بضعه الرسول صلّى الله عليه و آله بكلّ حفاوه و تكريم، و أظهر لها أمام الملأ أنّه يخلص لها، و يكتنّ لها التقدير و الاحترام أكثر ممّا يكتنّ لعائشه ابنته كما أظهر لها حزنه العميق على وفاه أبيها رسول الله صلّى الله عليه و آله.

و عرض لها أنّه لم يتقلّد منصب الحكم، و لم يتخذ معها الاجراءات الصارمه عن رأيه الخاص، و إنّما كان عن رأى المسلمين فهم الذين قلّدوه ما تقلّد و باتّفاق منهم أخذ ما أخذ، و بذلك فقد شارك المسلمون في إجراءاته و حمّلهم المسؤوليه،

و الحال أنا ذكرنا كيفيه بيعته، و أنها كانت فلتة على حدّ تعبير ابن الخطّاب.

ندم أبو بكر:

و ندم أبو بكر كأشدّ ما يكون الندم على ما فرّط تجاه بضعة رسول الله صلّى الله عليه و آله من كبس دارها و حرمانها من مواريتها، فقال: وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمه، و لو أنّهم أغلقوه على الحرب [١].

لقد أنّبه ضميره على الإجراءات القاسية التي ارتكبها مع زهراء الرسول صلّى الله عليه و آله التي هي وديعته في أمته.

محاولة فاشلة لإرضاء الزهراء:

و حاول أبو بكر و صاحبه على إرضاء حبيبه رسول الله و الفوز بعفوها عنهما، و ذلك لتكتسب حكومتها الشرعية، و يتّخذا وسيلة لإرضاء المسلمين عنهما فانطلقا إلى بيتها، و طلبا منها السماح بمقابلتها، فأبت أن تأذن لهما، و استأذنا ثانيا، فامتنعت من إجابتهما، و خفّا نحو الإمام عليه السّلام فطلبا منه أن يمنحهما الإذن لمقابله وديعه النبيّ، فانطلق إلى الدار و التمس من سيّده النساء أن تأذن لهما، فأجابته إلى ذلك، فأذن لهما، و دخلا فسّلما عليها، فلم تجبهما، و تقدّما فجلسا أمامها، فأزاحت بوجهها عنهما، و راحا يلحان عليها أن تسمع مقاتلتها، فأذنت لهما في ذلك، فقال لها أبو بكر: يا حبيبه رسول الله، و الله! إنّ قرابه رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، و إنّك لأحبّ إليّ من عائشه ابنتي، و لوددت يوم مات أبو بكر أنّي مت و لا أبقى بعده..

أفتراني أعرفك، و أعرف فضلك و شرفك و أمنعك حقّك، و ميراثك من رسول الله؟ ألا إنّني

سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول:

«لا نورث ما تركناه فهو صدقه...».

وفندت بضعه الرسول هذه الروايه فى خطابها التاريخى الخالد، فلم تر حاجه إلى تفنيدها مره أخرى، و التفت إليه و قد شاركت معه عمر قائله:

«نشدتكما الله أ لم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمه من رضاي، و سخط فاطمه من سخطي، فمن أحب فاطمه ابنتي فقد أحبني، و من أرضى فاطمه فقد أرضاني، و من أسخط فاطمه فقد أسخطني؟...».

فأجابا بالتصديق قائلين: أجل سمعناه يقول ذلك..

فرفعت وجهها و كفيها إلى السماء، و راحت تقول بحزن و فؤاد مكلوم..

«فإني اشهد الله و ملائكته أنكما أسخطتماني و ما أرضيتماني، و لئن لقيت رسول الله لأشكونكما إليه..».

و انطلق أبو بكر يبكي، فقالت له:

«و الله! لأدعوك في كل صلاه أصليها» [١]، فما كان أشدها كلمات أخف من وقعها ضربات السيف!... مادت الأرض تحتها، و دارت كالرحى حتى سارا من هول ما لقيا يترنحان، و غادرا الدار و قد خبا أملهما في رضا زهراء الرسول، و علما مدى الغضب الذى أثارته عليهما و مدى السخط الذى باءا به [٢].

و حق لأبي بكر أن يحزن و يبكي بعد ما فاته رضا زهراء الرسول التى يرضى الله لرضاها و يغضب لغضبها كما حدث بذلك أبوها [٣].

إشاره

ووقف الإمام مع حكومه أبى بكر موقفا سلبيا اتسم بالعزله التامه عن الناس و عدم الاشتراك مع الجهاز الحاكم بأى لون من ألوان الاجتماع، فقد انصرف إلى تدوين الأحكام الشرعيه و تفسير القرآن الكريم، فقد أعرض عن القوم و أعرضوا عنه لا يراجعهم و لا يراجعونه، اللهم إلا إذا حلت في ناديهم مشكله فقهيه لا يعرفون حلها فرعوا إليه ليجيبهم عنها.

و يتساءل الكثيرون: لما ذا لم يقف الإمام عليه السلام مع أبى بكر موقفا سلبيا، و يفتح معه باب الحرب، و يأخذ حقه منه بالقوه، فقد أعرض عن ذلك، و خلد إلى الاعتزال، و قد أدلى الإمام عليه السلام ببعض الأسباب التي دعتة للإلقاء الستار على حقه و هى:

١ - فقدته للقوه العسكريه:

لم تتوفّر عند الإمام عليه السلام أيه قوه عسكريه يستطيع أن يتغلب بها على الأحداث، و يستلم مقاليد الحكم، و قد صرح بذلك في كثير من المناسبات، و هذه بعضها:

أ -

قال عليه السلام في خطبته الشقشقيه:

«و طفقت أرتئى بين أن أصول بيد جداء، أو أصبر على طخيه عمياء [١]، يهرم فيها الكبير، و يشيب فيها الصّغير، و يكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه! فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى، فصبرت و فى العين قذى. و فى الحلق شجا [٢]، أرى تراثى نهبا...» [٣].

ص: ١٥٦

وقد حكى هذا المقطع من خطابه ما ألم به من الأسى من فقدان الناصر أيام حكمه أبي بكر، فإنه لم تكن عنده قوه تحميه و لم يكن يأوى إلى ركن شديد لإرجاع حقه، فصبر على ما فى الصبر من قذى فى العين و شجى فى الحلق.

ب -

قال عليه السلام:

«فنظرت فإذا ليس لى معين إلا أهل بيتى، فضننت بهم عن الموت، و أغضيت على القذى، و شربت على الشجا، و صبرت على أحر الكظم، و على أمر من طعم العلقم» [١].

و حكى هذا المقطع أنه لم يكن مع الإمام عليه السلام سوى أسرته المائله فى أبنائه و أبناء أخيه، و من المؤكد أنه لو فتح باب الحرب مع أبى بكر لقضى على الاسره الهاشميه، بالاضافه إلى ما تواجهه الامه من أخطار هائله.

ج - و بايعت الأ-كثريه الساحقه أبا بكر تحت ضغط عمر، و قد أراد الإمام عليه السلام أن يقيم عليهم الحجّه فطاف بزهاء الرسول على بيوت المهاجرين و الأنصار يسألهم النجده و مناهضه الحكم القائم، فكانوا يقولون لبضعه الرسول:

يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، فتردّ عليهم حبيبه رسول الله:

«أفتدعون تراث رسول الله صلى الله عليه و آله يخرج من داره إلى غير داره؟...».

و راحوا يعتذرون إليها قائلين:

يا بنت رسول الله، لو أنّ زوجك سبق إلينا قبل أبى بكر لما عدلنا به..

و يجيبهم الإمام عليه السلام:

«أفكنت أدع رسول الله فى بيته لم أدفنه، ثم أخرج أنازع الناس سلطانه؟!...».

ص: ١٥٧

و تدعم سيده النساء مقاله الإمام عليه السلام قائله:

«ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له... و قد صنعوا ما الله حسيبهم عليه» [١].

إن موقف الإمام عليه السلام مع حكومه أبي بكر متمسك بعدم الرضا إلا أنه لم يستطع القيام بأي عمل عسكري للاطاحه بها.

٢ – المحافظه على وحده المسلمين:

من الأحداث التي دعت الإمام إلى المسالمة مع القوم حرصه على وحده المسلمين، و قد أعلن ذلك حينما عزم القوم على البيعه لعثمان،

فقال عليه السلام:

«لقد علمتم أنني أحق الناس بها – أي الخلافة – من غيري؛ و والله! لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين؛ و لم يكن فيها جور إلا عليّ خاصه، التماسا لأجر ذلك و فضله، و زهدا فيما تنافستموه من زخرفه و زبرجه» [٢].

من أجل الحفاظ على وحده المسلمين و جمع كلمتهم سالم الإمام و أعرض عما يكتنه في نفسه من الألم و الأسى على ضياع حقه.

لوعه الزهراء و شجونها:

و أعظم المآسى التي طاقت بالإمام هو ما حلّ بابنه الرسول و بضعته من الآلام القاسية التي احتلت قلبها الرقيق المعذب على فقد أبيها الذي كان عندها أعزّ من الحياه، فكانت تزور جدته الطاهر و هي حيرى قد أخرسها الخطب، و تأخذ حفته من ترابه فتضعه على عينيها و وجهها و تطيل من شمّه، و تقبيله، و تجد في ذلك راحه،

و هي تبكى أمرّ البكاء و أشجاءه، و تقول:

ما ذا على من شمّ تربه أحمد أن لا يشمّ مدى الزّمان غواليا

صبّت على مصائب لو أنّها صبّت على الأيام صرن لياليا

قل للمغيّب تحت أطباق الثرى إن كنت تسمع صرختي و ندائيا

قد كنت ذات حمى بطلّ محمّد لا أخش من ضيم و كان جماليا

فاليوم أخضع للذليل و اتقى ضيمي و أدفع ظالمي بردائيا

فاذا بكت قمرية في ليلها شجنا على غصن بكيت صباحيا

فلأجعلنّ الحزن بعدك مونسي و لأجعلنّ الدّمع فيك و شاحيا [١]

و صوّرت هذه الأبيات مدى حزن زهراء الرسول و لوعتها على فقد أبيها الذي أخلصت له في الحبّ كأعظم ما يكون الإخلاص، كما أخلص لها، و إنّ مصابها القاسى عليه لو صبّ على الأيام لخفت ضياؤها و عادت قاتمه مظلمه.

و صوّرت هذه الأبيات الحزينة مدى منعها و عزّتها أيام أبيها، و بعد فقدها له صارت بأقصى مكان من الهوان، فقد تنكّر لها القوم، و أجمعوا على هضمها، و الغضّ من شأنها حتّى صارت تخضع للذليل و تتقى من ظلمها بردائها.

و خلدت وديعه الرسول إلى البكاء و الأسى حتى عدّت من البكائين الخمسه الذين مثلوا الحزن على امتداد التاريخ.

و بلغ من عظيم وجدها على أبيها أنّ أنس بن مالك استأذن عليها ليعزيها بمصابها الأليم، و كان ممّن وسّد رسول الله صلّى الله عليه و آله في مثواه الأخير، فقالت له:

«أنس بن مالك هذا؟...».

نعم، يا بنت رسول الله..

فقال له بلوعه و بكاء:

«كيف طابت نفوسكم أن تحثوا التراب على رسول الله» [١]، و قطع أنس كلامه، و هو يذرف أحزّ الدموع، و قد هام فى تيارات من الأسى و الشجون.

و بلغ من عظيم وجد زهراء الرسول أنّها ألخت على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يريها القميص الذى غسل فيه أباه، فجاء به إليها، فأخذته بلهفه و هى توسعه تقبيلًا و شمًا؛ لأنها وجدت فيه رائحة أبيها الذى غاب فى مثواه.

و خلدت بضعه الرسول إلى البكاء فى وضح النهار و فى غلس الليل، و ثقل ذلك على القوم، فشكوها إلى الإمام و طلبوا منه أن تجعل لبكائها وقتًا خاصًا لأنهم لا يهجعون و لا يستريحون، و عرض الإمام عليها ذلك، فأجابته إلى ما أراد، فكانت فى النهار تخرج خارج المدينة و تصحب معها ولديها الحسن و الحسين و بنتها زينب، فتجلس تحت شجره من الأراك و تبكى أباه طيله النهار، فإذا أو شكت الشمس أن تغرب قفلت راجعه مع أولادها إلى البيت الذى خيم عليه الحزن و البكاء، و عمد القوم إلى تلك الشجرة فقطعوها فصارت تبكى فى حرّ الشمس، فقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فبنى لها بيتًا أسماه «بيت الأحزان» فاتخذته مقرًا لبكائها، و نسب إلى

مهدي آل محمّد (عجل الله فرجه) أنّه قال فيه:

«أم ترانى اتّخذت - لا، و علاها - بعد بيت الأحزان بيت سرور».

و أثر الحزن المرهق بوديعه النبى حتى فتكت بها الأمراض و ذوت كما تدوى

ص: ١٦٠

الأزهار.. و بادرت السيدات من نساء المسلمين إلى عيادتها

فقلن لها:

كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله ؟..

فرمقتهنّ بطرفها، و أجابتهنّ بصوت خافت مشفوع بالأسى و الحسرات:

«أجدنى كارهه لدنياكم، مسروره لفراقكنّ ، ألقى الله و رسوله بحسراتكنّ فما حفظ لى الحقّ ، و لا رعيت منى الذّمّه، و لا قبلت الوصيته، و لا عرفت الحرمة...» [١].

و حكت هذه الكلمات مدى آلامها و شجونها من تقصير القوم بحقّها، فما حفظوا حقّها و لا رعوا وصيه النبي فيها.

و بلغ من كراهتها لنساء القوم أنّهنّ طلبن حضورهنّ عند وفاتها فقلن لها:

يا بنت رسول الله، صيرى لنا فى حضور غسلك حظًا؟ فأبت و قالت بمراره:

«أ تردن أن تقلن فىّ كما قلتنّ فى أمى، لا حاجه لى فى حضوركنّ ...» [٢].

الزهراء فى ذمّه الخلود:

اشاره

و طافت بزهراء الرسول موجات عاتيه من الآلام على فقد أبيها و غصب حقّها، فقد برح بها المرض و أضرّ الأسى بقلبها الرقيق المعذب، و قد فتكت بها الآلام، و مشى إليها الموت سريعاً و هى فى فجر الصبا و روعه الشباب.. فقد حان موعد اللقاء بينها و بين أبيها الذى طلبت لقياه بفارغ الصبر.

وصيتها:

ودعت زهراء الرسول الإمام، فلّمّا مثل عندها أوصته بأمر كان منها:

ص: ١٦١

١ - أن يوارى جثمانها المقدّس في غلس الليل البهيم.

٢ - أن لا يحضر جنازتها أحد من الذين ظلموها و جحدوا حقّها فإنّهم أعداؤها و أعداء أبيها.

٣ - أن يعفى موضع قبرها ليكون رمزا لاستيائها على امتداد التاريخ.

٤ - أن يصنع لها نعشا يوارى جثمانها المقدّس؛ لأنّ الناس كانوا يضعون أمواتهم على سرير تبدو فيه الجثّة، فكرهت ذلك، و ما أحبّت أن ينظر أحد إلى جثمانها.

و تعهّد الإمام لها بتنفيذ ذلك، و انصرف عنها و هو غارق في البكاء، قد استجاب لأحاسيس نفسه الولهي التي استوعبتها الهموم و الآلام.

و في اليوم الأخير من حياتها ظهرت عليها المسرّات، فقد علمت أنّها ستلتحق بأبيها الذي كرهت الحياه من بعده، و قد عمدت إلى ولديها السبطين فغسلتهما و صنعت لهما من الطعام ما يكفيهم يومهم، و أمرتهما بالخروج لزياره مرقد جدّهما، و ألقت عليهما نظره الوداع الأخير، و هي تذرّف أحزّ الدموع و ذاب قلبها من اللوعه و الوجد عليهما.

و خرج الحسنان و قد هاما في تيارات مذهله من الهواجس، و أحسا بوادر مخيفه أغرقتهما بالأسى و الشجون.

و التفتت وديعه النبي إلى أسماء بنت عميس، و كانت هي التي تتولّى تريضها و خدمتها فقالت لها:

«يا أمّاه».

نعم، يا حبيبه رسول الله.

«اسكبي لي غسلا».

ص: ١٦٢

فانبرت أسماء، و هيأت لها الماء فاغتسلت فيه ثم قالت لها:

«ابتيني بثيابي الجدد».

فناولتها ثيابها، و هتفت بها ثانيه:

«اجعلي فراشي في وسط البيت...».

و ذعرت أسماء و مشت الرعدة بأوصالها، فقد أحسّت أنّ وديعه النبيّ لا حقه بأبيها، و وضعت أسماء الفراش لها فاضطجعت عليه، و استقبلت القبلة،

و التفتت إلى أسماء فقالت لها بصوت خافت:

«يا أمّاه، إنّى مقبوضه الآن، و قد تطهّرت، فلا يكشفني أحد...» [١].

و أخذت سيّده النساء تتلو آيات من القرآن الكريم حتى فارقت الحياه و لسانها يلهج بذكر الله تعالى.

لقد سمت روحها العظيمه إلى الله تعالى شاكيه إليه ما لاقته من الخطوب و الكوارث، لقد ارتفعت تلك الروح العظيمه إلى جنان الله و رضوانه تحفّها ملائكه الله، و يستقبلها أنبياء الله. فما أظلتّ سماء الدنيا في جميع مراحل الحياه مثل بضعه الرسول في قداستها و إيمانها، لقد انقطع بموتها آخر من كان في دنيا الوجود من نسل رسول الله صلّى الله عليه و آله.

و قفل الحسنان إلى الدار بلهفه يسألان عن أمّهما فأخبرتهما أسماء بوفاتها، و هي غارقه في العويل و البكاء، فكان ذلك كالصاعقه عليهما فهرعا مسرعين إلى جثمانها فوقع عليها

الحسن و هو يقول:

«يا أمّاه، كلميني قبل أن تفارق روحي بدني».

و ألقى الحسين نفسه عليها و هو يقول بذوب روحه:

«يا أمّاه، أنا ابنك الحسين كلّميني قبل أن ينصدع قلبي».

و أخذت أسماء توسعهما تقييلا و تعزّيتهما، و طلبت منهما أن يخبرا أباهما بوفاه أمّهما، فانطلقا إلى مسجد رسول الله صلّى الله عليه و آله، و هما غارقان فى البكاء، فاستقبلهما المسلمون بفزع قائلين لهما:

ما يبكيكما يا ابني رسول الله ؟ لعلكما نظرتما موقف جدّكما فبكيكما شوقا إليه ؟..

فأجابا بلوعه:

«أو ليس قد ماتت أمّنا فاطمه ؟..».

و اضطرب الإمام حينما سمع النبا المؤلم و راح يقول:

«بمن العزاء يا بنت محمّد؟ كنت بك أتعرّى ففيم العزاء بعدك ؟..».

و خفّ مسرعا إلى الدار و هو يذرف أحزّ الدموع، فلما انتهى إليها ألقى نظره على جثمان حبيبه رسول الله صلّى الله عليه و آله، و طافت به الآلام و الهموم، و أخذ ينشد:

«لكلّ اجتماع من خليلين فرقه و كلّ الذى دون الفراق قليل

و إنّ افتقادی فاطما بعد أحم د دليل على أن لا يدوم خليل»

و ارتفعت الصيحة فى المدينة، و هرع الناس من كلّ صوب نحو بيت الإمام ليفوزوا بتشيع جثمان وديعه نيّهم الذين ما رعوا حقّها.

و عهد الإمام إلى سلمان المحمّدى أن يصرف الناس و يعرّفهم بتأجيل تشيع جنازتها، فأخبرهم بذلك، فانصرفوا، و أقبلت عائشه نحو بيت الإمام لتلقى نظره على الجثمان المقدّس فحجبتها أسماء و قالت لها:

لقد عهدت إلى أن لا يدخل أحد عليها... [١]، و لمّا مضى من الليل شطره،

قام الإمام فغسل الجسد الطاهر و معه الحسنان و زينب و أسماء، و قد أخذت اللوعه بمجامع قلوبهم، و بعد أن أدرج جسدها فى أكفانها دعا بأطفالها الذين لم ينتهلوا من حنان أمهم ليلقوا عليها نظره الوداع، و ماتت الأرض من كثره صراخهم و بكائهم، ثم عقد الرداء عليها. و لمّا حلّ الهزيع الأخير من الليل قام فصلّى عليها و معه النخبه من أصحابه بحمل الجثمان المعظم إلى مثواه الأخير و لم يخبر أحدا سواهم، ثم أودع الجثمان فى قبرها و أخفاه امتثالا- لوصيتها، و وقف على حافه القبر و هو يروى ثراه بدموع عينيه، و اندفع يؤبّنها بهذه الكلمات:

السلام عليك يا رسول الله عنى، و عن ابنتك التّازله فى جوارك، و السّريعه اللّحاق بك! قلّ يا رسول الله، عن صفتك صبرى، و رقّ عنها تجلّدى، إلّا- أنّ فى التّأسى لى بعظيم فرقتك، و فادح مصيبتك، موضع تعزّ، فلقد وسّدتك فى ملحوده قبرك، و فاضت بين نحرى و صدرى نفسك «فإنّا لله و إنّا إليه راجعون». فلقد استرجعت الوديعه، و أخذت الرّهينه! أمّا حزنى فسرمد، و أمّا ليلى فمسهد، إلى أن يختار الله لى دارك التى أنت بها مقيم. و ستبتك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها، فأحفها السّؤال، و استخبرها الحال؛ هذا و لم يطل العهد، و لم يخل منك الذّكر، و السّلام عليكما سلام مودّع، لا قال و لا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملاله، و إن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصّابرين [١].

و حكّت هذه الكلمات حزنه العميق و ألمه الممضّ على فقدته لوديعه رسول الله، كما حكّت ما تقدّم به من الشكوى لرسول الله صلّى الله عليه و آله على ما ألمّ ببضعته من الكوارث التى تجرّعتها من القوم، و يطلب منه أن يلخّ عليها فى السّؤال لتخبره بما جرى عليها تفصيلا من الظلم و الضيم فى تلك الفتره القصيره التى عاشتها من بعده.

و عاد الإمام إلى داره و قد طافت به الأزمات يتبع بعضها بعضا، فهو ينظر إلى أطفاله و هم غارقون في البكاء على أمهم الرءوم التي اختطفها يد المنون و هي في روعه الشباب و نضاره العمر..

و ينظر إلى إعراض القوم عنه ناسين جهاده في سبيل الإسلام و قربه من الرسول، و قد أضافت إليه هموما قاسيه و أحزانا مريره. و على أي حال فقد اعتزل الإمام القوم و أعرض عنهم، و أعرضوا عنه، و قد صمّموا على إبعاده عن الحياه السياسيه و عدم مشاركته بأي شأن من شؤون الدوله.

و من الجدير بالذكر أنّ حكومه أبي بكر لم ترشّح أحدا لمناصب الدوله و له ميول مع الإمام، فقد روى المؤرّخون أنّ أبا بكر عزل خالد بن سعيد بن العاص عن قياده الجيش الذي بعثه لفتح الشام، و لم يكن هناك موجب لعزله إلاّ ميله لعلّي يوم السقيفه، و قد تبّه لذلك عمر [١]، كما أنّ أبا بكر لم يعهد لأيّ أحد من الهاشميين بأيّ منصب من مناصب الدوله، و قد تحدّث عمر مع ابن عباس عن سبب حرمانهم من أنّه يخشى إذا مات و أحد الهاشميين وال على قطر من الأقطار الإسلاميه أن يحدث في شأن الخلافه ما لا يحبّ [٢].

و كان معظم ولاة أبي بكر من الأسره الأمويه، و كان منهم ما يلي:

١ - يزيد بن أبي سفيان، استعمله واليا على الشام [٣]، و خرج موذعا له إلى خارج يثرب، و بعد وفاته أسندت ولايه الشام إلى أخيه معاويه.

٢ - عتاب بن اسيد بن أبي العاص، استعمله واليا على مكّه [٤].

٣ - عثمان بن أبي العاص، استعمله واليا على الطائف [١].

٤ - أبو سفيان، جعله عاملا على ما بين آخر حدّ الحجاز و آخر مكان من نجران [٢].

و فى هذا الاجراء الذى اتّخذته قد برز نجم الأمويين، و احتلّوا مكانه مرموقه فى الدوله الإسلاميه، و قد أبدى المراقبون لسياسه أبى بكر دهشتهم من هذه السياسه، يقول العلائلى:

فلم يفز بنو تيم بفوز أبى بكر بل فاز الأمويون و حدهم لذلك صبغوا الدوله بصبغتهم، و أثروا فى سياستها و هم يعيدون عن الحكم كما يحدّثنا المقرئى فى رسالته «النزاع و التخاصم» [٣].

و كان الأولى بأبى بكر أن يعهد بأمر المسلمين إلى الساده من الاسره النبويه و إلى الأخيار المتحرّجين فى دينهم من الأوس و الخزرج، و إبعاد الأمويين عن كلّ منصب من مناصب الدوله، و أن يعاملهم بالازدراء كما عاملهم الرسول صلّى الله عليه و آله، و كما قابلهم المسلمون، فقد كانوا ينظرون إليهم نظره احتقار و امتهان لأنّهم خصوم الإسلام، و إسلامهم لم يكن واقعا و إنّما كان صوريا.

وفاه أبى بكر و عهده لعمر:

و قبل أن نطوى الحديث عن مؤتمر السقيفه و ما رافقه من الأحداث الجسام نعرض إلى وفاه أبى بكر و عهده لعمر بن الخطّاب وليّا و خليفه من بعده.

و لم يطل سلطان أبى بكر، فقد ألّمت به الأمراض بعد مضى سنتين من

حكّمه، وقد صمّم و هو فى الساعات الأخيره من حياته على تقليد زميله عمر بن الخطاب شئون الخلافه؛ لأنه هو الذى أقامه فى منصبه.

و يقول المؤرّخون: أنّه لاقى معارضه كثيره فى ترشيحه لعمر خليفه من بعده، فقد انبرى إليه طلحه بعنف قائلاً:

ما ذا تقول لرّبك و قد وليت علينا فظاً غليظاً، تفرق منه النفوس، و تنفر منه القلوب.. [١].

و وجم أبو بكر فلم يجبه إلاّ أنّ طلحه كرّر عليه إنكاره قائلاً:

يا خليفه رسول الله، إنّنا كنّا لا نتحمّل شرّاسته و أنت حتى تأخذ على يديه، فكيف يكون حالنا معه و أنت ميت و هو الخليفه؟.. [٢].

و لم يعن أبو بكر لإنكار طلحه، و لم يقم له أى وزن، كما أنّ أكثر المهاجرين اندفعوا إلى الانكار عليه قائلين:

نراك استخلفت علينا عمرا و قد عرفته و علمت بوائقه فينا و أنت بين أظهرنا، فكيف إذا وليت عنا، و أنت لابق الله عزّ و جلّ فسألك فما أنت قائل؟..

فأجابهم أبو بكر:

لئن سألتنى الله لأقولنّ: استخلفت عليهم خيرهم فى نفسى [٣].

و يذهب الكثيرون إلى أنّ الأجدد بأبى بكر أن يستجيب لعواطف و آراء الأكثرية من المسلمين، فلا يولّى عليهم أحداً إلاّ بعد رضاهم و إجراء عمليه انتخابيه أو يستشير أهل الحلّ و العقد إلاّ أنّه استجاب لعواطفه المترعه بالولاء و الحبّ لابن

الخطاب، و قد طلب أبو بكر من بعض خواصه أن يخبره عن رأى المسلمين فى ذلك فقال له:

ما يقول الناس فى استخلافى عمر؟ كرهه قوم و رضيه آخرون..

الذين كرهوه أكثر أم الذين رضوه؟..

بل الذين كرهوه.. [١].

و إذا كانت الأ-كثريه الساحقه ناقمه على ولايه عمر من بعده، فكيف فرضه عليهم، و لم يمنح المسلمين الحريه فى انتخاب من شاءوا لرئاسه الحكم.

و مهما يكن الأمر فإنّ عمر لازم أبا بكر فى مرضه خوفا من التأثير عليه فى العدول عن رأيه و كان يعزّز مقالته فى انتخابه له قائلا:

أيّها الناس، اسمعوا و أطيعوا قول خليفه رسول الله صلّى الله عليه و آله.. [٢].

و طلب أبو بكر من عثمان بن عفّان أن يكتب للناس عهده فى توليه عمر من بعده، و جعل أبو بكر يملى عليه و هو يكتب، و هذا نصّه:

هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافه، آخر عهده فى الدنيا نازحا عنها، و أوّل عهده بالآخره داخلا فيها إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، فإنّ تروه عدل فيكم فذلك ظننى به، و رجائى فيه، و إن بدّل و غير فالخير أردت و لا أعلم الغيب، و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.. [٣].

و لم يقل أحد أنّ أبا بكر يهجر، و ما حالوا بينه و بين كتابته فى النصّ على عمر،

كما حالوا بين النبي و بين ما رامه فى الكتابه فى حق الإمام عليه السلام و قالوا إنه يهجر.

و على أى حال فقد وقع أبو بكر الكتاب فتناوله عمر، و انطلق به يهرول إلى الجامع ليقراه على الناس فاستقبله رجل، و قد أنكر حالته فقال له:

ما فى الكتاب يا أبا حفص ؟..

فنفى عمر درايته بما فيه إلا أنه أذعن لما يحتويه قائلا:

لا أدرى، و لكننى أول من سمع و أطلع..

فرمقه الرجل بطرفه، و عرف واقع الحال، فقال له:

و لكننى و الله! أدرى بما فيه، أمرته عام أول، و أمرك العام [١].

و انطلق عمر و هو يلوح بالكتاب و يدعو الناس إلى استماع ما فيه، فقرأه على الناس و بذلك تم له الأمر بسهولة من دون أن ينازعه أحد فى ذلك.

موقف الإمام:

و التاع الإمام عليه السلام كأشد ما تكون اللوعه و أعرب عن أساه بعد حين من الزمن، و ذلك

فى خطبته الشقشقيه، قال عليه السلام:

فأريت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت و فى العين قذى. و فى الحلق شجا، أرى تراثى نهبا، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان - يعنى عمر - بعده. ثم تمثل بقول الأعشى:

شأن ما يومى على كورها و يوم حيان أخى جابر

فيا عجباً!! بينا هو يستقبلها فى حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته - لشد ما

تشطراً ضرعيها! [١] و حكّت هذه الكلمات آلامه و أساه على ضياع حقّه و إزالته عن مركزه و مقامه، فقد تناهته الرجال فوضعه في تيم مّزه و أخرى في عدى، و تناسوا مكانته من رسول الله صلّى الله عليه و آله و جهاده المشرق في نصره الإسلام.

و على أى حال فلم يلبث أبو بكر إلّا- زمانا قصيرا حتى وافاه الأجل المحتوم، و انبرى صاحبه و خليله عمر إلى القيام بشئون جنازته فغسّله و أدرجه في أكفانه، و صلّى عليه، و واره في بيت النبى صلّى الله عليه و آله و ألصق لحدّه بلحدّه [٢]، و يذهب المتكلّمون من الشيعة إلى أنّ البيت الذى دفن فيه إن كان من تركه النبى فهو لوارثته سيّده نساء العالمين، و من بعده انتقل إلى زوجها و أولادها، و لم يؤثر عن النبى صلّى الله عليه و آله أنّه وهبه لعائشه، و على هذا فلا يحلّ دفنه فيه إلّا بعد الإذن من ورثه النبى، أمّا اذن عائشه فلا موضوعيه له لأنّها لا ترث من الأرض و إنّما ترث من البناء، حسبما ذكره الفقهاء في ميراث الزوجه.

و إن كان البيت النبوى خاضعا لعملية التأميم حسبما يرويه أبو بكر عن النبى أنّ الأنبياء لا- يورثون شيئا من متاع الدنيا و إنّما يورثون الكتاب و الحكمه، و ما تركوه فهو صدقه لعموم المسلمين، و على هذا فلا بدّ من ارضاء الجماعه الإسلاميه في دفنه في البيت و لم يتحقّق أى شىء من ذلك.

خلافه عمر

اشاره

و مبدأ الشورى

ص: ١٧٣

و تولّى عمر الخلفه بسهولة و سرور و لم يلق أى جهد أو عناء، و قد قبض على الحكم بيد من حديد، و ساس الامّه بشدّه و عنف حتّى تحامى لقاءه أكابر الصحابه، فقد كانت درّته - كما يقولون - أَرهَب من سيف الحجاج، حتى أنّ حبر الامّه عبد الله بن عباس لم يستطع أن يجهر برأيه فى حليه المتعه إلاّ بعد وفاته، و قد خافه و هابه و وصفه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبته الشقشقيه بالحوزه الخشناء التى يغلظ كلمها و يخشن مسّها.

و على أى حال فإنّا نعرض بصوره موجزه إلى بعض معالم سياسته الداخليه و الخارجيه حسب ما صرّحت به مصادر التاريخ و غيرها.

سياسته الداخليه:

اشاره

و اتّسمت سياسته عمر الداخليه بالعنف و الشدّه، و قد سيطر سيطره تامّه على البلاد، و قابل كلّ من كان يعتدّ بنفسه بالصرامه، كان منهم من يلى:

سعد بن أبى وقاص:

كان سعد بن أبى وقاص شخصيه مرموقه، و بلاؤه فى فتح فارس معروف، و قد أقبل على عمر و كان يقسم مالا بين المسلمين، فزاحم الناس حتى خلص إلى عمر، فلمّا رأى اعتداده بنفسه علاه بالدره، و قال: لم لم تهب سلطان الله فى

الأرض، فأردت أن اعلمك أنّ سلطان الله لا يهابك [١]، وقد كسر شوكته و ملأ أنفه ذلاً و خنوعاً.

جبله بن الأيهم:

و جبله من الشخصيات المرموقة فى العالم العربى ، و قد أسلم هو و قومه، و فرح المسلمون بإسلامه، و حضر جبله الموسم، و بينما هو يطوف حول الكعبه إذ وطأ إزاره رجل من فزاره فحلّه، فغضب جبله و سارع إلى الفزارى فلطمه، فبلغ عمر ذلك، فاستدعى الفزارى، و أمر جبله أن يقيدته من نفسه أو يرضيه، و ضيق عليه غايه التضيق، فارتدّ جبله و رفض الإسلام، و ولى إلى هرقل فاحتفى به و أنزله منزلاً كريماً، إلا أن جبله أسف أشدّ الأسف على ما فاتته من شرف الإسلام و قد نظم أساه و حزنه بهذه الأبيات:

تنصّرت الأشراف من أجل لطمه و ما كان فيها لو صبرت لها ضرر

فيا ليت أمى لم تلدنى و ليتنى رجعت إلى القول الذى قاله عمر

و قد أراد عمر أن يقوده بأول بادره تبدو منه ببره [٢] محاولاً بذلك إذلاله و إهانته [٣].

و لم تكن شدّه عمر مقتصره على رعيتته، و إنّما كانت شامله لأهله، و يقول المؤرّخون إنّه إذا غضب على أحد من أهله لا يسكن غضبه حتى يعضّ على يده عضّاً شديداً فيدميها [٤].

و وصف عثمان بن عفان شدّه عمر حينما نقم عليه المسلمون بقوله:

لقد وطئكم ابن الخطّاب برجله، و ضربكم بيده، و قمعكم بلسانه، فخفتموه و رضيتم به... [١].

و يقول المعتمون في البحوث الإسلاميه: إنّ هذه السياسه تجافى سيره الرسول صلّى الله عليه و آله التي بنيت على الرفق و اللين و اجتناب جميع مظاهر العنف و الشدّه، و قد روى المؤرّخون صوراً كثيره من تواضعه كان منها أنّ رجلاً جاءه فأخذته الرهبه منه و بدى عليه الرعب، فنهره الرسول صلّى الله عليه و آله و قال له: «إنّما أنا ابن امرأه من قریش كانت تأكل القديد» [٢]، و سار مع أصحابه سيره الأخ مع أخيه، و كره أن يتميّز على أحد منهم و قد شاركهم في العمل في بناء مسجده الأعظم، و قد مدحه الله تعالى على سموّ أخلاقه قال تعالى: وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [٣].

و على أى حال فإنّ الغلظه لا تتفق بأى حال من الأحوال مع ما اثر عن الرسول صلّى الله عليه و آله من سموّ الأخلاق و محاسن الآداب.

فرض الإقامه الجبريه على الصحابه:

و من بنود السياسه العمرية فرض الإقامه الجبريه على الصحابه، فلم يسمح عمر لهم بمغادره يثرب إلّا بعد أن يأذن لهم بذلك، و يرى الباحثون في الشؤون الإسلاميه أنّ هذا الإجراء يتنافى مع ما شرّعه الإسلام من منهج الحريات العامه للناس جميعاً، فهم أحرار فيما يعملون و يقولون شريطه أن لا تكون مجافيه للتعاليم الإسلاميه، و ليس للسلطه أن تقف منهم موقفاً سلبياً، اللهم إلّا إذا أحدثت الحريه أضراراً بالغير أو فساداً في الأرض.

و برّر الدكتور طه حسين ما اتّخذه عمر من فرض الحصار على الصحابه بقوله:

و لكنّه - أى عمر - خاف عليهم - أى على الصحابه - الفتنة، فأمسكهم فى المدينه لا- يخرجون منها إلا بإذنه، و حسبهم عن الأقطار المفتوحه، لا- يذهبون إليها إلا- بأمر منه خاف أن يفتتن الناس بهم، و خاف عليهم أن يغرهم افتتان الناس بهم، و خاف على الدوله عواقب هذا الافتتان [١].

و فيما أرى أنّ هذا التوجيه لا يحمل أى طابع من التحقيق فإنّ الصحابه الذين راموا السفر من يثرب إلى الأقطار و الأقاليم التى فتحها الإسلام إن كانوا من الأخيار و المتحرّجين فى دينهم فإنّهم بكلّ تأكيد يكونون مصدر هدايه و مصدر خير و تهذيب إلى الشعوب المتطلّعه لهدى الإسلام و معرفه أحكامه، و هم - من دون شكّ - يشيعون الفضيله و يعملون على تهذيب السلوك و نشر محاسن الأخلاق. و إنّ كانوا من الذين فتنتم الدنيا، و خدعتهم مظاهر الفتوحات الإسلاميه فلعمر الحقّ فى منعهم من السفر رسماً لا- شرعاً حفظ لصالح الدوله و وقايه للناس من الفتنة بهم، و لكن لم يؤثر عنه أنّه فرض الحصار على فريق من الصحابه دون فريق و إنّما فرضه على جميع الصحابه، و بذلك فقد حال بينهم و بين حرياتهم.

ولاته و عمّاله:

و الشىء البارز فى سياسه عمر مع الولاه و العمّال أنّه لم يعهد بأى منصب من مناصب الدوله إلى أحد من الاسره النبويه، و إنّما أقرّ من ولّاهم أبو بكر فى مناصبهم، كما لم يعين أحداً من الصحابه البارزين أمثال طلحه و الزبير، و قيل له:

إنّك استعملت يزيد بن أبى سفيان و سعيد بن العاص و فلانا و فلانا من المؤلّفه

قلوبهم من الطلقاء و أبناء الطلقاء و تركت أن تستعمل عليا و العباس و الزبير و طلحه ؟ فقال: أمّا عليّ فأنبه من ذلك، و أمّا هؤلاء
النفر من قريش فإنّي أخاف أن ينتشروا في البلاد فيكثروا فيها بالفساد...

و علّق ابن أبي الحديد على هذا الكلام بقوله:

فمن يخاف من تأميرهم لئلا يطمعوا في الملك، و يدّعيه كلّ واحد منهم لنفسه، كيف لم يخف من جعلهم ستّة متساويين في
الشورى مرشّحين للخلافه، و هل شيء أقرب إلى الفساد من هذا... [١].

لقد رشّح طلحه و الزبير و جعلهما من أعضاء الشورى، و شهد بأنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله توفّي و هو راض عنهما، كيف
يكونان ممّن ينشران الفساد في الأرض إذا أسند إليهما بعض مناصب الدولة.

مراقبه الولاة و العمال:

و كان عمر شديد المراقبه لعمّاله و ولاته، فلم يولّ عاملا إلّا أحصى عليه حاله، فإذا عزله أحصى عليه ما عنده من أموال، فإن
وجد عنده فرقا قاسمه ذلك الفرق، فترك له شطرا و ضمّ الشطر الآخر إلى بيت المال [٢]، و استعمل أبا هريره الدوسى واليا على
البحرين، و قد وافته الأنباء بأنّه استأثر بأموال المسلمين، فدعاه، فلمّا مثل عنده قال له: علمت أنّى استعملتك على البحرين و أنت
بلا نعلين، ثم بلغنى أنّك ابتعت أفراسا بألف و ستمائة دينار...؟ فاعتذر أبو هريره و قال له:

كانت لنا أفراس تناتجت و عطايا تلاحقت.

فلم يحفل أبو حفص باعتذاره فزجره و صاح به:

قد حسبت لك رزقك و مؤوتتك، و هذا فضل فأدّه...

و راوغ أبو هريره قائلاً:

ليس لك ذلك..

و ورم أنف عمر و صاح به:

بلى و الله! و أوجع ظهرك..

ثم علاه بالذره فضربه حتى أدماه، و لم يجد أبو هريره ملجأ أمام صرامه عمر و شدته، فأحضر الأموال التي انتهبها فردّها على عمر و قال له:

احتسبتها عند الله..

فردّ عليه عمر قائلاً:

ذلك لو أخذتها من حلال، و أديتها طائعا، أجتت بها من أقصى حجر البحرين يجبى الناس لك، لا لله و لا للمسلمين ما رجعت بك أميمه [١] إلا لرعيه الحمر [٢]، ثم شاطره جميع أمواله التي اختلسها من بيت المال، و كان الأجدر به أن يصادرها أجمع، أمّا العمال الذين شاطرهم فهم:

١ - سمره بن جندب.

٢ - عاصم بن قيس.

٣ - مجاشع بن مسعود.

٤ - جزء بن معاويه.

٥ - الحجاج بن عتيك.

٦ - بشير بن المحتفز.

٧ - أبو مريم بن محرش.

٨ - نافع بن الحرث.

هؤلاء بعض عماله وولاته الذين شاطرهم أموالهم، و يقول المؤرخون: إنَّ السبب في اتّخاذ هذا الإجراء هو يزيد بن قيس، فقد حفّزه إلى ذلك و دعاه إليه بهذه الأبيات:

أبلغ أمير المؤمنين رساله فأنت أمين الله في النهى و الأمر

و أنت أمين الله فينا و من يكن أميناً لربّ العرش يسلم له صدرى

فلا تدعن أهل الرّساتيقي و القرى يسيعون مال الله في الادم و الوفري

فارسل إلى الحجاج فاعرف حسابه و أرسل إلى جزء و أرسل إلى بشر

و لا تنسينّ النافعين كليهما و لا ابن غلاب من سراه بنى نصر

و ما عاصم منها بصفر عيابه و ذاك الذى فى السوق مولى بنى بدر

و أرسل إلى النعمان و اعرف حسابه و صهر بنى غزوان إنى لذو خبر

و شبلا فسله المال و ابن محرش فقد كان فى أهل الرساتيقي ذا ذكر

فقاسمهم أهلى فداؤك إنهم سيرضون إن قاسمتهم منك بالشرط

و لا تدعونى للشّهاده إننى أغيب و لكّنّى أرى عجب الدهر

نئوب إذا أبوا و نغزوا إذا غزوا فأنى لهم و فرّ و لسنا أولى وفر

إذا التاجر الدارى جاء بفأره من المسك راحت فى مفارقهم تجرى

و على أثر ذلك قام عمر فشاطر عماله نعلًا بنعل [١]، و معنى هذا الشعر أنّ هؤلاء الولاه قد اقترفوا جريمه السرقة و خانوا مال المسلمين، و الواجب يقضى بأن تصادر جميع أموالهم و ضمّها إلى بيت مال المسلمين، و إذا ثبتت خيانتهم فيقصون

عن وظائفهم، و لا تشاطر أموالهم كما فعل عمر.

و على أى حال فإنَّ شدَّه عمر و مراقبته لولاته لم تجد، فقد كانت هناك شكاوى متَّصلة منهم، فقد أرسل إليه بعض المسلمين يشتكون من القائمين على الخراج، و فيها هذان البيتان:

نثوب إذا أبوا و نغزوا إذا غزوا فأنتى لهم وفر و لسنا أولى وفر

إذا التاجر الدارى جاء بفأره من المسك راحت فى مفارقهم تجرى [١]

بقى هنا شىء يدعو إلى التساؤل، و هو أنَّ عمر قد استعمل الشدَّه و الصرامه مع عمَّاله و ولاته سوى معاويه بن أبى سفيان فإنَّه كان يحذب عليه و يشفق، فلم يفتح معه أى لون من التحقيق و لم يحاسبه على بذخه و إسرافه، و تكدَّس الأموال عنده حيث تتواتر إليه الأخبار باختلاسه لبيت المال و إنفاقه الأموال الهائلة على رغباته و توطيد ملكه فيعتذر عنه و يشيد به قائلا:

تذكرون كسرى و قيصر و دهاءهما و عندكم معاويه [٢]، و هذا مجاف لما فى

الحديث النبوى: «هلك كسرى ثمَّ لا يكون كسرى بعده، و قيصر ليهلكنَّ ثمَّ لا يكون قيصر بعده، و الذى نفسى بيده! لتنفقنَّ كنوزهما فى سبيل الله...».

لقد بالغ فى تسديد معاويه و الإشاده به و لم يحفل بجرحه، فقد أخبره جماعه من الصحابه أنَّ معاويه قد جافى سنَّه رسول الله صلَّى الله عليه و آله، فهو يلبس الحرير و الديباج و يستعمل أوانى الذهب و الفضة و لا يتحرَّج فى أعماله و سلوكه عمَّا خالف السنَّه، فأنكر عليهم عمر و قال لهم:

دعونا من ذمِّ فتى من قريش من يضحك فى الغضب و لا ينال ما عنده من

الرضاء ولا يؤخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدمه.. [١].

وقد ذهب في تسديده إلى أبعد من ذلك، فقد نفخ فيه روح الطموح وهدّد به أعضاء الشورى الذين انتخبهم من بعده قائلا:
إنكم إن تحاسدتم و تدابرتم، و تباغضتم غلبكم على هذا معاويه بن أبى سفيان [٢].

ولما أمن معاويه جانب عمر أخذ يعمل فى الشام عمل من يريد الملك و السلطان [٣].

سياسته الماليه:

اشاره

أما سياسه عمر و منهجه المالى فقد كان مخالفا لسياسه أبى بكر الماليه، فقد كان أبو بكر يساوى فى العطاء، و قد أشار عليه عمر بالعدول عن ذلك قائلا:

إنّ الله لم يفضّل أحدا على أحد، و لكنّه قال: إنّما الصّدقاتُ للفقراءِ و المساكينِ ، و لم يخصّ قوما دون آخرين.. [٤].

ولما أفضت إليه الخلافه عدل عن سياسه أبى بكر و فضّل بعض المسلمين على بعض فى العطاء، و قال: إنّ أبى بكر رأى فى هذا الحال رأيا، و لى فيه رأى آخر، لا- أجعل من قاتل رسول الله صلّى الله عليه و آله كمن قاتل معه [٥]. و قد فرض للمهاجرين و الأنصار مّمن شهد بدرًا خمسه آلاف خمسه آلاف، و فرض لمن كان إسلامه كإسلام أهل بدر

و لم يشهد بدرا أربعة آلاف أربعة آلاف، و فرض لأزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله اثني عشر ألفا إلا صفيه و جويريه ففرض لهما ستّة آلاف فرفضتا ذلك، كما فرض للعبّاس عمّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله اثني عشر ألفا، و فرض لاسامه بن زيد أربعة آلاف، و فرض لابنه عبد الله ثلاثة آلاف فأنكر عليه ذلك، و قال له:

يا أبت، لم زدته على ألفا؟ ما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لأبي، و كان له ما لم يكن لي؟ فقال له عمر: إنّ أبا اسامه كان أحبّ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله من أبيك، و كان اسامه أحبّ إلى رسول الله منك [١].

و قد فضّل عمر العرب على العجم، و الصريح على الموالي [٢].

و أدت هذه السياسة إلى إيجاد الطبقية بين المسلمين، كما أدت إلى تصنيف الناس بحسب قبائلهم و اصولهم، فنشط النسّابون لتدوين الأنساب، و تصنيف القبائل بحسب اصولها [٣].

و كان هذا الإجراء قد أوجد تحوّلا في الجماعه الإسلاميه، فقد أدى إلى حنق الموالي على العرب، و ظهور النعرات الشعوبيه و القوميه، في حين إنّ الإسلام قد ساوى بين جميع المسلمين و جعل رابطه الدين أقوى من رابطه النسب و الدم.

ناقدون:

إشارة

و أثارت هذه السياسة الماليه التي انتهجها عمر موجه من النقد و السخط من المحقّقين، و هؤلاء بعضهم:

ص: ١٨٤

١ - الدكتور محمد مصطفى:

و أنكر الدكتور محمد مصطفى هذه السياسه قال: و فرض العطاء على هذه الصوره قد أثر تأثيرا خطيرا فى الحياه الاقتصاديه للجماعه الإسلاميه؛ إذ خلق شيئا فشيئا طبقه ارسقراطيه غتبه يأتيها رزقها رغدا دون أن تنهض بعمل ما مقابل ما يدخل إليها من أموال.. ذلك أن فرض العطاء كان يرتكز على ناحيتين: القرابه من رسول الله، و السابقيه فى الإسلام، و لهذه القرابه و لتلك السابقيه درجات و درجات، و بهذا لم يرع عمر فرض العطاء ذلك للمقابل الذى لا بد من أن تأخذه الدوله فى صوره عمل و جهاد [١].

٢ - العلامه العائلى:

قال العلامه العائلى: هذا التنظيم المالى أوجد تمايزا كبيرا، و أقام المجتمع العربى على قاعده الطبقات بعد أن كانوا سواء فى نظر القانون (الشريعه)، فقد أوجد ارسقراطيه و شعبا و عامه [٢].

٣ - الدكتور عبد الله سلام:

و أنكر الدكتور عبد الله سلام هذه السياسه التى انتهجها عمر فى سياسته المالىه، قال: لست أدرى كيف اتخذ عمر هذا الاجراء و لما ذا اتخذه؟ إنه إجراء أوجد تفاوتا اجتماعيا و اقتصاديا، إجراء أوجد بدور التنافس و التفاضل بين المسلمين [٣].

إن السياسه التى جرى عليها عمر فى الميدان الاقتصادى لا تحمل أى طابع

من التوازن، فقد خلقت الرأسماليه عند عدد من الصحابه، فقد تكدّست عندهم الأموال، و قد خُلف بعضهم بعد موته من الذهب ما يكسّر بالفؤوس، و بذلك فقد سيطرت الرأسماليه على شئون الدوله، و قد سخّرت أجهزتها لمصالحها الخاصه، و قد ازداد نفوذها و ثراؤها أيام حكومه عثمان بن عفّان عميد الاسره الأمويه و بعد قتله، و لَمّا تسلّم الإمام عليه السّلام قياده الحكم جهدت فى معارضته؛ لأنّ سياسته العادله كانت تهدف إلى منعهم من الامتيازات الخاصه و مصادرهم أموالهم التى ابتزوها بغير حقّ، كما سنوضح ذلك عند التحدّث عن حكومه الإمام.

ندم عمر:

و ندم عمر فى آخر أيام حكومته لما تفشّى الثراء العريض عند بعض الصحابه و راح يقول: لو استقبلت من أمرى ما استدبرته أخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء.

و فيما أحسب أنّ هذا الإجراء الذى أراد عمر أن يتّخذه لا يخلو من تأمل؛ فإنّ فضول أموال الأغنياء إن كانت مختلسه من أموال الدوله فيجب مصادرتها و تأمينها، و إن كانت من أموال التجاره فليس له من سبيل عليها، و الواجب أخذ ما عليها من الضرائب الماليه إن كانت خاضعه لها، و مهما يكن الأمر فإنّ أموال الأغنياء إن كانت من الفىء و من جبايه الجزيه و الخراج فهى ملك للمسلمين فلا يجوز أن يستأثر بها فريق دون فريق.

اعتزال الإمام:

و اعتزل الإمام أيام حكومه عمر، و لم يشترك بأى عمل من أعمال الدوله، كما اعتزل فى أيام حكومه أبى بكر، يقول محمّد بن سليمان فى أجوبته على أسئله

جعفر بن مكي عمّيا دار بين علي و عثمان: إنّ عليًا دحضه الأولان - يعني أبا بكر و عمر - و أسقطاه، و كسرا ناموسه بين الناس فصار نسيا منسيا.. [١].

و يعزو الإمام عليه السّلام جميع ما لاقاه في حياته من النكبات و الأزمت إلى عمر، و ذلك في حديث خاصّ له مع عبد الله بن عمر [٢].

و علي أي حال فقد اعتزل الإمام عليه السّلام الناس اعتزالا تامًا، و انصرف إلى تفسير القرآن الكريم، و لم يتّصل بأحد سوى الصفوه من أصحابه أمثال الطيب ابن الطيب عمّار بن ياسر، و الثائر علي الحكم الأموي أبو ذرّ، و سلمان الفارسي و غيرهم من خيار أصحاب الرسول.

و كان عمر يرجع إلى الإمام في المسائل الفقيهية؛ لأنّ بضاعته كانت قليلة فيها، و قد شاع عنه قوله:
لولا علي لهلك عمر.. [٣].

و قد نزلت في عمر نازله فحار في التخلّص منها، و عرض ذلك على أصحابه فقال لهم:
ما تقولون في هذا الأمر؟ فأجابوه: أنت المفزع و المنزع...

فلم يرضه قولهم و تلا قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [٤].

ثمّ قال لهم:

ص: ١٨٧

أما والله! إني وإياكم لنعلم ابن بجدتها والخير بها.

فقالوا:

كأنك أردت ابن أبي طالب؟ و أنى يعدل بي عنه، و هل طفحت حرّه بمثله..

لو دعوته يا أمير المؤمنين.

فامتنع من إجابتهم و قال:

إنّ هناك شمخا من هاشم، و اثره من علم، و لحمه من رسول الله صلّى الله عليه و آله يؤتى و لا يأتى فامضوا بنا إليه..

و خفّوا جميعا إليه فوجدوه فى حائط له يعمل فيه و عليه تبان، و هو يقرأ قوله تعالى: أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وَ دُمُوعَهُ تَنْهَمِرُ عَلَى خَدَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ الْقَوْمُ اجْهَشُوا فِي الْبُكَاءِ، وَ لَمَّا سَكَتُوا سَأَلَهُ عُمَرُ عَمَّا أَلَمَ بِهِ، فَأَجَابَهُ عَنْهُ، وَ التفت عمر إلى الإمام فقال له:

أما والله! لقد أردك الحقّ، و لكن أبى قومك...

فأجابه الإمام:

«يا أبا حفص، خفّض عليك من هنا و هنا»، و قرأ قوله تعالى: إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا .

و ذهل عمر فوضع إحدى يديه على الأخرى، و خرج كأنما ينظر فى رماد [١].

و على أى حال فإنّ الإمام فى خلافة عمر قد كان جليسا فى بيته يساور الهموم، و يسامر النجوم، و يتوسّد الأرق، و يتجرّع الغصص، قد كظم غيظه، و أوكل أمره إلى الله تعالى.

ص: ١٨٨

و نصح الإمام عليه السلام عمر في موضعين، و أسدل عتًا يكنه من الموجد من ضياع حقه، و ذلك حفظا لكلمه الإسلام و هما:

١ - غزو الروم:

و رام عمر أن يمضى لغزو الروم، فنهاه الإمام عن ذلك و قال له:

«إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتتكب، لا تكن للمسلمين كأنفه [١] دون أقصى بلادهم. ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلا- محربا، و احفز معه أهل البلاء و النصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، و إن تكن الأخرى، كنت رداء للناس و مثابه للمسلمين..».

٢ - غزو الفرس:

و استشار عمر الإمام في الخروج بنفسه لغزو الفرس، فأشار عليه بعدم خروجه قائلا:

«إن هذا الأمر لم يكن نصره و لا خذلانه بكثرة و لا بقله. و هو دين الله الذى أظهره، و جنده الذى أعدّه و أمده، حتى بلغ ما بلغ، و طلع حيث طلع؛ و نحن على موعود من الله، و الله منجز وعده، و ناصر جنده. و مكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه و يضمه: فإن انقطع النظام تفرق الخرز و ذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا.

و العرب اليوم، و إن كانوا قليلا، فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع! فكن قطبا، و استدر الرّحا بالعرب، و أصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها و أقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من

العورات أهم إليك مما بين يديك.

إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشدّ لكلبهم عليك، وطمعهم فيك. فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين، فإنّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك. و هو أقدر على تغيير ما يكره.

و أما ما ذكرت من عددهم، فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، و إنّما كنّا نقاتل بالنصر و المعونه!».

و كان رأى الإمام هو الرأى المشرق، فإنّ خروج عمر مع الجيش تكون له مضاعفاته السيئه على المسلمين، و التى منها أنّه لو اندحر الجيش الإسلامى و فيهم عمر لانطوت بذلك رايه الإسلام.

٣ - حلى الكعبه:

و فى أيام عمر كثرت الحلى على الكعبه، فأشار عليه القوم ببيعها و إرصاد ثمنها للجيش الإسلاميه لأنّ الكعبه ما تصنع بالحلى ، و أراد عمر تنفيذ ذلك، فاستشار الإمام عليه السلام فقال له الإمام:

إنّ هذا القرآن أنزل على النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم، و الأموال أربعه: أموال المسلمين فقسمها بين الورثه فى الفرائض؛ و الفىء فقسمه على مستحقّيه؛ و الخمس فوضعه الله حيث وضعه؛ و الصّيدقات فجعلها الله حيث جعلها. و كان حلى الكعبه فيها يومئذ، فتركه الله على حاله، و لم يتركه نسيانا، و لم يخف عليه مكانا، فأقرّه حيث أقرّه الله و رسوله.

فاستحسن عمر رأى الإمام، و أبدى إعجابه قائلا: لولاك لافتضحنا، و ترك الحلى بحاله...

و آثرنا الايجاز فى خلافه عمر و لم نعرض إلى الأحداث التى رافقت حكومته، خصوصا ما صدر منه من الفتاوى التى كانت من الاجتهاد قبال النصّ كتحريم المتعه و غيرها، فقد عرض لها علماء الشيعة و فقهاؤهم، و فى طليعتهم الإمام الأعظم شرف الدين فى كتابه الذائع الصيت (النصّ و الاجتهاد)، و المحقق الكبير الإمام الشيخ عبد الحسين الأمينى فى كتابه الخالد (الغدیر) و على أى حال فإنّ الذى يعيننا اغتيال عمر، و وضعه لنظام الشورى قبل وفاته، أمّا اغتيال عمر فيعزوه بعض الكتّاب المحدثين إلى بنى أمّيه، فقد أرادوا التخلّص من حكمه و فرض سلطانهم على المسلمين [١]، و قد استدّلوا على ذلك بأنّ أبا لؤلؤه الذى اغتال عمر كان مولى للمغيره بن شعبه الذى له صله و ثقته بالأمويين...

و هذا الرأى لا يحمل أى طابع من التحقيق؛ لأنّ علاقه عمر بالأمويين كانت وثيقه للغاية، و لم تقع بينهما أيّه منافسه، و كانوا من أعداء الإمام و هو المنافس الوحيد له.

و استعمل عمر وجوه الأمويين و لاه على الأقطار الإسلاميه أمثال يزيد بن أبى سفيان، و سعيد بن العاص و معاويه، و لم يشاطر أى واحد منهم أمواله كما شاطر بقتيه عمّاله، و كان معنيا بشئون نسائهم، فقد أقرض هند بنت عتبه أمّ معاويه أربعة آلاف من بيت المال تتجر فيها [٢]، و قد أعدّ فى بيته مكانا خاصّا فرشه بأحسن الفرش و لم يسمح لأى أحد بالدخول فيه سوى أبى سفيان، و عوتب على ذلك فقال: هذا شيخ قریش [٣]، فكيف يقومون باغتياله.

و مهما يكن الأمر فإنّ من المقطوع به أنّ أبا لؤلؤة إنّما اندفع لاغتيال عمر بوحي من نفسه، لا بدافع أموى، و يعود السبب فى ذلك أنّه كان شابا متحمّسا لشعبه و وطنه، فقد رأى بلاده فتحت عنوه، و قد انطوى مجد الفرس و ذهب عزّهم، و رأى عمر قد بالغ فى احتقار الفرس، و تمنى أن يحول بينهم و بينه جبل من حديد، كما حضر عليهم دخول يثرب إلّا من كان سنّه دون البلوغ [١]، و أصدر فتواه بعدم إرثهم إلّا من ولد فى بلاد العرب [٢]، كما كان يعيّر عنهم بالعلوج، و هو بالذات قد خفّ إلى عمر شاكيا ضيقه و جهده من جراء ما فرض عليه المغيره من ثقل الخراج فلم يعن به عمر و صاح به.

و ما خراجك بكثير من أجل الحرف التى تحسنها...

و أوجد ذلك حنقا و حقدا عليه، فأضمر له فى نفسه الشرّ، و قد اجتاز عليه فسخر منه، و قال له:

بلغنى أنّك تقول: لو شئت أن أصنع رحي تطحن بالريح لفعلت..

فلذعته هذه السخريه و قال له:

لأصنعنّ لك رحي يتحدّث بها الناس.

و فى اليوم الثانى قام بعملية الاغتيال [٣]، فطعنه ثلاث طعنات إحداهنّ تحت السرّه فخرقت الصفاق [٤].

ثمّ حمل على أهل المسجد فطعن أحد عشر رجلا، و عمد إلى نفسه فانتحر، و حمل عمر إلى داره و جراحاته تنزف دما، فقال لمن حوله:

ص: ١٩٢

من طعننى ؟ غلام المغيره..

ألم أقل لكم لا تجلبوا لنا من العلوج أحدا فغلبتمونى [١].

و أحضر له أهله طبيبا فقال له: أى الشراب أحب إليك ؟ النبيذ..

فسقوه منه، فخرج من بعض طعناته، فقال الناس: خرج صديدا، ثم سقوه لبنا فخرج من بعض طعناته، فيس منه الطبيب، و قال له: لا أرى أن تمسى [٢].

وصيته:

و لما أيقن عمر بدنو الأجل المحتوم أوصى ولده عبد الله، و قال له: انظر ما على من الدين، فنظروا فيه فإذا به مدين لبيت المال ستين ألفا لا نعلم أنها من الدنانير أو من الدراهم.

و قال لولده بعد أن بين مقدار دينه: إن وفى به مال آل عمر فأدّه من أموالهم، و إلاّ فسل فى بنى عدى بن كعب، فإن لم تف به أموالهم، فسل فى قريش، و لا تعدهم إلى غيرهم [٣]..

و يواجه هذه الوصيه عدّه من المؤاخذات ذكرناها بالتفصيل فى الجزء الأول من كتابنا (حياه الإمام الحسين عليه السّلام)

عمر مع ابنه عبد الله:

و طلب عبد الله من أبيه عمر أن ينصّ على أحد من المسلمين و يجعله خليفه

عليهم من بعده قائلًا له:

يا أبتى، استخلف على أمّه محمّد صلّى الله عليه وآله، فإنّه لو جاء راعى إبلك أو غنمك و ترك إبله أو غنمه لا راعى لها، و قلت له: كيف تركت أمانتك ضائعه فكيف بأمّه محمّد، فاستخلف عليهم..

و رفقه عمر بطرفه، و أجابه:

إن استخلف عليهم فقد استخلف أبو بكر، و إن أتركهم فقد تركهم رسول الله صلّى الله عليه وآله.. [١].

و لعلّ «الوجع» قد غلب عمر فنسى قيام النّبىّ صلّى الله عليه وآله بنصب علىّ خليفه من بعده فى يوم «غدير خمّ»، و إلزام المسلمين بمبايعته، و عمر بالذات ممّن بايعه، و قال له: بخ بخ لك يا علىّ، أصبحت مولاي و مولى كلّ مؤمن و مؤمنه.

و هل أبو بكر أشفق على المسلمين من النّبىّ فأوصى من بعده بالخلافه إلى عمر و أهمل ذلك النّبىّ و لم يوص لأحد من بعده؟ و على أى حال فإنّ عمر قد فتكت به جراحاته، و أحاطت به الآلام، فجزع جزعا شديدا، و جعل يقول:

لو أنّ لى ما فى الأرض ذهبًا لا فتديت به من عذاب الله قبل أن أراه.. [٢].

و التفت لولده عبد الله و قال له: ضع خدّى على الأرض..

فلم يحفل به ولده، و ظنّ أنّه قد اختلس عقله، و أمره ثانيا بذلك فلم يجبه، فصاح به:

ضع خدّى على الأرض لا أمّ لك..

ص: ١٩٤

و بادر عبد الله فوضع خدَّ أبيه على الأرض، و أخذ يجهش بالبكاء و يقول:

يا ويل عمر!! و ويل أم عمر!! إن لم يتجاوز الله عنه [١]، و لعله قد لاحت له في تلك اللحظات الأخيره من حياته ما أنزله بالاسره النبويه من النكبات و الأزلمات.

و على أى حال فإنَّ عمر بعث ولده إلى عائشه يستأذن منها أن يدفن مع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و أبى بكر فسمحت بذلك [٢]، و علقت الشيعة على ذلك فقالت: إنَّ ما تركه النبي صَلَّى الله عليه و آله من متع الحياه إن كان لا يرثه أهله، و إنما هى لولى الأمر من بعده حسب ما يرويه أبو بكر، فلا وجه للاستئذان من عائشه، و إن كان يرجع إلى ورثه النبي صَلَّى الله عليه و آله كما يقول بذلك أهل البيت عليهم السَّلام فليس لعائشه فيه أى نصيب؛ لأنَّ الزوجه لا ترث من الأرض، و إنما ترث من البناء، حسبما قرره فقهاء المسلمين، و لا بدَّ حينئذ أن يكون الإذن فى دفنه من ورثه النبي صَلَّى الله عليه و آله و لم يتحقَّق ذلك.

نظام الشورى:

اشاره

و نظام الشورى الذى وضعه عمر كنظام السقيفه، قد أخذ للمسلمين المصاعب و ألقتهم فى شرِّ عظيم، و هو نظام مفصوح لا غبار عليه فى أنَّ القصد منه إقصاء الإمام عليه السَّلام عن قياده الامه و تسليمها لبنى أميه إرضاء لعواطف القرشيين المترعه بالحق و الكراهيه للإمام أمير المؤمنين عليه السَّلام.

و نحن نعرض إلى الشورى العمريه بدراسه و تحليل بعيده عن العواطف التقليديه، لم نقصد بذلك إلا إبراز الواقع التاريخي على ما هو عليه.

و على أى حال، فإنَّ عمر لمَّا أحسَّ بدنو الأجل المحتوم منه أخذ يمعن فيمن

يتولّى شؤون الحكم من بعده، وقد راح يتذكّر أقطاب حزبه الذين استعان بهم على البيعه لأبى بكر، و صرف الخلافه عن الإمام أمير المؤمنين، فجعل يصعد حسراته و يبدى أساه عليهم قائلا:

«لو كان أبو عبيده حيّا لاستخلفته؛ لأنّه أمين هذه الامّه، فلو كان سالم مولى أبى حذيفه حيّا لاستخلفته؛ لأنّه شديد الحبّ لله تعالى...» و ليس لأبى عبيده أى نصيب فى خدمه الامّه الإسلاميه و جهاد يذكر.

كما أنّه ليس لسالم مولى أبى حذيفه أى شخصيه إسلاميه معروفه، و إنّما كان من سواد المسلمين، إلّا أنّه ساهم مساهمه إيجابيه فى مؤتمر السقيفه، و كان كقوه ضاربه فى حمايه أعضائها.

و على أى حال فقد طلب منه أصحابه أن يرشّح أحدا من بعده ليتولّى شؤون المسلمين، فأبى و قال:
أكره أن أتحمّلها حيّا و ميّتا..

و لكنّه لم يلبث أن عدل عن رأيه فانتخب أعضاء الشورى السّته، و فوّض إليهم انتخاب أحدهم ليكون واليا على المسلمين، و بذلك فقد تحمّل الخلافه حيّا و ميّتا، و علّق ابن أبى الحديد على كلامه، قائلا:

أى شىء يكون من التّحمّل أكثر من هذا؟ و أى فرق بين أن يتحمّلها، بأن ينصّ على واحد بعينه، و بين أن يفعل ما فعله من الحصر و الترتيب.. [١].

صلاه صهيب:

و أوعز عمر إلى صهيب أن يصلّى بالناس حينما اغتاله أبو لؤلؤه، فصلّى بهم، و فى ذلك يقول الفرزدق:

صلى صهيب ثلاثا ثم أرسلها إلى ابن عفان ملكا غير مقصود [١]

انتخاب عمر لأعضاء الشورى:

و انتخب عمر ستّة أشخاص، و جعلهم أعضاء للشورى و ألزمهم بانتخاب واحد منهم ليتولّى قياده الامّة، و هم:

١ - الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ - سعد بن أبي وقاص.

٣ - الزبير بن العوام.

٤ - طلحة.

٥ - عثمان بن عفان.

٦ - عبد الرحمن بن عوف.

و الشىء البارز فى هذا الانتخاب أنه لم يجعل أى نصيب فيه للأنصار الذين نصرّوا النبىّ ، و احتضنوا مبادئه، و لعلّ السبب فى ذلك هو ميولهم للإمام عليه السلام، و قد اقتصر أعضاء الشورى على الجناح القرشى، و ليس لغيرهم فيه أى نصيب.

عمر مع أعضاء الشورى:

إشارة

و طلب عمر حضور أعضاء الشورى الذين انتخبهم، فلمّا مثلوا أمامه و جّاه إليهم أعنف القول و أقساه و رماهم بالصفات الذميمة التى توجب القدح فى ترشيحهم لمنصب الإمامه، و قد روى المؤرّخون صورا لحديثه معهم، و هذه بعضها:

الروايه الاولى:

إشارة

إنّ أعضاء الشورى لمّا حضروا عنده قال لهم: أكلّكم يطمع بالخلافه بعدى؟..

ووجموا عن الكلام، فأعاد عليهم القول ثانياً، فأجابه الزبير: و ما الذى يبعدنا منها، وليتها - أى الخلافه - أنت فقامت بها، و لسنا دونك فى قريش، و لا فى السابقه، و لا فى القرايه..، و لم يسعه الردّ عليه لأنّه ليس فى كلامه فجوه يسلك فيها لإبطال كلامه، و التفت عمر إلى الجماعه فقال لهم:

أ فلا أخبركم عن أنفسكم؟..

فأجابوا مجمعين:

قل، فإنّا لو استعفيناك لم تعفنا..

و أخذ يحلّثهم عن نفسيّاتهم و ميولهم، فوجّه كلامه لكلّ واحد منهم:

مع الزبير:

«أمّيا أنت يا زبير! فوعق لقس [١]، مؤمن الرّضا، كافر الغضب، يوما إنسان و يوما شيطان، و لعلّها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مدّ من شعير..

أ فرأيت إن أفضت إليك، فليت شعرى من يكون للنّاس يوم تكون شيطانا؟ و من يكون يوم تغضب!! و ما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمّه و أنت على هذه الصّفه...».

إنّ الزبير حسب هذا التحليل النفسى لشخصيّته مبتلى بآفات شريره و هى:

١ - الضجر و التبرّم.

٢ - الغضب الشديد الذى يفقده الرشد.

٣ - عدم الاستقامه فى السلوك.

٤ - الحرص و البخل.

و هذه النزعات من مساوى الصفات، و من اتّصف ببعضها لا يصلح لأن يكون إماما للمسلمين... و مع هذه الصفات الماثله فيه كيف رشّحه للخلافه؟

مع طلحه:

و أقبل عمر على طلحه، و أخذ يحدثه بنزعاته فقال له:

أقول أم أسكت؟..

فزره طلحه و قال له:

إنك لا تقول من الخير شيئاً..

و أخذ عمر يقول:

أما إنّي أعرفك منذ أصيبت اصبعك يوم أحد وائيا بالذي حدث لك، و لقد مات رسول الله صلّى الله عليه و آله ساخطا عليك بالكلمه التي قلتها يوم أنزلت آيه الحجاب...

و إذا كان النبي صلّى الله عليه و آله ساخطا على طلحه كيف يرشحه للخلافه، كما أنه مناقض لما قاله في أعضاء الشورى أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله مات و هو راض عنهم.

و علّق الجاحظ على مقاله بقوله:

لو قال لعمر قائل: أنت قلت: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله مات و هو راض عن الستّه، فكيف تقول الآن لطلحه: إنّه مات صلّى الله عليه و آله ساخطا عليك بالكلمه التي قلتها، لكان قد رماه بمشاقصه [١]، و لكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له: ما دون هذا فكيف هذا؟..

مع سعد بن أبي وقاص:

و أتجه صوب سعد بن أبي وقاص، فقال له: إنّما أنت صاحب مقنب [٢] من هذه المقانب تقاتل به، و صاحب قنص و قوس و سهم، و ما زهره و الخلافه و امور الناس؟ و حكى كلام عمر اتّجاهات سعد و أنّه رجل عسكري لا يفقه إلاّ عمليات

الحروب، و لا خبره له بالشؤون الإداريه و السياسيه، و إذا كانت هذه اتجاهاته كيف جعله من أعضاء الشورى ؟

مع عبد الرحمن بن عوف:

و أقبل عمر على عبد الرحمن بن عوف، فقال له: أمّا أنت يا عبد الرحمن فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانك عليهم، و لكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك، و ما زهره و هذا الأمر؟..

إنّ عبد الرحمن - حسب رأى عمر - مثال للإيمان و التقوى، و إنّ إيمانه يساوى نصف إيمان المسلمين، و من إيمانه المزعوم أنّه عدل عن انتخابه سيّد العتره الطاهره الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و سلّم الخلافه إلى بنى أميّه، فاتّخذوا مال الله دولا و عباد الله خولا.

و إذا لم تكن لعبد الرحمن شخصيه صلبه و قويه - حسب رأى عمر - كيف رشّحه للخلافه ؟

مع الإمام أمير المؤمنين:

و التفت عمر إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له: لله أنت لو لا دعا به فيك...

أمّا و الله! لئن وليتهم لتحملتهم على الحقّ الواضح و المحجّه البيضاء..

و متى كانت للإمام أمير المؤمنين عليه السّلام الدعا به ؟ و هو الذى ما ألف فى حياته غير الجّد و الحزم.

إنّ الدعا به تنم عن ضعف الشخصيه، و قد اعترف عمر أنّ الإمام لو ولى امور المسلمين لحملهم على الحقّ الواضع و المحجّه البيضاء، و من المؤكّد أنّ من يقوم بذلك لا بدّ أن يكون شخصيه قويه ذا إرادته صلبه.

و على أى حال فإنّ عمر اعترف بأنّ الإمام لو تقلّد الحكم لسار بين المسلمين

على الحقّ الواضح، و حملهم على الصراط المستقيم، فكيف جعله من أعضاء الشورى و لم يسند إليه الحكم مباشرة ؟

مع عثمان:

و أقبل عمر على عثمان عميد الاسره الأمويه، و هو الذى كتب العهد بولايته من أبى بكر، و هو المرشّح الوحيد عنده للخلافه فقال له:

هيها إليك، كأنى بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لِحَبّها إِيّاك، فحملت بنى اميّه و بنى أبى معيط على رقاب الناس، و آثرتهم بالفىء، فسارت إليك عصابه من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحا، و الله! لئن فعلوا لتفعلن، و لئن فعلت ليفعلن، ثم أخذ بناصيته فقال له: فإذا كان ذلك فاذكر قولى [١].

و الشىء المؤكّد أنّ عثمان لم تقلّده قريش منصب الخلافه، و إنّما عمر هو الذى قلّده بها، و لم يكن ترشيحه له فى أيام مرضه و إنّما كان قبل ذلك بزمان، فقد روى الحسن بن نصر قال: حججت مع عمر، و كان الحادى يحدو أنّ الأمير بعد عمر عثمان.. [٢]. إنّ نظام الشورى الذى وضعه عمر يؤدّى حتما إلى فوز عثمان بالخلافه، فقد جعله من أعضاء الشورى، و كان معظمهم ممّن لهم ميول و اتّصال وثيق بالأمويين، و هم لا يعدلون عن انتخابه كما سنعرض لذلك.

الروايه الثانيه:

رواها ابن قتيبه أنّ أعضاء الشورى التقوا بعمر فقالوا له:

قل فينا يا أمير المؤمنين! مقاله نستدلّ فيها برأيك و نفتدى بها...

ص: ٢٠١

فقال مخاطبا لسعد: والله! ما يمنعني أن أستخلفك يا سعد إلا شدتك وغلظتك مع أنك رجل حرب..

وقال لعبد الرحمن: وما يمنعني منك يا عبد الرحمن! إلا أنك فرعون هذه الأمة.

وقال مخاطبا للزبير: وما يمنعني منك يا زبير! إلا أنك مؤمن الرضا، كافر الغضب.

وقال لطلحه: وما يمنعني من طلحه إلا نخوته وكبره، ولو وليها وضع خاتمه في اصبع امرأته.

وقال لعثمان: وما يمنعني منك يا عثمان! إلا عصيبتك وحبك لقومك وأهلك.

وقال للإمام أمير المؤمنين: وما يمنعني منك يا علي! إلا حرصك عليها، وأنتك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم [١].

وقد اتهم عمر أعضاء الشورى بمساوى الصفات، فوصف عبد الرحمن أنه فرعون هذه الأمة، وإذا كان ذلك فكيف جعله من أعضاء الشورى؟ والغريب أنه في الفصل الأخير من وصايا أناط برأيه شئون الخلافة، وجعل قوله في انتخاب أحد المرشحين منطق الفصل و فصل الخطاب.

و وصف الإمام بالحرص على الخلافة، وهو اتهام مردود، فإن سيره الإمام مشرقه كالشمس بعيده عن الحرص كل البعد، فإنه لم يكن بأي حال من عشاق الملك والسلطان، وإنما نازع الخلفاء وأقام عليهم الحجج بأنه أولى بالخلافة وأحق بها منهم من أجل أن يقيم في هذا الشرق وفي غيره حكم القرآن و عداله الإسلام، وقد صرح عليه السلام بذلك بقوله:

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الّذى كان منّا منافسه فى سلطان، ولا التماس شىء من فضول الحطام، و لكن لند المعالم من دينك و نظهر الإصلاح فى بلادك، فى آمن المظلومون من عبادك».

و أدلى عليه السّلام فى حديثه مع ابن عبّاس عن زهده للسلطه و احتقاره للحكم، و كان عليه السّلام يخصف بيده نعله الذى كان من ليف،

فقال لابن عبّاس:

«يا ابن عبّاس، ما قيمه هذا النّعل؟».

يا أمير المؤمنين، لا قيمه له..

«إنّه خير من خلافتكم إلّا أن اقيم حقًا و أدفع باطلا...».

من أجل إقامة الحقّ و تطبيق العدالة الاجتماعيه كان الإمام يبغى الحكم و سيله لتحقيق مثله العليا.

الروايه الثالثه:

رواها ابن أبى الحديد المعتزلى قال:

نظر إلى أعضاء الشورى، فقال لهم: قد جاءنى كلّ واحد منكم يهزّ عفريته يرجو أن يكون خليفه.

ثمّ التفت إلى طلحه فقال له:

أمّا أنت يا طلحه! أفلست القائل: إن قبض النّبى أنكح أزواجه من بعده؟ فما جعل الله محمّدا أحقّ بينات أعمامنا منّا، فأنزل الله فيك: و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً [١].

ثمّ التفت إلى الزبير فقال له:

ص: ٢٠٣

و أما أنت يا زبير! فوالله! ما لان قلبك يوما ولا ليله، و ما زلت جلفا جافيا...

و وجه خطابه إلى عثمان فقال له:

و أما أنت يا عثمان! لروثه خير منك..

ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عوف فقال له:

و أما أنت يا عبد الرحمن! فإنك رجل عاجز، تحب قومك...

ثم وجه خطابه إلى سعد بن أبي وقاص فقال له:

و أما أنت يا سعد! فصاحب عصبية و فتنه..

ثم التفت إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال له:

و أما أنت يا عليّ! لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم..

و انصرف الإمام عنه، فالتفت عمر إلى حضار مجلسه فقال لهم:

و الله! إنني لأعلم مكان الرجل لو وليتموه أمركم لحملكم على المحجّة البيضاء.

و بادروا قائلين:

من هو؟ هذا المولى بينكم - و أشار إلى الإمام.

ما يمنعك من ذلك؟ ليس إلى ذلك من سبيل [١].

و لم لا سبيل إلى ترشيح الإمام بعد ما رشّحه النبيّ صلّى الله عليه و آله و قلّده منصب الخلافة في يوم غدیر خمّ ، فهل هناك عيب في الإمام و عدم توقّر قابليات القيادة فيه ؟ نعم، إنّها الأضغان و الأحقاد التي أترعت بها نفوس القوم ضدّ وصيّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و باب

مدينه علمه، و الله هو الذى يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

الهيئة المشرفه على الانتخاب:

و أقام عمر هيئة مشرفه على عمليه الانتخاب، و ليس لها رأى سوى الأشراف، فقد قال لأعضاء الشورى: احضروا معكم من شيوخ الأنصار، و ليس لهم من أمركم شىء، و أحضروا معكم الحسن بن علىّ و عبد الله بن عباس، فإنّهما لهما قرابه، و أرجو لكم البركه فى حضورهما، و ليس لهما من أمركم شىء...

و الملاحظ فى هذه الهيئة التى أقامها عمر هو أنّه أقصى الأنصار عن الانتخاب و الاختيار لمن يرغبون فيه للحكم، و جعل لهم الإشراف المجرد الذى يعنى حرمانهم من الحكم، و بذلك فقد نقض العهد الذى قطعه على نفسه أبو بكر للأنصار حيث قال لهم: نحن الامراء و أنتم الوزراء... فلم يجعل لهم عمر أى دور فى شئون الدوله، و إنّما جعلهم شرطه و جنودا لحكومته... ثمّ إنّنا لا نعلم ما هى البركه التى ينعم بها أعضاء الشورى فى حضور الإمام الحسن و عبد الله بن عباس، و هما لا يملكان من الأمر شيئاً؟

عمر مع أبى طلحه و المقداد:

و أراد عمر أن يحكّم الشورى و يتقن بنودها، و يفرضها على المسلمين فالتفت إلى أبى طلحه الأنصارى، و هو فيما أظنّ مدير لشرطته، فقال له:

يا أبا طلحه! إنّ الله أعزّ بكم الإسلام، فاختر خمسين رجلا من الأنصار فالزم هؤلاء نفر يا مضاء الأمر و تعجيله...

ثمّ التفت إلى المقداد و عهد إليه بما يلى:

إذا اتفق خمسة و أبى واحد منهم فاضربوا عنقه، و إن اتفق أربعة و أبى اثنان فاضربوا عنقيهما، و إن اتفق ثلاثة منهم على رجل و رضى ثلاثة منهم برجل آخر

فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف و اقتلوا الباقيين إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس...

و هذا الكلام حافل بالمؤاخذات، سنعرض له عند البحث عن آفات الشورى.

إنذار عمر للصحابه:

و شىء خطير بالغ الأهميه هو أنّ عمر أنذر أعضاء الشورى و هدّدهم بعمر بن العاص و اليه على مصر و بمعاويه و اليه على الشام، فقد قال لهم:

يا أصحاب محمّد، تناصحوا، فإن لم تفعلوا غلبكم عليها عمرو بن العاص و معاويه بن أبي سفيان.

و علّق شيخ الإماميه الشيخ المفيد على هذا الكلام بقوله:

و إنّما أراد عمر بهذا القول: إغراء معاويه و عمرو بن العاص بطلب الخلافه، و إطماعهما فيها لأنّ معاويه كان عامله و أميره على الشام و عمرو بن العاص عامله و أميره على مصر، و خاف أن يضعف عثمان و تصير الخلافه إلى عليّ فألقى هذه الكلمه إلى الناس لتنتقل إليهما و هما بمصر و الشام، فيتغلّبا على هذين الاقليمين إن أفضت إلى عليّ ... [١].

و هو تحليل و ثيق للغاية، فقد أراد أن يظهر ابن العاص و معاويه التمرد على الإمام إن آلت الخلافه إليه، و تحقّق ذلك، فإنّه بعد أن آلت الخلافه إلى الإمام كان معاويه و ابن العاص في طليعه القوى الباغيه على الإمام و المناهضه لحكمه.

رأى الإمام:

و كان الإمام على يقين لا يخامرّه شكّ في موقف عمر تجاهه، و أنّه لا يرغب

بأى حال من الأحوال أن يتولّى شئون المسلمين، و لم يضع نظام الشورى إلّا- لأجل ذلك، و إنّ ما يبيّغه إيصال الحكم إلى عثمان عميد الاسره الأمويه،

فقد التقى الإمام بعّمه العباس و قال له:

«يا عمّ ، لقد عدلت - أى الخلافه - عنّا».

من أعلمك بذلك ؟ «لقد قرن بى عثمان و قال: كونوا مع الأكثر، ثمّ قال: كونوا مع عبد الرّحمن، و سعد لا يخالف ابن عمّه عبد الرّحمن، و عبد الرّحمن صهر لعثمان، و هم لا يختلفون، فإمّا أن يوليّها عبد الرّحمن لعثمان، أو يوليّها عثمان لعبد الرّحمن...» [١].

و صدق تفرّس الإمام، فقد ولّاهما عبد الرحمن لعثمان إيثارا لمصالحه و ابتغاء لرجوعها إليه.

لقد كانت الشورى باسلوبها مؤامره مفضوحه لا ستار عليها فى إبعاد الإمام عن الخلافه، يقول الإمام كاشف الغطاء:

الشورى بجورها و حقيقتها مؤامره واقعيه و شورى صوريه، و هى مهاره بارعه لفرض عثمان خليفه على المسلمين رغما عليهم بتدبير بارع عاد على الإسلام و المسلمين بشرّ ما له دافع [٢].

و راح الإمام بعد سنين - يتحدّث بأسى - عن الشورى العمريه التى صمّمت لإقصائه عن مركز الحكم

يقول عليه السّلام:

حتّى إذا مضى لسبيله - يعنى عمر - جعلها فى جماعه زعم أنّى أحدهم، فيا لله و للشورى! متى اعترض الرّيب فى مع الأوّل - يعنى به أبا بكر - منهم، حتّى صرت أقرن

إلى هذه النظائر! - يعنى أعضاء الشورى.

أجل و الله! - يا أمير المؤمنين -! أنه متى اعترض الريب لأى أحد من المسلمين و غيرهم أنك أفضل الناس علما و جهادا و ورعا، و لكن الأحقاد القرشيه هى التى أخرتك عن مقامك و حرمت الامه من مواهبك و عبقرياتك.

آفات الشورى:

و لم تكن الشورى العمريه سليمه، فقد احتفت بها المؤاخذات و المناقضات من جميع جهاتها، و خلقت الكثير من المصاعب و الفتن كان منها ما يلي:

١ - إن هذا النظام الذى صممه عمر لا يحمل أى طابع من حقيقه الشورى التى لا بد من أن تتوفر فيها الامور التاليه:

أ - أن تشارك الامه بجميع شرائحها فى الانتخاب.

ب - أن لا تتدخل الحكومه بصوره مباشره أو غير مباشره فى شئون الانتخاب.

ج - أن تتوفر الحريات العامه لجميع الناخبين.

و فقدت الشورى العمريه هذه العناصر، و لم يعد لها أى وجود فيها، فقد حظر عمر على الامه و على الشخصيات البارزه من التدخل فى الانتخاب أمثال المجاهد الكبير عمّار بن ياسر و الصحابى العظيم أبى ذرّ، و مالك الأشتر الزعيم الكبير، و لم يجعل الأنصار حماه الإسلام أى نصيب فى ذلك، و إنما فوض عمر الأمر إلى سته أشخاص، و جعل آراءهم منطلق الفصل، و هذا لون من ألوان التزكيه تفرضه بعض الحكومات التى لا- تعنى بأى حال بإرادته شعوبها، و مضافا إلى ذلك فقد أو عز إلى الشرطه بالتدخل فى عمليات الانتخاب، و عهد إليهم بقتل كل شخص من أعضاء الشورى لا يتفق مع البقيه منهم.

ص: ٢٠٨

كما أنّ عمر قد حدّد مدّة الانتخاب لأعضاء الشورى بثلاثة أيام، وقد ضيّق بذلك الوقت على الناخبين خوفاً أن تتبلور الأوضاع و تتدخلّ القطاعات الشعبيه لانتخاب من يشاؤون فيفوت غرضه.

٢ - إنّ هذه الشورى قد ضمّت بعض العناصر المعاديه للإمام عليه السّلام و الحاقده عليه، ففيها عثمان بن عفّان عميد الاسره الأمويه، و موقف الأمويين من الإمام معروف و عداؤهم له ظاهر، و فيها عبد الرحمن بن عوف و هو صهر لعثمان، و فيها سعد بن أبى وقاص، و هو من الحاقدين على الإمام لأنّ أخواله الأمويون الذين و ترهم الإمام، فإنّ امّه حمنه بنت أبى سفيان، و سعد حينما بويع الإمام بعد مقتل عثمان تخلف عن بيعته، و قد اختار عمر هذه العناصر المنافسه للإمام حتى لا يؤول الأمر إليه..

و قد تحدّث الإمام عن المؤثّرات التى لعبت فى ميدان الانتخاب

قال عليه السّلام:

«لكننى أسففت إذ أسفّوا، و طرت إذ طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه، و مال الآخر لصهره، مع هن و هن».

إنّ هذه الشورى لم يكن المقصود منها - حسب ما يراه المحقّقون - إلاّ إقصاء الإمام عن الحكم و منحه للأمويين. يقول العلّثلى:

إنّ تعيين الترشيح فى سنّه، مهّد السبيل لدى الأمويين لاستغلال الموقف، و تشييد صرح مجدهم على أكتاف المسلمين.

و قد وصل إلى هذه النتيجة السيّد مير على الهندى قال:

إنّ عدم حرص عمر على مصلحه المسلمين دفعه إلى اختيار هؤلاء السنّه من أهل المدينه من دون أن يتبع سياسه سلفه، و كان للأمويين حزب قوى فى المدينه، و من هنا مهّد اختياره - أى عمر - السبيل لمكايد الأمويين و دسائسهم هؤلاء الذين ناصبوا الإسلام العدا، ثمّ دخلوا فيه و سيله لسدّ مطامعهم و تشييد صروح مجدهم

ص: ٢٠٩

إن أدنى تأمل في أمر هذه الشورى يوحى بأن المقصود منها إبعاد الإمام عن الحكم و تسليمه للأمويين.

٣ - إن عمر عمد في هذه الشورى إلى إبعاد الأنصار، فلم يجعل لأى أحد منهم نصيبا فيها، و هم آووا النبي و نصروا الإسلام في أيام محنته و غربته، و قدّموا أبناءهم قرايين للدعوه الإسلاميه، و قد أوصى بهم النبي صلى الله عليه و آله خيرا، كما لم يجعل عمر فيها لعمار و أبى ذرّ و مالك الأشر و غيرهم من أعلام الإسلام أى نصيب فيها، و أكبر الظنّ أنه إنّما أبعدهم لأنّ لهم هوى مع الإمام، و لهذه الجبهه أقصاهم و قصر أعضاء الشورى على العناصر الحاقده على الإمام.

٤ - إن عمر قد شهد في حقّ أعضاء الشورى أنّ النبي صلى الله عليه و آله مات و هو عنهم راض أو أنّه شهد لهم بالجنّه، فكيف عهد إلى الشرطه بضرب أعناقهم إن تخلفوا عن انتخاب أحدهم، و يقول الناقدون لهذه الشورى إنّّه كيف ساغ لعمر الأمر بقتلهم إن تخلفوا عن الانتخاب مع العلم أنّ الإسلام بصوره جازمه حرّم إراقه الدماء و أوجب التحرّج فيها إلّا- في مواضع مخصوصه ذكرها الفقهاء و هذا ليس منها.

٥ - إنّ عمر إنّما قصر أعضاء الشورى على سنّه بحجّه أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله مات و هو عنهم راض، و ذلك لا يصلح دليلا على حصر أعضاء الشورى فيهم؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه و آله مات و هو راض عن كثير من صحابته، فتقديم هؤلاء عليهم إنّما هو من باب الترجيح بلا مرجح و هو ممّا يتّسم بالقبح - كما يقول علماء الاصول.

٦ - إنّ عمر جعل الترجيح في الانتخاب إلى الجبهه التي تضمّ عبد الرحمن بن عوف، و قدّمها على الجبهه التي تضمّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و هو تحيز ظاهر

لا خفاء فيه إلى القوى القرشيه الحاقده على الإمام عليه السلام.

كما أنّنا لا نعلم أنّ أى ميزه اختصّ بها عبد الرحمن حتّى يستحقّ هذا التكريم و التبجيل، و هو و طلحه و الزبير قد استأثروا بأموال المسلمين و فيئهم، و ملكوا من الثراء العريض ما لا يحصى، حتى تحيروا فى صرفه و إنفاقه، و قد ترك ابن عوف من الذهب ما يكسّر بالفؤوس لكثرتة و ضخامته، و من المعلوم أنّ هذا الثراء العريض قد اختلسه هو و أمثاله من الرأسماليين من فىء المسلمين.

و على أى حال أمثل عبد الرحمن يقدم على الإمام أمير المؤمنين، و هو صاحب المواقف المشهوده فى نصره الإسلام، مضافا إلى مواهبه و عبقرياته و تنكره للمحسوبيات و المصالح الخاصه و شدّه تحرّجه فى الدين، و الله تعالى يقول: هَيْلٌ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَغْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَغْلَمُونَ ؟ ٧ - إنّ هذه الشورى أوجدت التنافس بين أعضائها و أشاعت الاختلاف و الفرقة بينهم، فعبد الرحمن بن عوف هو الذى قلّد عثمان الخلفه إلّا أنّه لمّا ضاعت آماله و لم يحقّق أى شىء من مصالحه فى حكومه عثمان أخذ يؤلّب عليه، و دعا الإمام أمير المؤمنين ليحمل كلّ منهما سيفه ليناجزه، و أوصى أولياءه بعد موته أن لا يصلّى عليه عثمان، و كذلك كان الزبير شيعه للإمام عليه السلام، و هو الذى وقف إلى جانبه يوم السقيفه، و قد قال فى أيام عمر: و الله! لو مات عمر بايعت عليّ، و لكن الشورى قد نفخت فيه روح الطموح، فرأى نفسه ندّا للإمام ففارقه بعد أن صارت الخلفه إليه، و خرج عليه يوم الجمل.

و قد أدّى التنازع و التخاصم بين أعضاء الشورى و غيرهم إلى تصديع كلمه المسلمين و تشتيت شملهم، و قد التفت إلى ذلك معاويه بن أبى سفيان، فقد قال لأبى الحصين الذى أوفده زياد لمقابلته:

بلغنى أنّ عندك ذهنا و عقلا، فاخبرنى عن شىء أسألك عنه.

سلى عَمَّا بَدَأَ لَكَ.

أخبرنى ما الذى شئت شمل أمر المسلمين و ملئهم و خالف بينهم ؟ قتل الناس عثمان.

ما صنعت شيئاً...

مسير على إليك و قتاله إياك...

ما صنعت شيئاً.

مسير طلحه و الزبير و عائشه و قتال على إياهم...

ما صنعت شيئاً...

ما عندى غير هذا...

أنا أخبرك، إنه لم يشئت بين المسلمين و لا فزق أهواءهم إلا الشورى التى جعلها عمر إلى سته نفر، و ذلك أن الله بعث محمدا بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون، فعلم بما أمره الله به، ثم قبضه الله إليه، و قدم أبا بكر للصلاه فرضوه لأمر دنياهم إذ رضيه رسول الله صلى الله عليه و آله لأمر دينهم، فعلم بسنه رسول الله و سار بسيرته حتى قبضه الله و استخلف عمر، فعلم بمثل سيرته، ثم جعلها شورى بين سته نفر، فلم يكن رجل منهم إلا - رجاها لنفسه، و رجاها له قومه، و تطلعت إلى ذلك نفسه، و لو أن عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان فى ذلك خلاف [١].

إن عمر مهّد الطريق لعثمان و استخلفه على المسلمين بأسلوب بارع و سافر، و الشورى إنما هى طريق لهذه الغايه، و لكنّها أشاعت الأطماع و الأهواء السياسيه، و ألفت المسلمين فى شرّ عظيم.

ص: ٢١٢

هذه بعض آفات الشورى و هي - بصوره جازمه غير خاضعه للأهواء و العواطف المذهبيه - هي التي مهّدت الطريق للطلاق و أبنائهم للاستيلاء على السلطه و القبض على زمام الحكم، و إبعاد القوى الإسلاميه عن الحياه السياسيه، الأمر الذى نجم منه نهب ثروات الامّه و إذلال الأخيار و التنكيل بعتره النبى صلى الله عليه و آله.

عملية الانتخاب:

و لما مضى عمر لرّبّه، و واروه فى مقرّه الأخير أحاط الشرطه بأعضاء الشورى، و ألزموهم بالاجتماع و اختيار شخص منهم ليتولّى شئون المسلمين تنفيذًا لوصيه عمر.

و اجتمع أعضاء الشورى فى بيت المال، و قيل فى بيت مسرور بن مخرمه، و أشرف على عمليه الانتخاب الإمام الحسن و عبد الله بن عتّاس، و بادر المغيره بن شعبه و عمرو بن العاص فجلسا فى عتبه الباب فنهراهما سعد بن أبى وقاص و قال لهما: تريدان أن تقولوا حضرنا و كُنّا فى أهل الشورى.

و تداول الأعضاء فيما بينهم الحديث عمّن هو أحقّ بالخلافه و ولايه أمر المسلمين، و انبرى الإمام أمير المؤمنين فحدّثهم مغبه ما يحدث من الفتن و الفساد إن استجابوا لعواطفهم و لم يؤثروا مصلحه الامّه... قائلا:

لن يسرع أحد قبلى إلى دعوه حقّ، و صلّه رحم، و عائده كرم. فاسمعوا قولى، و عوا منطقى؛ عسى أن تروا هذا الأمر - أى الخلافه - من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف، و تخان فيه العهود، حتّى يكون بعضكم أئمّه لأهل الضلاله، و شيعه لأهل الجهاله.

و لم يستجيبوا لدعوه الإمام و لم يعوا منطقه، و انسابوا وراء رغباتهم تسيرهم القوى القرشيه المحيطه بهم، و التى تريد انتخاب من يضمن مصالحها و يحقّق نفوذها غير حافلين بمصلحه الامّه.

و على أى حال فقد عمّ الجدل بين أعضاء الشورى، و لم ينتهوا إلى غايه مريحه، و جماهير الشعب كانت تنتظر بفارغ الصبر النتيجة الحاسمه... و عقد الاجتماع مرّه أخرى إلّا- أنه باء بالفشل، و أشرف على أعضاء الشورى أبو طلحه الأنصارى، فأخذ يتهدّدهم و يتوعّدهم قائلا: لا و الذى نفس عمر بيده لا أزيدكم على الأيام الثلاثه التى امرتم...

و اقترب اليوم الثالث الذى عينه عمر، فانعقد الاجتماع، فانبرى طلحه فوهب حقّه لعثمان، و إنّما فعل ذلك لأنّه كان حاقدا على الإمام بسبب منافسته لابن عمّه أبى بكر على الخلافه، و اندفع الزبير فوهب صوته للإمام عليه السّلام، و انطلق سعد فوهب حقّه لعبد الرحمن بن عوف...

و كان رأى عبد الرحمن هو الفيصل و الحاسم لأنّ عمر قد وضع ثقته به و أناط به أمر الشورى، إلّا أنّه كان ضعيف الإراده لا قدره له على إرادته شئون الحكم، فأجمع رأيه على ترشيح غيره للخلافه، و كان له هوى مع عثمان لأنّه صهره، و قد أشار عليه عامّه القرشيين فى انتخابه، و زهدوه فى الإمام عليه السّلام لأنّه الوحيد الذى و ترهم فى سبيل الإسلام.

و حلّت الساعه الرهيبه التى لم يخضع فيها ابن عوف لمصلحه المسلمين، و أتبع هوى القرشيين الذين ناهضوا الإسلام فى جميع مراحلهم.

و التفت ابن عوف إلى ابن اخته مسوّر فقال له:

يا مسوّر، اذهب فادع عليّا و عثمان.

بأيّهما أبدأ؟ بأيّهما شئت.

و مضى مسوّر مسرعا فدعا عليّا و عثمان، و ازدحم المهاجرون من قريش و الأنصار و سائر الناس، فعرض عليهم الأمر و قال لهم:

أيها الناس، إنّ الناس قد اجتمعوا على أن يرجع أهل الأمصار إلى أمصارهم، فأشيروا عليّ؟ و تقدّم الطيّب ابن الطيّب عمّار بن ياسر فأشار عليه بما يرضى الله و رسوله، و يضمن للامّة سلامتها فقال له:

إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليّا..

و انبرى المقداد فأيد مقاله عمّار قائلا:

صدق عمّار، إن بايعت عليّا سمعنا و أطعنا...

و اندفعت القوى القرشيه الحاقده على الإسلام فشجبت مقاله عمّار و المقداد و دعت إلى ترشيح عثمان عميد الاسره الأمويه المعاديه للإسلام، و قد رفع عبد الله بن أبي سرح صوته مخاطبا بن عوف:

إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان..

و أيده عبد الله بن أبي ربيعه قائلا:

إن بايعت عثمان سمعنا و أطعنا...

و ردّ عليهم الصحابي العظيم عمّار بن ياسر قائلا:

متى كنت تنصح للمسلمين؟ و صدق عمّار، متى كان ابن أبي سرح ينصح المسلمين و هو الذي كفر بجميع قيم الإسلام و كان جاهليًا بجميع مراحل حياته، و هو من أشدّ الأعداء إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله، و قد أمر بقتله، و لو كان متعلّقًا بأستار الكعبه [١].

أنّه لو كان هناك أى منطق سائدا لأقصى هذا الدعى و سائر القبائل القرشيه من التدخّل فى شئون المسلمين؛ لأنّها هى التى ناجزت النبيّ صلّى الله عليه و آله و حرّضت عليه

القبائل و صمّمت على قتله، ففر منهم في غلس الليل تاركاً وصيّته و ابن عمّه في فراشه، و بعد ما هاجر منهم إلى يثرب خفّوا بجيوشهم إلى قتاله، فكيف يسمح لهم بالتدخل في شئون المسلمين؟ إنّ الحكم و الرأى يجب أن يكون بيد أمثال عمّار و أبى ذرّ و مالك الأشتر و الأنصار، و غيرهم يكونون في ذيل القافلة.

و على أى حال فقد احتدم الجدل بين الهاشميين و أنصارهم، و بين الأمويين و أتباعهم، فانبرى عمّار بن ياسر يدعوهم إلى الصالح العام قائلاً:

أيّها الناس، إنّ الله أكرمنا بنبّيه، و أعزّنا بدينه، فإلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبّيكم؟...

فانبرى رجل من مخزوم فقطع على عمّار كلامه قائلاً:

لقد عدوت طورك يا ابن سمّيه، و ما أنت و تأمير قريش لأنفسها؟...

إنّ هذا الجاهلى يرى عمّاراً قد تعدّى طوره؛ لأنّه تدخّل فى شئون قريش التى أناطت بهم الشورى العمريه شئون المسلمين.

إنّ عمّاراً و أباه ياسراً و امه سمّيه ممّن يعتزّ بهم الإسلام و يفخر بنضالهم و جهادهم، فهم الطليعه الاولى التى ساهمت فى بناء الإسلام و أقامت صروحه... إنّ أمر الخلافة يجب أن يكون بيد عمار و غيره من الضعفاء الذين أعزّهم الله بدينه، و ليس للقرشيين و غيرهم من الطغاه أى حقّ فى التدخّل فى شئون المسلمين لو كان هناك منطق أو حساب.

و على أى حال فقد احتدم النزاع بين المسلمين و القرشيين، فخاف سعد أن يفوت الأمر و تفوز الجبهه المواليه للإمام، فالتفت إلى ابن عمّه عبد الرحمن فقال له:

يا عبد الرحمن، افرغ من أمرك قبل أن يفتتن الناس.

و التفت ابن عوف إلى الإمام قائلاً:

هل أنت مبايعى على كتاب الله، و سنّه نبّيه، و فعل أبى بكر و عمر؟

و رفقہ الإمام بطرفہ فأجابہ بمنطق الإسلام و منطق الأحرار:

«بل على كتاب الله، و سنّہ نبیہ، و اجتهاد رأیی».

إنّ مصدر التشريع فى الإسلام إنّما هو كتاب الله و سنّہ نبیہ، و عليهما يجب أن تسير الدوله، و ليس فعل أبى بكر و عمر من مصادر التشريع، بالاضافه إلى أنّ عمر قد خالف أبى بكر فى سياسته الماليه، و أوجد نظام الطبقيه، فقدّم بعض المسلمين على بعض فى العطاء، و حرّم المتعتين؛ متعه الحجّ و متعه النساء، و كانتا مشروعيتين فى عهد الرسول و فى عهد أبى بكر، فعلى أىّ المنهجين يسير ابن أبى طالب؟ إنّ ابن عوف إنّما شرط عليه ذلك لعلمه أنّ الإمام لا يستجيب له، و أنّه لو تقلّد الخلافه لساس المسلمين سياسته قوامها العدل الخالص و الحقّ المحض، و لم يمنح الاسر القرشيه أى امتياز، و ساوى بينهم و بين المسلمين.

إنّ امتناع الإمام من إجابته عبد الرحمن تدلّ على مدى واقعيّته؛ فإنّه لو كان من هواه الملك و عشاق السلطان لأجابته إلى ذلك، ثمّ يسلك فى سياسته حسب ما يراه، فإن عارضه ابن عوف بعد ذلك فيلقيه فى السجن.

و على أىّ حال، فإنّ عبد الرحمن لمّا يئس من الإمام التفت إلى عثمان زعيم الأمويين فشرط عليه ذلك فأجابته بلا تردد، و فيما أحسب أنّ هناك اتفاقاً سرّياً على ذلك لحرمان الامّه من حكم الإمام... و يرى بعض المؤرّخين من الافرنج أنّ عبد الرحمن استعمل طريقه الانتهازيه و الخداع و لم يترك الانتخاب يجرى حرّاً.

و بادر ابن عوف بعد أن استجاب له عثمان فصفق بكفّه على يديه، و قال له:

اللهمّ إنّى قد جعلت ما فى رقبتي من ذاك فى رقبه عثمان....

و وقعت بيعه عثمان كصاعقه على القوى الخيره التى جهدت على أن تسود كلمه الله فى الأرض،

و راح الإمام يندّد بابن عوف قائلاً:

«و الله! ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما - لعلّه يعنى أبى بكر

و عمر - من صاحبه دقّ الله بينكما عطر منشم [١]...».

إنّ عبد الرحمن إنّما انتخب عثمان من أجل أطماعه السياسه راجيا أن يكون خليفه من بعده،

و وجه الإمام خطابه للقرشيين قائلا:

«ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل، و الله المستعان على ما تصفون...».

و لذع منطق الإمام ابن عوف فراح يهدّده قائلا:

يا عليّ ، لا تجعل على نفسك سيلا...

و غادر الإمام المظلوم قاعه الاجتماع و هو يقول:

«سيلغ الكتاب أجله...».

و التاع عمّار فخاطب ابن عوف قائلا:

يا عبد الرحمن! أما و الله! لقد تركته، و إنّه من الذين يقضون بالحقّ و به كانوا يعدلون.

و ذابت نفس المقداد أسي و حزنا و راح يقول:

تالله! ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم، و اعجبا لقريش، لقد تركت رجلا ما أقول و لا أعلم أنّ أحدا أفضى

بالعدل و لا أعلم و لا أتقى منه، أما لو أجد أعوانا...

و قطع عليه عبد الرحمن كلامه، و راح يحذّره من الفتنة قائلا:

اتَّقِ اللَّهَ يَا مَقْدَادُ! فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفِتْنَةَ... [١].

و هكذا تغلّبت قريش على سائر القوى الخيره التي أرادت إرجاع الحقّ إلى أهله و معدنه، و هم أهل بيت النبوّ و معدن الحكمة، الذين ساهموا فى بناء الإسلام، و قام على أكتافهم، و استشهد أعلامهم أمثال الشهيد الخالد جعفر الطيار و حمزه و عبيده و غيرهم، كما قام بجهود الإمام أمير المؤمنين و جهاده.

و على أىّ حال فقد انتهت مأساه الشورى التي صمّمت لإقصاء الإمام عن الحكم، و قد أخذت للمسلمين الفتن و ألقتهم فى شرّ عظيم.

ص: ٢١٩

حكومة عمان

أشارة

ص: ٢٢١

و استقبلت القوى الخيره خلافه عثمان بكثير من القلق و الوجود و الاضطراب، فقد اعتبرت فوزه فى الحكم فوزا لاسره الامويين الذين لم يألوا جهدا فى محاربه الإسلام و الكيد للمسلمين، و يرى «دوزى» أنّ انتصار الامويين إنّما هو انتصار للجماعه التى كانت تضر العداة للإسلام [١].

لقد خاف المسلمون على دينهم، و خافوا على دولتهم من الامويين، و تحقق ما خافوا منه، فإنّه لم يمض قليل من الوقت حتى استولى الامويون على جميع أجهزه الدوله، و سخروا الاقتصاد العام لمصالحهم حتى عمّ الفقر و سادت الفوضى فى جميع أنحاء البلاد.

إنّ عثمان حينما فرضه ابن عوف خليفه على المسلمين احتفّ به الامويون و اخوانهم القرشيون، و جاءوا به يزفونه إلى مسجد النبىّ صلّى الله عليه و آله، و قد علت أصواتهم بالدعم الكامل لحكومته، و الهتاف بحياته، و اعتلى عثمان المنبر فجلس فى الموضع الذى كان يجلس فيه رسول الله صلّى الله عليه و آله، و لم يجلس فى المكان الذى كان يجلس فيه أبو بكر و عمر، و ارتاب بعض الحاضرين، فقالوا: اليوم ولد الشرّ [٢].

و أتجه المجتمع لسمع ما يدلى به عثمان، و ما يفتح به مناهجه السياسيه، فارتجّ عليه و لم يدر ما يقول، و جهد نفسه فألقى هذه الكلمات المتقطّعه المضطربه.

«أما بعد، فإن أول مركب صعب، و ما كنا خطباء، و سيعلم الله، و أن امراء ليس بينه و بين آدم إلا أب ميّت، لموعوظ»، ثم نزل عن المنبر و هو وجل [١]، و أنت ترى أنه ليس بين هذه الكلمات أى ربط أو اتصال، و إنما كانت متنافره فى اسلوبها الأمر الذى دعا الحاضرين ليهزءوا به و يسخروا منه، و كان ذلك من آفات الشورى التى امتحن بها المسلمون، فقد أقصت أمير البيان و رائد الحكمة و العدالة فى دنيا الإسلام و فرضت عثمان حاكما على المسلمين.

مظاهر شخصيته:

إشاره

و لا- بدّ لنا من التحدّث عن مظاهر شخصيته عثمان التى هى المقياس فى نجاح أى حاكم أو فشله فى الميادين السياسيه و الاجتماعيه و هذه بعضها:

أولا - ضعف الإراده:

كان عثمان - فيما أجمع عليه المؤرّخون - ضعيف الإراده، خائر العزيمه، و لم تكن له أيه قدره على مواجهه الأحداث و التغلب عليها، فقد استولى عليه الأمويّون و سيطروا على جميع شئونه، و لم يستطع أن يقف موقفا إيجابيا ضدّ رغباتهم و أهوائهم، و وصفه بعض الكتّاب المحدثين بأنّه كالميت فى يد الغاسل لا حول له و لا قوه.

و كان الذى يدير شئون دولته مروان بن الحكم، فهو الذى يعطى و يمنع و يتصرّف حسب ما يشاء، و لا رأى لعثمان و لا اختيار له، و قد قبض على الدوله بيد من حديد، يقول ابن أبى الحديد:

إنّ الخليفه فى الحقيقه و الواقع إنّما كان مروان، و عثمان له اسم الخلافه.

و أراد بعض المؤرّخين أن يدافع عن عثمان فقال: إنّه كان شديد الرأفة و الرّقّه و اللين و التسامح. نعم، إنّه كذلك، و لكن مع أرحامه و أسرته، أمّا مع الجبهه المعارضه لسياسته فقد اتّسم بالشّدّه و الغلظه معهم، فقد نفى المصلح العظيم أبا ذرّ إلى الشام، ثمّ إلى الرّبذّه، و فرض عليه الإقامه الجبريه فيها، و قد انعدمت في هذه البقعّه جميع وسائل الحياه حتى مات جائعا غريبا و في يد عثمان ذهب الأرض ينفقه بسخاء على بنى أمّيه و آل أبي معيط . كما نكل بالطيّب ابن الطيّب عمّار بن ياسر صاحب رسول الله صلّى الله عليه و آله فأمر بضربه حتى أصابه فتق، و ألقته شرطته في الطريق مغمى عليه، كما نكل بعبد الله بن مسعود القارئ الكبير فقد ألّهت جسمه سياط شرطته و هشّموا أضلاعه و حرّم عليه العطاء، و هكذا كانت معاملته مع الناقلين لسياسته، أمّا المؤيّدون له فقد وهبهم الثراء العريض و أسند لهم المناصب الحساسه في الدوله و حملهم على رقاب الناس.

ثانيا – حبه العارم للأمويين:

من النزعات التي اشتهر بها عثمان هو أنّه كان عظيم الحبّ و الولاء لاسرته، حتى تمّنى أن تكون مفاتيح الجنّه بيده ليهبها لبنى أمّيه، و لَمّا تقلّمد زمام الدوله آثرهم بالفىء، و وهبهم الملايين، و جعلهم ولاه على الأقطار و الأمصار الإسلاميه، و كانت تتواتر إليه الأخبار أنّهم جانبوا الحقّ و أشاعوا الفساد فى الأرض فلم يحفل بذلك، و لم يجر معهم أى لون من التحقيق الأمر الذى أدّى إلى النقمه عليه، و سنتعرّف على ذلك فى البحوث الآتيه.

ثالثا – ميله إلى الترف:

و كان عثمان شديد الميل إلى الترف و البذخ، فاتخذ القصور، و اصطفى لنفسه ما شاء من بيت المال، و أحاط نفسه بالثراء العريض، و وصفه الإمام عليه السّلام بقوله:

«نافجا حَضْنِيهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَ مَعْتَلْفِهِ»، وَ كَانَ ذَلِكَ مِنْ مَوْجِبَاتِ النِّقْمَةِ عَلَيْهِ.

رابعاً - مصانعه الوجوه:

و من نزعاته مصانعه الوجوه و الأشراف، و إن أدى ذلك إلى إهمال الأحكام الشرعيه، و كان من ذلك ما ذكره المؤرخون أنّ أبا لؤلؤة لما اغتال عمر قام ولده عبيد الله فقتل الهرمزان صديق أبي لؤلؤة، و قتل جفينه و ابنه أبي لؤلؤة، و هو قتل متعمّد بغير حقّ، فأقفل عثمان سير التحقيق مع عبيد الله و أصدر عفوا عنه مما لأه لاسره عمر، و قد قوبل هذا الإجراء بمزيد من الانكار، فقد أنكر عليه الإمام و طالبه بالقتل من ابن عمر، و كذلك طالبه المقداد فلم يعن عثمان بذلك، و كان زياد بن ليلى إذ لقي عبيد الله بن عمر خاطبه بهذه الأبيات:

ألا يا عبيد الله! مالِكٌ مهربٌ و لا ملجأ من ابن أروى و لا خفر

أصبت دما و الله! فى غير حلّه حراما و قتل الهرمزان له خطر

على غير شىء غير أن قال قائل أ تتهمون الهرمزان على عمر؟

فقال سفيه - و الحوادث جمّه -: نعم اتهمه قد أشار و قد أمر!

و كان سلاح العبد فى جوف بيته يقلبها و الأمر بالأمر يعتبر

و شكّا عبيد الله إلى عثمان ما قاله زياد فيه، فدعاه عثمان و نهاه عن ذلك إلا أنّه لم ينته، و تناول عثمان بالنقد فقال فيه:

أبا عمرو عبيد الله رهن - فلا تشكك - بقتل الهرمزان

فإنك إن غفرت الجرم عنه و أسباب الخطأ فرسا رهان

أ تعفو إذ عفوت بغير حقّ فما لك بالذى تحكى يدان

و غضب عثمان من زياد و حدّره العقوبه حتى انتهى [١].

و أمر عثمان بإخراج عبيد الله إلى الكوفة، وأقطعه بها أرضاً واسعة، فنسبت إليه، وقيل (كوفيه ابن عمر)، وكانت هذه الحادثة من الأسباب التي أدت إلى نومه المسلمين عليه.

ولاته و عماله:

إشارة

و فرض عثمان أسرته و ذوى قريبه من بنى أميّه و آل أبى معيط و لاه و حكّاما على المسلمين، يقول المقرئى:

«و جعل عثمان بنى أميّه أوتاد خلافته»، مع العلم أنّه لم تتوفّر فى أى واحد القابليه لتحملّ المسئوليه و إداره دقّه الحكم، مع أنّ الكثيرين منهم ليس لهم معرفه بأحكام الإسلام، كما لم تكن لهم حريجه فى الدين، فكيف يجعلون و لاه و حكّاما على المسلمين؟ و يرى السيّد مير على أنّ المسلمين تدمروا من استبداد الحكّام و اغتصابهم الأموال [١]، و كان من ولاته أبو موسى الأشعري، فسمح لأحد عمّاله بالتجاره فى أقوات أهل العراق [٢].

و على أى حال فإنّنا نعرض إلى بعض عمّاله الذين عانى منهم المسلمون الجهد و البلاء، و فيما يلى ذلك:

١ - عبد الله بن عامر:

عبد الله بن عامر بن كريز هو ابن خال عثمان، و قد وّلاه إماره البصره بعد أن عزل منها أبا موسى الأشعري، و كان ولاجا خزّاجا [٣]، و هو أول من لبس الخزّ

ص: ٢٢٧

فى البصره، و قد لبس جبّه دكناء، فقال الناس: لبس الأمير جلد دبّ، فغَيّر لباسه و لبس جبّه حمراء [١].

و قد نقم الناس من سياسته و سوء تصرّفاتة، و عابوا على عثمان ولايته له، و خفّ إلى يثرب عامر بن عبد الله موفدا من قبل أهل البصره يطالب عثمان بالاستقامه فى سلوكه فقال له:

إنّ اناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا فى أعمالك، فوجدوك قد ركبت امورا عظاما، فاتق الله عزّ و جلّ و تب إليه و انزع عنها...

فاحتقره عثمان و أعرض عنه، و قال لمن حوله:

انظروا إلى هذا، فإنّ الناس يزعمون أنّه قارىء، ثمّ هو يجيء فيكلّمنى فى المحقّرات، فوالله! ما يدرى أين الله؟...

و لم يكلّمه عامر إلّا بتقوى الله و طاعته، و إثارة مصلحة المسلمين، فهل هذه الامور من المحقّرات؟ و التفت إليه عامر فقال له:

أنا لا أدرى أين الله...

نعم.

إنّى لأدري أنّ الله بالمرصاد...

و غضب عثمان، فعقد مؤتمرا من مستشاريه، و عرض عليهم انتقاد المعارضين لسياسته، فأشار عليه ابن خاله عبد الله بن عامر أن يتخذ معهم الاجراءات الصارمه قائلا:

ص: ٢٢٨

رأى لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، و أن تجمهرهم في المغازى حتى يذّلوا لك، فلا يكون همّهم إلاّ نفسه، و ما هو فيه من دبر دابته و قمل فروته..

و أشار عليه آخرون بخلاف ذلك، إلاّ أنّه استجاب لرأى ابن خاله، و أو عز إلى عمّاله بالتضييق على الجبهه المعارضه، و مقابلتهم بالشدّه و العنف، فاستجاب له، و طبّق ما أشار عليه، فقد أمر عمّاله بتجمير الناس في البعوث، و عزم على حرمانهم من العطاء حتى يشبع الفقر فيهم و البؤس، فيضطروا إلى طاعته [١].

و لما قفل عبد الله بن عامر إلى البصره عمد إلى التنكيل بعامر بن عبد الله، و أو عز إلى عملائه أن يشهدوا عليه شهاده زور بأنّه خالف المسلمين في امور قد أحلّها الله كان منها:

١ - أنّه لا يأكل اللحم.

٢ - لا يشهد الجمعة.

٣ - لا يرى مشروعيه الزواج [٢].

و دوّنت شهادتهم، و رفعها إلى عثمان، فأمره بنفيه إلى الشام، و حمّله على قتب حتى يشق عليه السفر، و لمّا انتهى إلى الشام أنزله معاويه (الخضراء)، و بعث إليه بجاريه تكون عينا عليه، و أشرفت عليه الجاريه فرأته يقوم في الليل متعبّدا، و يخرج من السحر فلا يعود إلاّ بعد العتمه، و لا يتناول من طعام معاويه شيئا، و كان يتناول كسرا من الخبز و يجعلها في الماء تحرّجا من أن يدخل جوفه شيء من الحرام، و انبرت الجاريه فأخبرت معاويه بشأنه، فكتب إلى عثمان بأمره [٣]، و قد

نقم الأخيار و المتحرّجون في دينهم على عثمان لما اقترفه في شأن هذا العبد الصالح.

و على أى حال فقد ظلّ عبد الله بن عامر واليا على البصره لم يتحرّج من إثم و بغى، و لمّا قتل عثمان نهب ما فى بيت المال و سار إلى مكّه، فوافى بها طلحه و الزبير و عائشه فانضمّ إليهم، و أمدهم بالأموال التى نهبها ليستعينوا بها على حرب الإمام أمير المؤمنين، و هو الذى أشار عليهم بالنزوح إلى البصره [١].

إنّ هذا الذئب الجاهلى من ولاه عثمان و من المقرّبين إليه، و قد أسند إليه و لايه هذا القطر المهمّ .

٢ - الوليد بن عقبه:

و كان على الكوفه واليا سعد بن أبى وقاص الزهرى، فعزله عثمان و ولى عليها الوليد بن عقبه، و هو - فيما أجمع عليه المؤرّخون - من فساق بنى أميّه، و من أكثرهم مجونا، و قد أخبر النّبى صلّى الله عليه و آله أنّه من أهل النار [٢]، و كان أبوه عقبه من الدّ أعداء النّبى صلّى الله عليه و آله، فكان يأتى بالروث و يطرحه على بابهِ [٣]، و هو الذى بصق بوجه النّبى ، فهدّده بأنّه إن وجدّه خارجا من جبال مكّه يأمر بضرب عنقه، و لمّا كانت واقعه بدر امتنع من الخروج، فأصرّ عليه أصحابه فأخبرهم بخوفه من النّبى ، فأغروه و خدعوه و قالوا له: لك جمل أحمر لا يدرك، فلو كانت الهزيمه طرت عليه، فاستجاب لهم، و خرج لحرب النّبى ، فلمّا هزم الله المشركين حمل به جمله فى جردود من الأرض، فأخذه المسلمون و جاءوا به أسيرا، فأمر النّبى عليّا بضرب عنقه، فقام إليه و قتله [٤]،

وقد أترعت نفس الوليد بالحق والعداء للنبي ولالإمام لأنهما قد و تراه بأبيه، وقد أسلم الوليد مع من أسلم من كفار قريش خوفا من حد السيف.

وقد انزلت في ذمه آيتان في فسقه و ذمه و هما:

الاولى: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُكُمْ بِخُوفٍ عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [١]، و كان سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه و آله أرسله إلى بنى المصطلق لأخذ الصدقة منهم، فعاد إليه و أخبره بأنهم منعه منها، فخرج إليهم النبي صلى الله عليه و آله فتبين له كذبه، و نزلت الآية في فسقه.

الثانية: قوله تعالى: أَلَمْ يَكُنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ [٢]، و كان السبب في نزولها أنه جرت بين الوليد و بين الإمام مشادة، فقال الوليد للإمام:

اسكت فإنك صبي و أنا شيخ، و الله! إنني أبسط منك لسانا، و أحدد منك سنانا، و أشجع منك جنانا، و أملا منك حشوا في الكتيبه.

فرد عليه الإمام قائلا:

«اسكت فإنك فاسق..».

فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآية، و نظم هذه الحادثة حسان بن ثابت بقوله:

أنزل الله و الكتاب عزيز في علي و في الوليد قرانا

فتبوا الوليد من ذاك فسقا و علي مبوأ إيمانا

ليس من كان مؤمنا عرف الله كمن كان فاسقا حوانا

فعلني يلقي لدى الله عزًا و وليد يلقي هناك هوانا

سوف يجرى الوليد خزيا و نارا و علي لا شك يجرى جنانا [٣]

و لما ولّاه عثمان ولايه الكوفه كان يشرب الخمر جهارا، و قد دخل القصر و هو ثمل يتمثل بأبيات تأبط شرا:

و لست بعيدا عن مدام و قينه و لا بصفا صلد عن الخير معزل

و لكن أروى من الخمر هامتي و أمشى الملا بالساحب المتسلسل [١]

و من مجونه أنه كان يفيق لياليه سكران مع المغنين حتى الصباح، و كان نديمه أبو زيد الطائي من نصارى تغلب، و قد أنزله دارا له على باب المسجد، ثم وهبها له، و كان الطائي يشق صفوف المصلين فى الجامع حتى ينتهى إليه و هو سكران [٢].

و كان من إدامنه على الخمر أنه شربها فصلّى بالناس صلاه الصبح و هو ثمل أربع ركعات، و صار يقول فى ركوعه و سجوده: اشرب و اسقنى، ثم قاء الخمر فى المحراب و سلّم، و التفت إلى المصلين خلفه و قال: هل أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود: لا زادك الله خيرا و لا من بعثك إلينا، و أخذ فروه نعله و ضرب بها وجهه، و حصبه الناس، فدخل القصر و الحصباء تأخذه و هو ثمل [٣] مترنح، و فى فضائحه و مخازيه يقول الحطيئه جروى بن أوس العبسى:

شهد الحطيئه يوم يلقى ربّه أنّ الوليد أحقّ بالعدر

نادى و قد تمّت صلاتهم أ أزيدكم ثملا و لا يدرى

ليزيدهم خيرا و لو قبلوا منه لزادهم على عشر

فأبوا أبا وهب و لو فعلوا لقرنت بين الشفع و الوتر

حبسوا عنانك إذ جريت و لو خلوا عنانك لم تزل تجرى [٤]

أ رأيتم هذه السخريه اللاذعه و الاستهزاء السافر بأحد ولاء عثمان ؟ و قال الحطيئه فى ذمه و هجائه مره أخرى:

تكلّم فى الصلاه و زاد فيها علانيه و جاهر بالنفاق

و مَجّ الخمر عن سنن المصلّى و نادى و الجميع إلى افتراق

أ أزيدكم على أن تحمدونى فما لكم و مالى من خلاق [١]

و أسرع جماعه من خيار الكوفه إلى يثرب يشكون الوليد إلى عثمان، و قد صحبوا معهم خاتمه الذى انتزعوه منه فى حال سكره، و قابلوا عثمان، و عرضوا عليه أنّ الوليد شرب الخمر فزجرهم عثمان و قال لهم بعنف:

ما يدريكم أنّه شرب الخمر؟ هى الخمر التى كُنّا نشربها فى الجاهليه.

و أعطوه خاتمه الذى انتزعوه منه فى حال سكره لتأييد شهادتهم، فغضب عثمان، و دفع فى صدورهم و قابلهم بأخبث القول و أقساه، و خرجوا منه و هم يتميّزون من الغيظ، و اتجهوا صوب الإمام و أخبروه بما جرى لهم مع عثمان،

فانبرى إلى عثمان و قال له:

«دفعت الشهود و أبطلت الحدود».

و خاف عثمان من عواقب الامور، فقال للإمام:

ما ترى ؟ «أرى أن تبعث إلى صاحبك، فإن أقاما الشّهاده فى وجهه و لم يدل بحجّه أقت عليه الحدّ..».

و لم يجد عثمان بدّاً من امثال أمر الإمام، فكتب إلى الوليد يأمره بالحضور

إلى يثرب، و لَمَّا انتهت إليه رساله عثمان نرح من الكوفه إلى يثرب.. و لَمَّا مثل أمام عثمان دعا بالشهود، فأقاموا عليه الشهاده، و لم يدل الوليد بأية حجه، و قد خضع بذلك لإقامه الحدّ، و لم ينبر أحد لإقامه الحدّ عليه خوفا من عثمان، فقام الإمام عليه السّلام و دنا منه فسبّه الوليد و قال له: يا صاحب مكس [١]، و قام إليه عقيل فردّ عليه سبّه، و ضرب الإمام به الأرض و علاه بالسوط ، و عثمان يتميّز غيظا، فصاح بالإمام:

ليس لك أن تفعل به هذا.

فأجابه الإمام بمنطق الشرع:

«بلى، و شرّ من هذا إذا فسق، و منع حقّ الله أن يؤخذ منه»[٢].

و علّق العلامه العلا يلى على هذه البادره بقوله:

هذه القصه تضع بين أيدينا شيئا جديرا غير العطاء الذى يرجع إلى مكان العاطفه، تضع بين أيدينا صوره عن الاغضاء عن مجاوزه السلطه للقانون، و الاغضاء فى واقعه دينيه، بحيث يجب على الخليفه أن يكون أوّل من يغار عليها، و إلّا- هدّد مكانه و افسح المجال للناس للنقد و التجريح، و بالأخصّ حين جاءت حكومته عقيب حكومه عمر التى عرفت بالشده فيما يتعلّق بالحدود الدينيه حتى لو كان من أقرب ذوى القربى.

إذن، فهذه المبالغه فى الاغضاء و الصفح و المجاوزه لا- ترجع إلى مكان العاطفه وحدها - إن كانت - بل إلى الحزبيه حتى تتناحر مجتمعه [٣].

إنّ الوليد بفسقه و فجوره ترك الدعاره و اللهو و المجون فى الكوفه، و قد أسّست فيها دور للغناء و الطرب، و انتشر فيها المغنّون، فكان فيها عبد الله بن هلال

الذى لُقّب بصاحب إبليس [١]، و حينئذ الشاعر النصراني [٢] وغيرهما من أعلام الغناء.

٣ - عبد الله بن سعد:

و من ولاة عثمان أخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح فجعله واليا على مصر، و أسند إليه إقامة الصلاة و الولاية على الخراج، و هو فيما أجمع عليه المؤرخون من أكثر زنادقه قريش عداء للنبي صلى الله عليه و آله، و كان يقول مستهزئا به: إني أصرفه حيث أريد، و أحلّ النبي صلى الله عليه و آله دمه و إن كان متعلقا بأستار الكعبة، و قد هرب بعد فتح مكة فاستجار بعثمان فغيّبه، و بعد ما اطمأن أهل مكة أتى به عثمان إلى النبي، فلما رآه صمت طويلا، ثم آمنه و عفا عنه، فلما انصرف عثمان

التفت النبي إلى أصحابه و قال لهم:

«ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم ليضرب عنقه».

فقال له رجل من الأنصار: هلا أو مأت إلى يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه و آله: «إن النبي لا ينبغي له خائنه الأعين» [٣].

و لثيا ولى عبد الله مصر ساس المصريين سياسته عنف و كلفهم فوق ما يطيقون، و أظهر الكبرياء و الجبروت، فضجروا منه، فذهب خيارهم إلى عثمان يشكون إليه، فاستجاب لهم عثمان و أرسل إليه رساله يستنكر فيها سياسته في القطر، فلم يستجب لعثمان، و راح مصرًا على غيّه، و عمد إلى من شكاه لعثمان فقتله، و شاع التذمر و عمّ السخط من جميع الأوساط في مصر، فتشكّل منهم وفد كبير بلغ عدد أعضائه سبعمائة شخص فحفّوا إلى عثمان، و لما انتهوا إلى يثرب نزلوا في الجامع و شكوا

أميرهم إلى الصحابه، فانبرى طلحه إلى عثمان فكلمه بكلام قاسى، و أرسلت إليه عائشه تطالبه بإنصاف القوم، و كلمه

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى شأنه قائلاً:

«إنما يسألك القوم رجلاً مكان رجل، و قد ادعوا قبله دماً، فاعزله و اقض بينهم، فإن و جب عليه حق فأنصفهم منه...».

و استجاب عثمان - على كره - لنصيحه الإمام، و قال للقوم: اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه، فأشاروا عليه بمحمد بن أبى بكر، فكتب إليه عهده، و بعث معه عدّه من المهاجرين و الأنصار ينظرون فيما بينهم و بين ابن أبى سرح [١]، و نزع القوم من المدينه، فلما انتهوا إلى الموضع المعروف ب (حمس) و إذا بقادم من المدينه، تأملوه و إذا هو ورش غلام عثمان، ففتشوه و إذا به يحمل رساله من عثمان إلى ابن أبى سرح يأمره فيها بالتنكيل بالمصريين، و تأملوا الكتاب و إذا به بخط مروان، فقفلوا راجعين إلى المدينه و قد صمّموا على قتل عثمان أو خلعه [٢].

٤ - معاويه بن أبى سفيان:

و أقرّ عثمان معاويه على الشام، فقد ولّاه عمر عليه، و زاد عثمان فى رقعته سلطانه، و زاد فى نفوذه، و قد مهّد له الطريق لنقل الخلافه إليه.

يقول الدكتور طه حسين:

و ليس من شكّ فى أنّ عثمان هو الذى مهّد لمعاويه ما اتيح له من نقل الخلافه ذات يوم إلى آل أبى سفيان، و تثبيتها فى بنى أميه، فعثمان هو الذى وسّع على معاويه فى الولايه فضمّ إليه فلسطين و حمص، و أنشأ له وحده شاميه بعيدة الأرجاء، و جمع له قياده الأجناد الأربعة، فكانت جيوشه أقوى جيوش المسلمين، ثمّ مدّ له فى الولايه أثناء خلافته كلّها كما فعل عمر، و أطلق يده فى امور الشام أكثر ممّا أطلقها

عمر، فلما كانت الفتنة فإذا هو أبعد الامراء بالولاية عهدا و أقواهم جندا و أملكهم لقلب رعيتته... [١].

و حكى حديث الدكتور الواقع، فإنّ عثمان هو الذى أمّد فى سلطان معاويه، و بسط له النفوذ و السعه حتى صار من أقوى الولاة، و أصبح قطره من أهمّ الأقطار الإسلاميه و من أكثرها ولاء له.

٥ - سعيد بن العاص:

و أسند عثمان ولاية الكوفه إلى سعيد بن العاص، فولّاه هذا القطر العظيم الذى كان حاميه للجيش الإسلاميه بعد أن عزل عنه الوليد الذى شرب الخمر و أقام الإمام عليه السلام عليه الحدّ.

و قد استقبل الكوفيون ولاية سعيد بكثير من الكراهيه؛ لأنه كان شابا مترفا متهورا لا يتحرّج من اقرار الإثم و المنكر، و قد روى المؤرّخون صورا من استهتاره بالقيم الإسلاميه و الاجتماعيه كان منها ما يلى: إنّه طلب من الحاضرين رؤيه عيد شهر رمضان المبارك، فقام إليه الصحابى الجليل هاشم بن عتب المرقال فقال له:

أنا رأيتة..

فوجه إليه كلاما جافيا لا يصدر من إنسان شريف قائلا له: بعينك هذه العوراء رأيتة؟..

فالتاع هاشم و انبرى يقول:

تعيّرنى بعينى، و إنّما فقئت فى سبيل الله، و كانت عينه قد اصيبت يوم اليرموك.

لقد فقئت عين هذا المجاهد الكبير فى واقعه اليرموك، و قد عيّره بها هذا

الجاهلي الذي لم يترب إلا على الرذائل و الموبقات.

و على أى حال فقد أصبح هاشم مفطرا؛ لأنه قد رأى الهلال، و قد جاء

عن النبي صَلَّى الله عليه و آله «صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته»، و قد فطر الناس لإفطاره، فانتهى الخبر إلى سعيد فأرسل خلفه و ضربه ضربا موجعا و أمر بإحراق داره، و قد أثار ذلك حفاظ النفوس و نقم عليه الأختيار و المتحرّجون فى دينهم، فقد كان اعتداؤه على علم من أعلام الإسلام بغير حقّ و وجه مشروع إلا إرضاء لعواطفه المترعه بالجهل و الحقد على رجال الإسلام [١].

٢ - أعلن سعيد أمام الجماهير القول: إنّما السواد - يعنى سواد الكوفه - بستان لقريش و أثار ذلك حفاظ النفوس، فالسواد ملك للمسلمين و ليس للقرشيين الذين هم خصوم الإسلام و أعداء الرسول أى حقّ فيه... و قد اندفع الزعيم الكبير مالك الأشتر إلى الإنكار عليه قائلا:

أ تجعل مراكز رماحنا، و ما أفاء الله علينا بستانا لك و لقومك؟... و الله! لو رامه أحد لقرع قرعا يتصأصأ منه...

لقد اتخذ الحكم الأموى الذى فرض على الامه بقوه السيف خيرات الامه بستانا لقريش التى ناجزت الإسلام و كفرت بجميع قيمه.

و انضمّ قراء المصر و فقهاؤهم إلى الزعيم مالك الأشتر فردّوا على الوالى طيشه و غروره، و جابهوه بالنقد لمقالته، و غضب مدير شرطته فردّ عليهم ردّا غليظا، فبادروا إليه و ضربوه ضربا عنيفا حتى اغمى عليه، و أخذوا يذيعون مساوى قريش و جرائم بنى أميه و ذكر مثالب عثمان، و رفع سعيد من فوره رساله إلى عثمان أخبره فيها بما جرى عليه، فأمره بنفيهم إلى الشام، و كتب رساله إلى معاويه يأمره فيها

بإستصلاحهم. و لم يرتكب هؤلاء الأخيار إثماً أو يحدثوا فساداً في الأرض حتى يستحقّوا النفي من وطنهم، و إنّما نقدوا أميرهم لأنّه قال غير الحقّ، و شدّد عن الطريق القويم. و من المؤكّد أنّ الإسلام قد منح الحريه التامه للمواطنين، فلمهم أن ينقدوا الحكّام و المسؤولين إذا شدّوا في سلوكهم و ابتعدوا عن الحقّ .

و على أى حال فقد قامت السلطه بإخراج القوم بالعنف عن أوطانهم، و أرسلتهم مخفورين إلى الشام، فتلقّاهم معاويه و أنزلهم في كنيسه، و أجرى عليهم بعض الرزق، و جعل يناظرهم، و يحدّ لهم الغضّ عمّا تقتترفه السلطه من أعمال إلاّ أنّهم لم يستجيبوا له و أنكروا عليه و على سعيد الذى قال: إنّما السواد بستان قريش.

و لثّما يثس معاويه منهم كتب إلى عثمان يستعفيه من بقائهم في الشام خوفاً من أن يفسدوا أهلها عليه، فأعفاه عثمان و أمره بردهم إلى الكوفه، فلمّا عادوا إليها انطلقت ألسنتهم بنقد أمير الكوفه و ذكر مثالب الأمويّين، و رفع سعيد ثانياً أمرهم إلى عثمان، فأمره بنفيهم إلى حمص و الجزيره، فأخرجهم سعيد بعنف، فلمّا انتهوا إلى حمص قابلهم و إليها بشدّه و عنف، و سامهم سوء العذاب، و يقول الرواه: إنّّه إذا ركب أمر بهم بالسير حول ركابه مبالغه في إذلالهم و الاستهانه بهم، و لمّا رأوا ذلك أظهروا له الطاعه و الازعان لسلطانه، و كتب لعثمان بذلك، فأمره بردهم إلى الكوفه، و أخرجهم من حمص، و مضوا يجدّون في سيرهم، و جعلوا طريقهم إلى يثرب لمقابله عثمان، و عرض ما عانوه من عمّاله من صنوف التعذيب و الارهاق، و توجّهوا صوب المدينه، فلمّا انتهوا إليها رأوا سعيداً قد أقبل من الكوفه في مهمّه رسميه، و قابلوا عثمان، و عرضوا عليه ما لا لاقوه من سعيد، و سألوه عزله، و فاجأهم سعيد فرآهم عند عثمان و هم يشكونه، فأعرض عنهم عثمان و ألزمهم بطاعته و الانصياع لأوامره.

و قفل القوم راجعين إلى الكوفه، و أقسموا أن لا يدخلها سعيد، و قاموا

باحتملال مركزه، و خرجوا فى جماعه مسلحين بقاءه الزعيم مالك الأشتر حتى انتهوا إلى (الجرعه)، فربطوا فيها ليحولوا بين سعيد و بين دخوله إلى الكوفه، و أقبل سعيد فقاموا بوجهه و عنفوه أشد العنف و منعه من الدخول إلى مصرهم، فولى منهم ما إلى عثمان يشكوهم إليه، و لم يجد عثمان بدا فى عزله و توليه غيره مكانه.. [١].

و بهذا ينتهى بنا الحديث عن بعض ولاء عثمان من الأمويين، و قد منحهم هذه المناصب العليا تقويه لنفوذهم، و بسطوا لسلطانهم، و حملهم على رقاب المسلمين، يقول السيد مير على الهندي:

و كان هؤلاء هم رجال الخليفه المفضّلين، و قد تعلقوا بالولايات كالثعبان الجائع، فجعلوا ينهشونها و يكّدسون الثروات منها بوسائل الإرهاق التي لا ترحم [٢].

و على أى حال فإنّ من الأسباب المهمّة التي أدت إلى قتل عثمان سيره و لاته و عماله الأمويين الذين لم يألوا جهدا فى ظلم الناس و إرغامهم على ما يكرهون.

سياسته الاقتصادية:

اشاره

و لم تكن لعثمان سياسه اقتصاديه واضحه المعالم، و إنّما انتهج سياسه عمر و سار عليها [٣]، و هى ممالأه الأشراف و الوجوه، و تقديمهم فى العطاء على غيرهم، و قد شدّت هذه السياسه عمّا قننه الإسلام من لزوم المساواه بين المسلمين فى العطاء، و إيجاد التوازن الاقتصادى فى الحياه العامه، و ليس لولاه الامور أن

يصطفوا من أموال الدولة أى شىء لنفوسهم و لغيرهم،

يقول رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: «إِنَّ رجالا يتخَوِّضون فى مال الله بغير حقّ فلهم النَّار يوم القيامة» [١].

و أوضح الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام النهج الكامل على للسياسه الاقتصاديه فى الإسلام و ذلك

فيما كتبه إلى قثم بن العباس قال عليه السّلام:

و انظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوى العيال و المجاعه، مصيبا به مواضع الفاقه و الخلات و ما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا [٢].

هذا هو نظر الإسلام فى أموال الدوله: إنفاق على الفقراء، و رفع لغائله الجوع، و بسط للرخاء العام بين المسلمين.. أمّا عثمان فلم يعن بذلك، و إنّما أنفق الأموال بسخاء على بنى أميّه و آل أبى معيط و سائر الوجوه و الأشراف المؤيدين لسياسته.

لقد أصبحت الأموال الهائله التى تتدفق على الخزينه المركزيه تمنح للأمويين، و ادّعوا أنّ المال إنّما هو ملكهم لا مال الدوله، و أنّها ملك لبنى أميّه، فقد منحوا نفوسهم جميع الامتيازات [٣]، و نعرض فيما يلى لذلك:

هبائه للأمويين:

و منح عثمان بنى أميّه الأموال الهائله و وهبهم الثراء العريض، و هذه قائمه ببعض أسماء الذين أغدق عليهم الأموال و هم:

١ - الحارث بن الحكم:

وهب عثمان الحارث بن الحكم صهره من عائشه ما يلى:

ص: ٢٤١

أ - ثلاثمائة ألف درهم [١].

ب - وهبه إبل الصدقة التي وردت إلى المدينة [٢].

ج - أقطعه سوقا في المدينة يعرف بتهروز بعد أن تصدّق به النبيّ على جميع المسلمين [٣].

٢ - أبو سفيان:

وهب عثمان عميد أسرته أبا سفيان مائتي ألف درهم من بيت المال [٤].

٣ - سعيد بن العاص:

منحه مائه ألف درهم من بيت المال [٥].

٤ - عبد الله بن خالد:

تزوّج عبد الله بن خالد بنت عثمان، فأمر له بستمائه ألف درهم، و كتب إلى عبد الله بن عامر واليه على البصره أن يدفعها إليه من بيت المال [٦].

٥ - الوليد بن عقبه:

أمّا الوليد بن عقبه فهو أخو عثمان من امّه، استقرض من عبد الله بن مسعود أموالا - طائله من بيت المال، فطالبه بها، فأبى أن يدفعها، و رفع الوليد رساله إلى عثمان يشكو فيها ابن مسعود لمطالبته بالمال، فكتب إليه عثمان: إنّما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال، و غضب ابن مسعود، و طرح مفاتيح بيت المال، و قال: كنت أظنّ أنّي خازن للمسلمين، فأما إذا كنت خازنا لكم فلا حاجه لي

ص: ٢٤٢

فى ذلك، و أقام فى الكوفه بعد أن استقال من منصبه [١].

إنّ بيت المال فى عرف عثمان ملك لبني أميّه الذين ناهضوا الإسلام، و ليس ملكا للمسلمين، و نترك الحكم فى ذلك إلى القراء.

٦ - الحكم بن أبى العاص: أمّا الحكم فهو رجس من أرجاس الجاهليه، و من ألدّ أعداء الرسول صلّى الله عليه و آله، و نفاه إلى الطائف بعد فتح مكّه، و قال: لا يساكننى، و لم يزل منفيا هو و أولاده، و بعد وفاه النبيّ صلّى الله عليه و آله أقرّ الشيخان نفيه، و لمّا انتهى الحكم إلى عثمان أصدر عنه العفو، فقدم إلى يثرب و هو بأقصى مكان من الذلّ و البؤس، و كان يسوق تيسا و عليه ثياب رثه، فلمّا رآه عثمان تألم و كساه جبه خز و طيلسان [٢]، و وهبه من الأموال ما يلي:

- وصله بمائه ألف درهم.

- ولّاه على صدقات قضاعه، فبلغت ثلاثمائه ألف درهم، فوهبها له [٣].

و أدت هباته للحكم التذمّر و النقمه عليه من جميع الأوساط الإسلاميه.

٧ - مروان بن الحكم: أمّا مروان بن الحكم فهو خيط باطل - كما اشتهر بذلك - و كان و غدا خبيثا، و كانت شئون الدوله العثمانيه بيده و لا شأن لعثمان بها، و قد وهبه من الأموال ما يلي:

أ - أعطاه خمس افريقيه، و قد بلغت خمسمائه ألف دينار، و قد عيب على عثمان فى ذلك و انتقصه المسلمون، و هجاه الشاعر عبد الرحمن بن حنبل بهذه الأبيات:

ص: ٢٤٣

سأحلف بالله جهد اليمى ن ما ترك الله أمرا سدى

و لكن خلقت لنا فتنه لكى نبتلى بك أو تبتلى

فإنّ الأمينين قد بينا منار الطريق عليه الهدى

فما أخذنا درهما غيله و ما جعلنا درهما فى الهوى

دعوت اللعين فأدنيته خلافا لسنّه من قد مضى

و أعطيت مروان خمس العبا د ظلما لهم و حميت الحمى [١]

ب - أعطاه ألف و خمسين اوقيه، لا نعلم أنّها من الذهب أو الفضة... و هذا ممّا سبّت عليه النقمه العامّه فى البلاد [٢].

ج - أعطاه مائه ألف من بيت المال، فسارع زيد بن أرقم خازن بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يديه، و جعل يبكى فنهره عثمان و قال له: أ تبكى أن وصلت رحمى ؟ و لكن أبكى لأننى أظنك أنّك أخذت المال عوضا عمّا كنت أنفقتة فى سبيل الله فى حياه رسول الله صلّى الله عليه و آله، لو أعطيت مروان مائه درهم لكان كثيرا.

و زجره عثمان و صاح به:

ألق المفاتيح يا ابن أرقم! فإنّا سنجد غيرك [٣].

د - أقطعه فدكا [٤]، و هى التى صادرها أبو بكر من سيّده نساء العالمين زهراء

الرسول بحجّه أنّها لجميع المسلمين، فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون.

ه - كتب له بخمس مصر [١].

هذه بعض ممالأه عثمان لاسرته التي حاربت الله و رسوله و ليس من العدل و لا من الإنصاف أن تمنح هذه الأموال إلى هؤلاء الأوغاد الذين لم يألوا جهدا في محاربه الإسلام و الكيد للمسلمين.

هباته للأعيان:

و وهب عثمان الثراء العريض و الأموال الهائلة إلى بعض الوجوه و الأشراف من ذوى النفوذ، و هم:

١ - طلحه: و أعطى عثمان طلحه مائتي ألف دينار [٢]، و كانت عليه خمسون ألفا فأحضرها طلحه فوهبها له و قال: هي لك على مروءتك [٣]، أ ليس هذا هو التلاعب في بيت مال المسلمين ؟ ٢ - الزبير: منح الزبير بن العوام ستمائة ألف، و لمّا قبضها حار في صرفها، فجعل يسأل عن خير مال يستغلّ صلته و ينمى ثراءه، فأرشد إلى اتّخاذ الدور في الأقاليم و الأمصار [٤]، فبنى إحدى عشرة دارا بالمدينة و دارين بالبصره و دارا بالكوفه، و دارا بمصر [٥].

٣ - زيد بن ثابت: و وهب عثمان أموالا هائلة لزيد بن ثابت حتى بلغ به الثراء العريض أنّه لمّا توفّي خلف من الذهب و الفضة ما يكسر بالفؤوس عدا ما ترك من

ص: ٢٤٥

الأموال و الضياع ما قيمته مائه ألف [١]، و منح أموالا طائلة للمؤيدين لسياسته أمثال حسان بن ثابت، و قد تكدست ثروه البلاد فى طائفه من الرأسماليين الذين جهدوا على حصر الثروه عندهم و حرمان المجتمع الإسلامى منها، و قد أدت هذه السياسه الملتويه إلى إشاعه الفساد، و انتشار الترف و البذخ عند طائفه من الناس.

و قد خاف بعض المتحرّجين فى دينهم من هذا الثراء الذى ظفر به من هبات عثمان، يقول خباب بن الارت: لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه و آله ما أملك ديناراً و لا درهما، و إنّ فى ناحيه بيتى فى تابوتى لأربعين ألف واف [٢]، و لقد خشيت أن تكون عجلت طيباتنا فى حياتنا الدنيا.. [٣].

و هكذا تمثّلت الحيره و الذهول عند الصحابه المتحرّجين فى دينهم من هذا الثراء الذى اختصّ بقوم و حرمت الأكثرية الساحقه فى البلاد الإسلاميه من التمتع بالعيش الرغيد.

إقطاعه للأراضى:

و من مناهج السياسه الماليه عند عثمان أنه أقطع بعض الأراضى الواسعه لجمهره من المؤيدين لسياسته، فقد أقطع أراضى فى داخل الكوفه و خارجها...

و هذه الأراضى من المفتوحه عنوه، و هى ملك للمسلمين، فمن أحيى أرضاً فهى له، و عليه الخراج يؤدّيه للدولة.

و على أى حال فقد أقطع عثمان أراضى فى الكوفه لجماعه، و هى:

١ - طلحه: أقطعه أرضاً سمّيت دار الطلحين، و كانت فى الكناسه.

٢ - عبيد الله بن عمر: أقطعه أرضاً سمّيت (كوفية ابن عمر).

٣ - اسامه بن زيد.

٤ - سعد و ابن أخيه هاشم بن عتبة.

٥ - أبو موسى الأشعري.

٦ - حذيفه العبسي.

٧ - عبد الله بن مسعود.

٨ - سلمان الباهلي.

٩ - المسيب الفزاري.

١٠ - عمرو بن حريث المخزومي.

١١ - جبير بن مطعم الثقفي.

١٢ - عتبة بن عمر الخزرجي.

١٣ - أبو جبير الأنصاري.

١٤ - عدى بن حاتم الطائي.

١٥ - جرير البجلي.

١٦ - الأشعث الكندي.

١٧ - الفرات بن حيان العجلي.

١٨ - الوليد بن عقبه.

١٩ - جابر بن عبد الله الأنصاري.

٢٠ - أم هاني بنت أبي طالب.

هؤلاء بعض من منحهم الأراضي، و لا نعلم مقدار مساحتها.

قائمه بأسماء الممنوحين أراضى واسعه:

و أقطع عثمان أراضى واسعه تدرّ بالربح الكثير لجماعه و هم:

١ - طلحه بن عبد الله: أقطعه (النشاستج).

٢ - عدى بن حاتم: منحه (البرد جاء).

٣ - وائل بن حجر الحضرمى: منحه ضيعه (زادر).

٤ - خباب بن الارت: منحه (مسعبنا).

٥ - خالد بن عرفطه: أقطعه أرضا عند (حمام أعين).

٦ - الأشعث الكندى: أعطاه (ظيزناباد).

٧ - جرير بن عبد الله البجلي: أعطاه أرضا على شاطئ الفرات (الجرفين).

٨ - عبد الله بن مسعود: أقطعه أرضا بالنهرين.

٩ - الزبير بن العوام: أقطعه أرضا.

١٠ - اسامه بين زيد: أقطعه أرضا ثم باعها [١].

هذه بعض الأراضى الزراعيه التى منحها عثمان لبعض الشخصيات.

و من الجدير بالذكر أنه اندفع جماعه من الطبقة الارستقراطية إلى شراء أراض خصبه فى العراق، فقد اشترى طلحه و مروان بن الحكم و الأشعث بن قيس [٢] و رجال من قبائل العراق أراضى واسعه حتى انتشر الاقطاع، و عمّ البؤس و الحرمان فى أوساط الفلاحين، و بذلك فقد وجد النظام الطبقي الذى يخلق الصراع بين أبناء الامّه.

و اصطفى عثمان من بيت المال ما شاء لنفسه و عياله، فقد روى المؤرخون أنه كانت فى بيوت الأموال جواهر ثمينه لا تقدر قيمتها، فأخذها و حلّى بها بناته و نساءه [١]، كما بالغ فى الترف و السرف إلى حدّ لم يألفه المسلمون، فقد أشاد له دارا فى المدينه بناها بالحجر و الكلس، و جعل أبوابها من الساج و العرعر، و اقتنى أموالا و جنانا و عيونا بالمدينه [٢]، و كان ينصّد أسنانه بالذهب، و يتلبّس بأثواب الملوك، و أنفق الكثير من بيت المال فى عماره ضياعه و دوره [٣]، و لمّا قتل وجد عند خازنه ثلاثون ألف درهم، و خمسون و مائه ألف دينار، و ترك ألف بعير و صدقات بيراديس و خيبر و وادى القرى ما قيمتها مائتا ألف دينار [٤].

و علّق محمّد كرد على على هذه السياسه التى انتهجها عثمان بقوله:

لقد أوجدت هذه السياسه المالىه طبقتين من الناس؛ الاولى: الطبقة الفاحشه فى الثراء التى لا-عمل لها إلاّ اللهو و التبطل، و الاخرى: الطبقة الكادحه التى تزرع الأرض، و تعمل فى الصناعه، و تشقى فى سبيل اولئك الساده من أجل الحصول على فتات موائدهم، و ترتّب على فقدان التوازن فى الحياه الاقتصاديه، انعدام الاستقرار فى الحياه السياسيه و الاجتماعيه على السواء، و قد سارت الدوله الأمويه فى أيام حكمها على هذه السياسه فأخضعت المال للتيارات السياسيه و جعلوه سلاحا ضدّ أعدائهم و نعيما مباحا لأنصارهم [٥].

هذه بعض المؤاخذات على السياسه الماليه التي انتهجها عثمان، و قد ابتعدت كلّ البعد عمّا قننه الإسلام من وجوب إنفاق أموال الدوله على ما يسعد به المجتمع من مكافحه الفقر، و تطوير الحياه الاقتصاديه بشكل عامّ .

مع الجبهه المعارضه:

اشاره

و كان من الطبيعى أن ينقم خيار المسلمين و صلحاؤهم على عثمان و ولاته بما اقترفوه من مساوئ الأعمال التي لا تتفق بصله مع الواقع الدينى، و قد شتّوا عليه حملته شعواء نقدوه بلاذع النقد.. و من الجدير بالذكر أنّ المعارضه كانت مختلفه الاتجاه بين اليمين و اليسار، فطلحه و الزبير و عائشه و من انضمّ إليهم كانوا مدفوعين لرغباتهم الخاصه و مصالحهم الضيقه، أمّا الطائفه الثانيه فكانت تضمّ أعلام الإسلام و حماته أمثال عمّار بن ياسر الطيّب ابن الطيّب و أمثال المجاهد الكبير أبى ذرّ، و الصحابى القارئ عبد الله بن مسعود و نظرائهم من الذين أبلوا فى الله بلاء حسنا، فرأوا أنّ السنّه قد اميتت، و البدعه احييت، و رأوا صادقا يكذب، و أثره بغير حقّ، فهبّوا فى وجه عثمان مطالبين بتغيير سلوكه و اتّباع الهدى، و لم تكن لهم أيّه مصلحه ينشدونها سوى خدمه الإسلام، و لو أنه استجاب لهم لجبّ الامّه الكثير من المشاكل.

التنكيل بالمعارضين:

اشاره

و أمعن عثمان بالتنكيل بالمعارضين لسياسته، فصبّ عليهم جام غضبه و قابلهم بمزيد من القسوه و البطش و التنكيل، و هذه قائمه بأسماء بعضهم و ما عانوه منه:

١ - عمّار بن ياسر:

أمّا عمّار بن ياسر فهو أجلّ صحابى، و مكانته فى الإسلام معلومه، فهو و أبواه

قد عانوا فى سبيل الإسلام أعنف المصاعب و أقسى ألوان التعذيب، و قد استشهد أبواه فى سبيل الإسلام على يد القساة الطغاه من قریش.

و قد أشاد القرآن الكرىم بفضل عمّار، فمن الآيات النازله فى حقّه قوله تعالى:

أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ [١]، و قال تعالى فى حقّه أيضا: أَوْ مَنْ كَانَ مَمِيَّتًا فَأَخْبَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِى النَّاسِ [٢].

و كانت له المنزله الكرىمه عند النبىّ صلّى الله عليه و آله، فقد سمع شخصا ينال من عمّار، فتأثّر، و قال: «ما لهم و لعمّار، يدعوهم إلى الجنّه و يدعونه إلى النار، إنّ عمّارا جلده ما بين عىنى و أنفى، فإذا بلغ ذلك من الرجل فاجتنبوه» [٣]، و كان عمّار من ألمع أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، فقد آمن بحقّه، و أنّه أولى بمقام النبىّ من غيره، و قد وقف إلى جانبه أيام الفتنة الكبرى، و أعلن تأييده للإمام عليه السّلام، و بعد ما فرض عمر عثمان خليفه على المسلمين فى وضعه للشورى التى أدت إلى فوزه فى الحكم... كان عمّار من أشدّ الناقلين على عثمان، و قد أظهر نعمته عليه فى المواضع التالىة:

١ - إنّ عثمان لما استأثر بالسفط الذى يضمّ جواهر ثمينه لا تقدّر قيمتها بثمن، فأخذها ليحلّى بها نساءه و بناته، فأنكر عليه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و أيّده عمّار، فقال له عثمان: يا ابن المتكاء [٤]، أعلّى تجترئ؟ ثمّ أوعز إلى شرطته بأخذه، فقبضوا عليه و أدخلوه عليه، فضربه ضربا مبرحا حتى غشى عليه، و حملوه إلى منزل أمّ المؤمنين السّيدة أمّ سلمه و لم يفق من شدّه الضرب حتى فاتته صلاه الظهرين

و المغرب، فلما أفاق قام و توضأ و صَلَّى صلاة العشاء و قال:

الحمد لله ليس هذا أول يوم اودينا فيه في الله.

يا لله! يا للمسلمين! أمثل عمّار الذي هو في طليعه المؤسسين في بناء الإسلام يضرب و يهان لأنه رأى أثره بغير تقى و نهبا لأموال المسلمين بغير وجه مشروع.

و كان من الطبيعي أن يثير ذلك غضب المسلمين و نعمتهم على عثمان عميد المؤمنين، فقد غضبت عائشه، و أخرجت شعرا من شعر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و ثوبا من ثيابه، و نعلا من نعاله، و قالت:

ما أسرع ما تركتم سنّه نبيكم! و هذا شعره و ثوبه و نعله لم يبيل بعد..

و غضب عثمان من عائشه، و لم يدر كيف يعتذر ممّا اقترفه تجاه عمّار [١].

٢ - أنّ أعلام الصحابه رفعوا مذكّره لعثمان ذكروا فيها أحداثه و مخالفاته لسنّه، و طالبوه بالكفّ عنها، فأخذها عمّار و دفعها إليه، فقال له عثمان بعنف:

أ علىّ تقدم من بينهم؟...

إنّي أنصحهم لك...

كذبت يا ابن سميه.

أنا و الله! ابن سميه، و ابن ياسر..

و أوعز عثمان إلى جلاوزته لمدّ يديه و رجله و ضربه عثمان بنفسه برجله على مذاكيره فأصابه فتق، و كان ضعيفا فاغمى عليه...

لقد لاقى هذا الصحابي من صنوف العذاب و التنكيل في عهد عثمان ما لا يوصف لمرارته، و الحاكم هو الله الذي يقضى بين عباده.

٣ - لَمَّا نَكَلَ عَثْمَانُ بِالصَّحَابِيِّ الثَّائِرِ عَلَى السِّيَاسَةِ الْأُمَوِيَّةِ أَبِي ذَرٍّ فَنَفَاهُ إِلَى الرَّبَذَةِ، وَ مَاتَ فِيهَا جَائِعًا غَرِيْبًا مَظْلُومًا مُضْطَهَدًا، فَحَزَنَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ عَثْمَانُ أَمَامَ جَمَاعِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ:

رَحِمَهُ اللَّهُ...

فَانْدَفَعَ عَمَّارٌ وَالْأَسَى بِأَدْعِيَتِهِ فَقَالَ:

رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ أَنْفَسِنَا...

فَغَضِبَ عَثْمَانُ وَقَالَ لِعَمَّارٍ بِأَفْحَشِ الْقَوْلِ وَأَقْسَاهُ قَائِلًا:

يَا عَاضُ أَيْرَ أَبِيهِ! أَتَرَانِي نَدَمْتُ عَلَى تَسْيِيرِهِ...؟ أَيْلِقُ هَذَا الْفَحْشَ بِالرَّجْلِ الْعَادِي فَضْلًا عَمَّنْ يَدَّعِي أَنَّهُ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ وَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَحِي مِنْهُ.

ثُمَّ أَمَرَ عَثْمَانُ غُلَمَانَهُ فَنَدَفَعُوا عَمَّارًا وَ أَرَهَقُوهُ، وَ أَمَرَ بِنَفْيِهِ إِلَى الرَّبَذَةِ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ لِلْخُرُوجِ أَقْبَلَتْ بَنُو مَخْزُومٍ إِلَى الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَكَلِّمَ عَثْمَانَ فِي شَأْنِ عَمَّارٍ وَ أَنْ يُلْغِيَ قَرَارَهُ فِي اعْتِقَالِهِ فِي الرَّبَذَةِ،

وَ كَلَّمَ الْإِمَامُ عَثْمَانَ بِذَلِكَ قَائِلًا:

«أَتَقُّ اللَّهَ، فَإِنَّكَ سَيَّرْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَهَلْكَ فِي تَسْيِيرِكَ، ثُمَّ أَنْتَ الْآنَ تَرِيدُ أَنْ تَنْفِي نَظِيرَهُ..؟».

فَنَارَ عَثْمَانُ وَ صَاحَ بِالْإِمَامِ:

أَنْتَ أَحَقُّ بِالنَّفْيِ مِنْهُ...

«رَمِ إِنْ شِئْتَ ذَلِكَ..».

وَ اجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ فَعَدَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ وَ عَفَا عَنْ عَمَّارٍ [١].

و هكذا لقي هذا الصحابي العظيم صنوف الاضطهاد و الارهاق من عثمان، و لم يلحظ مكانته في الإسلام و عظيم جهاده في إقامة صروح الدين، فإننا لله و إنا إليه راجعون.

٢ - مع أبي ذر:

إشارة

أما أبو ذرّ فهو صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَلِيلِهِ، وَهُوَ مِنَ الْأَسْبِقِينَ لِلْإِسْلَامِ، وَكَانَ مِنْ أَزْهَدِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَ مِنْ أَقْلِهِمْ احْتِفَالًا بِمَنَافِعِهَا، وَكَانَ مِنَ الْأَصْقِ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَكَانَ يَأْتِمُنُهُ حِينَ لَا يَأْتِمُنُ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَ يَسْرُ إِلَيْهِ حِينَ لَا يَسْرُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ [١]، وَهُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ أَحَبَّهُمُ اللَّهُ، وَ أَمْرُ نَبِيِّهِ بِحُبِّهِمْ، كَمَا أَنَّهُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ [٢] الَّذِينَ تَشْتَاقُ إِلَيْهِمُ الْجَنَّةُ [٣].

و لما آل الحكم إلى عثمان و استأثرت بنو أمية بمنافع الدولة و خيرات المسلمين، هبّ أبو ذرّ إلى الانكار عليه، و قد نهاه عثمان من نقده و الانكار عليه، فلم يمتنع و رأى أنّ ذلك ضروره إسلاميه و واجب عليه، و كان أبو ذرّ يقف أمام الذين وهبهم عثمان الثراء العريض و يتلو عليهم قوله تعالى: وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، و غاظ ذلك مروان بن الحكم المنتفع الأوّل من حكمه عثمان، فشكاه إليه، فأرسل خلفه، فنهاه فقال أبو ذرّ:

أ ينهاى عثمان عن قراءه كتاب الله؟... فوالله! لأن أرضى الله بسخط عثمان أحبّ إليّ و خير لى من أن أسخط الله برضاه...

لقد أبى أبو ذرّ الذى تربّى بتعاليم الإسلام و أحكام القرآن أن يصانع عثمان، و يقرّه على سياسته الملتويه التى اتّخذت مال الله دولاً.

و ضاق عثمان ذرعاً من أبى ذرّ النائر العظيم الذى وعى الإسلام و آمن بقيمه و تعاليمه، و راح عثمان يفتّش عن الوسائل التى يتخلّص بها من خصمه العنيد، فاتّخذ القرار التالى:

اعتقال أبى ذرّ فى الشام:

أبى أبو ذرّ أن يصانع عثمان و يساير خطواته و مخططاته و يجاريه بأى عمل من أعماله التى لا يقرّها الإسلام، و كان من ذلك أنّ عثمان سأل حضّار مجلسه فقال لهم:

أ يجوز لأحد أن يأخذ من بيت المال فإذا أيسر قضاه؟ فانبرى كعب الأخبار فأفتاه بالجواز، و صعب على أبى ذرّ أن يتدخّل كعب فى شئون الإسلام و هو يهودى النزعه، و قد شكّ فى إسلامه، فصاح به:

يا ابن اليهوديين، أ تعلمنا ديننا؟...

فتار عثمان و صاح بأبى ذرّ:

ما أكثر أذاك لى! و ولعك بأصحابى! الحق بمكتبك فى الشام...

و سيّره إلى الشام، فلمّا انتهى إليها أفزعه ما رأى من منكرات معاويه و بدعه، فقد رآه قد أطلق يديه فى بيت المال يهبه لعملائه و ينفقه على شهواته و ملاذّه فأخذ ينكر عليه ذلك، و يذيع مساوئ عثمان و بدعه، و قد قال لمعاويه حينما قال:

المال مال الله..

فردّ عليه أبو ذرّ:

المال مال المسلمين..

ص: ٢٥٥

إن أموال الخزينه العامه للمسلمين و ليست لمعاويه حتى ينفقها على ملاذه و تدعيم سلطانه، و لما بنى معاويه داره الخضراء أنكر عليه أبو ذرّ و قال له:

يا معاويه، إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانه، و إن كانت من مالك فهذا الإسراف..

و أخذ الشاعر العظيم يدعو المسلمين إلى الحذر و اليقظه من السياسه الأمويه التي أمعنت في اقتراف المنكر، فكان يقول لأهل الشام:

و الله! لقد حدثت أعمال ما أعرفها، و الله! ما هي في كتاب الله و لا في سنّه نبيّه، و الله! لأرى حقًا يطفأ، و باطلا يحيى، و صادقًا يكذب، و أثره بغير تقى، و صالحا مستأثرا عليه... [١].

و أخذ الوعي ينتشر بين أهل الشام، فقد أوجدت دعوته هدى في النفوس، و استتابتها العامه.. لقد كانت دعوته إلى إنصاف المحرومين، و تحريض الفقراء على استرجاع حقوقهم من الطغمه الحاكمه.. و خاف الطاغيه معاويه أن تندلع عليه نار الثوره فنهى الناس عن مخالطته و الاجتماع به، و قال بعنف لأبى ذرّ:

يا عدو الله! تؤلب الناس علينا، و تصنع ما تصنع!! فلو كنت قاتلا رجلا من أصحاب محمّد من غير إذن أمير المؤمنين - يعنى عثمان - لقتلتك..

فردّ عليه البطل العظيم غير حافل بسلطانه قائلا:

ما أنا بعدو الله و لا رسوله، بل أنت و أبوك عدوان لله و رسوله أظهرتما الإسلام و أبطنتما الكفر..

لقد صدق أبو ذرّ بمقالته، فإنّ معاويه و أباه أبو سفيان لم يؤمنا بالله طرفه عين،

أظهر الإسلام خوفاً من السيف و أبطنا الكفر و الكيد للإسلام.

و على أى حال، فقد ظلّ أبو ذرّ يواصل نشاطه الدينى و السياسى للتشهير بالحكم الأموى حتى فرغ منه معاويه و خاف على سلطانه.

إخراج أبى ذرّ من الشام:

و كتب معاويه إلى عثمان يخبره بخطر أبى ذرّ على الشام و يطلب منه إخراجة إلى بلد آخر، فأجابه عثمان، و أمره بحمله على أغلظ مركب و أوعره حتى يلقى الجهد و العناء، فأرسله معاويه مع جلاوزه نزعته من نفوسهم الرأفة و الرحمه و الشرف و الكرامه، فساروا به سيرا مزعجا و لم يسمحوا له أن يستريح من الجهد و العناء، و مضوا فى سيرهم لا يلوون على شىء حتى تسلّخت بواطن فخذه و كاد أن يموت.

و لما انتهى إلى يثرب دخل على عثمان و هو منهوك القوى، فاستقبله عثمان بالجفوه و مراره القول قائلا:

أنت الذى فعلت... و فعلت؟...

فأجابه أبو ذرّ بمنطق الحقّ قائلا:

نصحتك فاستغششتنى، و نصحت صاحبك - يعنى معاويه - فاستغشنى..

فصاح عثمان به:

كذبت، و لكنك تريد الفتنة و تحبها، و قد أنغلت الشام علينا...

فوجّه إليه أبو ذرّ نصيحته قائلا:

أتبع سنّه صاحبيك - يعنى أبا بكر و عمر - لم يكن لأحد كلام.

فصاح به عثمان:

ما لك لا أمّ لك...

فقال له أبو ذرّ بهدوء:

و الله! ما وجدت لى عذرا إلا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر..

و ثار عثمان فقال لمن حوله:

أشيروا علىّ فى هذا الشيخ الكذاب، إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنّه فرّق جماعه المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام...

فثار الإمام عليه السّلام من هذه الاستهانه التى قابل بها عثمان أبا ذرّ، فقال له:

«يا عثمان، سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: ما أظلت الخضراء، و لا أقلت الغبراء من ذى لهجه أصدق من أبى ذرّ..».

و لم يحفل هذا الثائر العظيم بعثمان، و إنّما راح ينكر عليه بوحي من دينه، و يندّد بسياسته الملتويه قائلاً له:

تستعمل الصبيان، و تحمى الحمى، و تقرب أولاد الطلقاء؟ و أخذ يذيع بين المسلمين ما سمعه من النبى صلّى الله عليه و آله فى ذمّ الأمويين، و مدى خطرهم على الإسلام قائلاً:

قال رسول الله: «إنّ بنى العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً، و عباد الله خولاً، و مال الله دولا» [١].

و أصدر عثمان أمراً بمنع مجالسه أبى ذرّ و حرّم مخالطته و الكلام معه، لأنّه يقول الحقّ و يأمر بالعدل و ينهى عن المنكر.

اعتقاله فى الربذه:

و استمرّ أبو ذرّ فى جهاده ينشر مساوى الأمويين و يذيع منكراتهم و يوقظ الجماهير، فضاق عثمان به ذرعاً فصمّم على أن ينفيه عن الأمصار الإسلاميه

و يعتقله فى أرض جرداء لا سكن فيها، فأرسل شرطته خلفه، فلما حضر عنده بادره أبو ذرّ منكرًا و ناقما على سياسته قائلاً:

و يحكك يا عثمان، أما رأيت رسول الله و رأيت أبا بكر و عمر، هل رأيت هذا هديهم، إنك لتبشش بى بطش الجبارين..

فقطع عليه عثمان كلامه و صاح به:

اخرج عَنَّا من بلادنا..

أ تخرجنى من حرم رسول الله صَلَّى الله عليه و آله ؟..

نعم، و أنفك راغم.

اخرج إلى مكّه.

لا..

الكوفه ؟ لا..

إلى الربذه حتى تموت فيها..

و أوعز شيخ الأمويين عثمان إلى وزيره و مستشاره مروان بن الحكم بإخراج هذا الصحابى العظيم من مدينه الرسول صَلَّى الله عليه و آله ليقم فى أرض جرداء قد انعدمت فيها جميع وسائل الحياه، فأخرجه الوزغ ابن الوزغ مهان الجانب، محطّم الكيان، و حرّم على المسلمين مشايعته و توديعه، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون.

توديع الاسره النبويه لأبى ذرّ:

و لم تذعن الاسره النبويه لأوامر عثمان بتحريم توديع أبى ذرّ، فقد خرجت و معها الصحابى الجليل عمّار بن ياسر لتوديع هذا الصحابى المضطهد، و تلقى عليه نظره الوداع.

ص: ٢٥٩

و لما رآهم مروان وجّه خطابه و إنذاره إلى الإمام الحسن عليه السّلام فقال له:

ايه يا حسن! ألا تعلم أنّ عثمان قد نهى عن كلام هذا الرجل؟ فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك...

و لم يجبه الإمام بكلمه احتقارا له،

و ثار الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و حمل على مروان و ضرب أذني دابته، و صاح به:

«تخّ نحاك الله إلى الثّار»، و ولّى مروان منهزما فزعا إلى سيّده و ابن عمّه عثمان يخبره بعصيان أهل البيت عليهم السّلام أمره، فاستشاط عثمان غيظا و ورم أنفه.

كلمه الإمام:

و ألقى الإمام عليه السّلام على أبي ذرّ نظره مشفوعه بالأسى و الحزن، و خاطبه بهذه الكلمات التي حدّدت أبعاد شخصيته أبي ذرّ، و ألقّت الأضواء على ثورته ضدّ الحكم الأموي قاتلا:

يا أبا ذرّ، إنك غضبت لله فارح من غضبت له. إنّ القوم خافوك على دنياهم، و خفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه و اهرب منهم بما خفتهم عليه؛ فما أحوجهم إلى ما منعهم، و ما أغناك عمّا منعوك! و ستعلم من الرّابح غدا، و الأكثر حسّدا. و لو أنّ السّماوات و الأرضين كانتا على عبد رتقا، ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا! لا يؤنسك إلا الحقّ، و لا يوحشك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبّوك، و لو قرضت منها لأمنوك.

يا لها من كلمات ذهبية ألّمت بواقع أبي ذرّ الذي ثار في وجه الطغيان و الاستبداد! فقد كانت ثورته إصلاحية استهدفت القضاء على الاستغلال و نهب ثروات الامّة.

و قد مجّد الإمام ثوره أبي ذرّ التي خشيتها الأمويّون و طلب منه أن يهرب بدينه

ليكون بمنجاة من شرور الأمويين.

كلمة الإمام الحسن:

و بادر ريحانه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله

الإمام الحسن عليه السّلام فصافح عمّه أبا ذرّ و ألقى عليه هذه الكلمات:

«يا عمّاه، لو لا أنّه ينبغي للمودّع أن يسكت، و للمشيّع أن ينصرف لقصر الكلام و إن طال الأسف، و قد أتى القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدّنيا بتذكّر فراغها، و شدّه ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها، و اصبر حتّى تلقى نبيّك و هو عنك راض..».

و ألّمت هذه الكلمات بما يحمل الإمام الحسن من أسى بالغ على ما حلّ بعمّه أبا ذرّ من الخطوب التي كانت من أجل إحقاق الحقّ و رفع كلمه الإسلام.

كلمة الإمام الحسين:

و ألقى الإمام الحسين عليه السّلام نظره الوداع على أبا ذرّ و خاطبه بهذه الكلمات:

«يا عمّاه، إنّ الله تبارك و تعالى قادر أن يغيّر ما قد ترى، إنّ الله كلّ يوم هو في شأن، و قد منعك القوم دنياهم، و منعهم دينك، فما أغناك عمّيا منعوك، و أحوجهم إلى ما منعهم، فاسأل الله الصّبر، و استعدّ به من الجشع و الجزع، فإنّ الصّبر من الدّين و الكرم، و إنّ الجشع لا يقدّم رزقا، و الجزع لا يؤخّر أجلا..».

و ألقّت هذه الكلمات الأضواء على ثوره أبا ذرّ التي كانت من أجل الصالح العامّ، و حكت خوف الأمويين منه، فقد خافوه على مناصبهم، و خافوه على الأموال التي اختلسوها من المسلمين.

كلمة عمّار:

و تقدّم الصحابي العظيم الطيّب ابن الطيّب عمّار بن ياسر و عيناه تفيض من الدموع، فخاطب صاحبه و خليله أبا ذرّ بهذه الكلمات:

«لا- آنس الله من أوحشك، ولا- آمن من أخافك، أما و الله! لو أردت دنياهم لآمنوك، و لو رضيت أعمالهم لأحبوك.. و ما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا و الجزع من الموت، و مالوا إلى سلطان جماعتهم عليه، و الملك لمن غلب فوهبوا لهم دينهم، و منحهم القوم دنياهم فخسروا الدنيا و الآخرة ألا ذلك هو الخسران المبين...».

كلمه أبى ذر:

و قابل أبو ذرّ الاسره النبويه و عيناه تفيضان دموعا، و خاطبهم بهذه الكلمات قائلا:

«رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة! إذا رأيتمكم ذكرت بكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، ما لى بالمدينه سكن و لا- شجن غيركم، إنى ثقلت على عثمان بالحجاز، كما ثقلت على معاويه بالشام، و كره أن اجاور أخاه و ابن خاله بالمصرين - الكوفه و البصره - فأفسد الناس عليهما، فسيرنى إلى بلد ليس لى به ناصر و لا دافع إلا الله، و الله! ما اريد إلا الله صاحبا و ما أخشى مع الله وحشه...».

و تحرّكت راحله أبى ذرّ تطوى البيداء حتى انتهت إلى الربذه ليموت فيها جوعا و فى يد عثمان ذهب المسلمين يصرفه على بنى أميه و آل أبى معيط ، و يحرمه على أبى ذرّ المصلح العظيم، فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون.

غضب عثمان على الإمام:

و لَمّا قفل الإمام عليه السّلام راجعا من توديع أبى ذرّ استقبلته جماعه من الناس فأخبروه بغضب عثمان لأنّه خالف أوامره التى حرّم فيها توديع أبى ذرّ،

فأجابهم الإمام: «غضب الخيل على اللّجم» [١]،

و بادر عثمان فصاح بالإمام:

ص: ٢٤٢

ما حملك على ردّ رسولي؟..

«أما مروان فإنه استقبلني يردّني فرددته عن ردّي، و أما أمرك فلم أردّه..».

أولم يبلغك أنّي قد نهيت الناس عن تشييع أبي ذرّ؟ «أو كلّ ما أمرتنا به من شيء يري طاعه الله و الحقّ في خلافه اتبعنا فيه أمرك؟!».

أقد مروان..

«و ما أقيده؟..».

ضربت بين اذني راحلته..

«أمّا راحلتي فهي تلك، فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، و أمّا أنا فو الله! لئن شتمني لأشتمنك أنت بمثلها، لا أكذب فيه و لا أقول إلاّ حقًا..».

و لم لا يشتمنك إذ شتمته، فو الله! ما أنت عندي بأفضل منه..

و تألم الإمام من عثمان الذي ساوى بينه و بين الوزغ ابن الوزغ مروان بن الحكم، و نسي جهاد الإمام و منزلته من النبيّ و أنّه منه بمنزله هارون من موسى، و ردّ الإمام على عثمان بأعنف القول قائلا له:

«إلّٰى تقول هذا القول، و بمروان تعدلني؟.. فأنا و الله! أفضل منك، و أبي أفضل من أبيك، و أمّي أفضل من أمك، و هذه نبليّ قد نثلتها..» [١].

و سكت عثمان و لم يطق جوابا، و تركه الإمام يموج في تيارات من الغضب، قد ورم أنفه و انتفخت أوداجه.

٣ - عبد الله بن مسعود:

و عبد الله بن مسعود القارئ من ألمع الصحابه و من خيارهم، و هو من الناقمين

ص: ٢٦٣

على عثمان لَمَّا استقرض الوليد من بيت المال فطالبه ابن مسعود برَدِّ ما استقرضه، فأبى الوليد و كتب إلى عثمان يخبره بذلك، فغضب عثمان و كتب إلى ابن مسعود إنمَّا أنت خازن لنا، و غاظ ذلك ابن مسعود و ألقى المفاتيح و قفل راجعا إلى يثرب، فلمَّا انتهى إليها وجد عثمان على المنبر يخطب، فلمَّا رأى ابن مسعود قال يخاطب الحاضرين:

قدمت عليكم دوويه سوء من يمشى على طعامه يقىء و يسلمح..

و ردَّ عليه ابن مسعود قائلاً:

لست كذلك، و لكننى صاحب رسول الله صلَّى الله عليه و آله يوم بدر و يوم بيعه الرضوان..

و اندفعت عائشه منكره على عثمان قائله له:

أى عثمان، أ تقول هذا لصاحب رسول الله؟..

و أمر عثمان جلاوزته بإخراج ابن مسعود من الجامع إخراجاً عنيفاً، و انبرى إليه أبو عبد الله بن زمعه فضرب به الأرض، و قيل بل احتمله (يحموم) غلام عثمان فاحتمله و رجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فانكسر ضلعه،

و ثار الإمام عليه السلام فخاطب عثمان بعنف قائلاً:

«يا عثمان، أ تفعل هذا بصاحب رسول الله بقول الوليد بن عقبه؟..».

فقال عثمان:

ما بقول الوليد فعلت هذا، و لكننى و جَّهت زبيد بن الصلت الكندى إلى الكوفة، فقال له ابن مسعود: إن دم عثمان حلال..

و أنكرك عليه الإمام أن يأخذ بقول زبيد قائلاً:

«أحلت عن زبيد على غير ثقه..» [١].

و حمل الإمام ابن مسعود إلى منزله، و قام برعايته حتى أبل من مرضه، و قاطعه عثمان و هجره، و فرض عليه الاقامه الجبريه فى يثرب، و قطع عنه عطاءه..

و مرض ابن مسعود مرضه الذى توفى فيه فدخل عليه عثمان عائدا فقال له:

ما تشتكى؟ ذنوبى؟ ما تشتهى؟ رحمه ربى.

أدعو لك طيبا؟ الطيب أمرضى.

أمر لك بعطائك؟ منعتنى عنه و أنا محتاج إليه، و تعطينيه و أنا مستغنى عنه! يكون لولدك.

رزقهم على الله! استغفر لى يا أبا عبد الرحمن.

اسأل الله أن يأخذ لى منك بحقّى.. [١].

و انصرف عثمان و لم يفز برضا ابن مسعود.. و لما ثقل حاله أوصى أن لا يصلّى عليه عثمان، و أن يصلّى عليه صاحبه و خليله عمّار بن ياسر.. و لما توفى قامت الصفوه من صحابه النبى صلّى الله عليه و آله بتجهيزه و دفنه، و لم يعلموا عثمان بذلك، فلما علم غضب، و قال: سبقتمونى؟ فردّ عليه عمّار:

إنّه أوصى أن لا تصلّى عليه..

و قال ابن الزبير:

لأعرفنك بعد الموت تندبنى و فى حياتى ما زودتنى زادى [١]

و بهذا ينتهى بنا الحديث عن بعض المعارضين لعثمان و الناقلين عليه.. و كان من أهم ما نقموا عليه من أعماله ما يلى:

١ - استبداده بأموال الدوله و إنفاقها على أسرته و ذويه فى حين أنّ المجاعه و الحرمان قد عمّتا البلاد.

٢ - منحه المناصب العاليه فى الدوله لبنى أميه و آل أبى معيط .

٣ - تنكيهه بخيار الصحابه الذين طالبوه بالعدل و الكفّ عن سياسته الملتويه، و لم يستجب لهم و إنّما نكل بهم أفضع التنكيل و أقساه، كما ذكرنا ذلك.

الثوره على عثمان:

أشاره

و كان من الطبيعى أن تندلع الثوره على عثمان بعد ما اقترفه من الأحداث الجسام، و لم تكن عفويه، و إنّما كانت نتيجة للنضج الاجتماعى و كانت إصلاحيه إلى حدّ كبير - كما يقول العلامة العلائلى :-

لقد شاع التنافر فى جميع الأوساط و أخذت الأنديه و المجالس تتحدّث عن مظالم عثمان، و سوء سياسته [٢].

مذكره المهاجرين لأهل مصر:

و رفع المهاجرون و خيار الصحابه مذكره لأهل مصر يستجدون بهم للقيام بتغيير نظام الحكم القائم، و هذا نصّ مذكرتهم:

ص: ٢٦٦

من المهاجرين الأولين وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابه و التابعين.

أمّا بعد، أن تعالوا إلينا و تداركوا خلافة رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قبل أن يسلبها أهلها، فإنّ كتاب الله قد بدّل، و سنّه رسوله قد غيّرت، و أحكام الخليفين قد بدّلت، فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و التابعين بإحسان إلاّ- أقبل إلينا، و أخذ الحقّ لنا و أعطانا، فاقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر، و أقيموا الحقّ على المنهاج الواضح الذى فارقتم عليه نبيكم، و فارقتكم عليه الخلفاء، غلبنا على حقنا، و استولى على فيثنا، و حيل بيننا و بين أمرنا، و كانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوه و رحمه، و هى اليوم ملكك عضوض، من غلب على شيء أكله.. [١].

و حفلت هذه المذكور بالأخطاء التى ارتكبتها عثمان و هى:

١ - تبديل كتاب الله و إلغاء أحكامه و نبد نصوصه.

٢ - تغيير سنّه الرسول.

٣ - تبديل أحكام الخليفين.

٤ - استئثار السلطه بالفىء.

٥ - صرف الخلافة الإسلاميه عن مفاهيمها الخيره إلى ملكك عضوض [٢].

و تحفّز المصلحون حينما انتهت إليهم هذه المذكور إلى إرسال وفد للاطلاع على أوضاع الخليفه و التعرف عليها.

مذكره أخرى لأهل الثغور:

و أرسل صحابه الرسول صَلَّى الله عليه و آله مذكره أخرى لأهل الثغور جاء فيها:

إنكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا فى سبيل الله عزّ و جلّ تطلبون دين محمد صَلَّى الله عليه و آله،

ص: ٢٤٧

فإنّ دين محمّد قد أفسده خليفتم فأقيموه.. [١].

كما أوفدت الجبهه المعارضه مذكره أخرى لأهل الأمصار، وقد أشاعت النقمه و السخط على حكومه عثمان.

وفود الأمصار:

إشاره

و استجابت الأمصار الإسلاميه لنداء الصحابه، فأرسلت وفودها إلى المدينه للاطلاع على حال عثمان، أمّا الوفود فهى:

١ – الوفد المصرى:

و أرسلت مصر وفدا كبيرا قدّر بأربعمائه شخص، و قيل بأكثر، بقياده المؤمن محمّد بن أبى بكر و عبد الرحمن بن عديس البلوى.

٢ – الوفد الكوفى:

و أرسلت الكوفه وفدا بقياده الزعيم الكبير مالك الأشتر، و زيد بن صوحان العبدى، و زياد بن النضر الحارثى، و عبد الله بن الأصمّ العامرى، و عمرو بن الأهمّ.

٣ – الوفد البصرى:

و أوفدت البصره مائه رجل بقياده حكيم بن جبلة، ثمّ أوفدت خمسين رجلا و فيهم ذريح بن عباد العبدى و بشر بن شريح القيسى و غيرهم من الوجوه و الأعيان [٢].

و استقبلت الصحابه الوفود بمزيد من الحفاوه و التكريم و حرّضتها على استقاله عثمان و الاطاحه بحكومته.

و رفع الوفد المصري مذكره لعثمان يدعوه فيها إلى الاستقامه فى سلوكه و التوازن فى سياسته، و هذا نصّها:

أمّا بعد، فاعلم أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم، فالله الله، ثمّ الله الله، فإنّك على دنيا زائله فاستقم معها، و لا تنس نصيبك من الآخره، فلا تسوّغ لك الدنيا، و أعلم أنّا لله، و لله نغضب، و فى الله نرضى، و أنّا لا نضع سيفنا عن عواتقنا حتّى تأتينا منك توبه أو ضلاله مجلحه مبلجه [١]، فهذه مقالتنا لك، و قضيتنا إليك، و الله عذيرنا منك و السلام..» [٢].

و حوت هذه المذكره الدعوه إلى الاصلاح و الاستقامه، و قد قرأها عثمان بامعان، و حوله المصريون قد أحاطوا به، فبادر المغيره بن شعبه فطلب منه أن يتكلّم مع المصريين، فأذن له، و لمّا أراد أن يفتح معهم صاحوا جميعا:

يا أعور وراءك.

يا فاجر وراءك.

يا فاسق وراءك.

و رجع المغيره خائبا لم تفلح وساطته، و دعا عثمان عمرو بن العاص و طلب منه أن يكلمّ القوم، فبادر تجاههم و سلّم عليهم، فلم يردّ أحد منهم عليه السلام لعلمهم بفسقه و صاحوا به:

ارجع يا عدوّ الله..

ارجع يا ابن النابغه، لست عندنا بأمين و لا مأمون..

و رجع ابن العاص خائبا في وفادته، فقد قوبل بمزيد من الاستهانه.

استجارته بالإمام:

و سدّت على عثمان جميع الوسائل، فلم ير هناك طريقا مفتوحا ليتخلّص به ممّا هو فيه من المحنه، و رأى أنّه لا- ملجأ له إلاّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، فاستغاث به، فأجابه الإمام بعد أن شرط عليه أن يدعو القوم و يلتزم لهم بالسير على كتاب الله و سنّه نبيّه، فأجابه إلى ذلك، و انطلق الإمام صوب الثّوار و هو يحمل لهم الضمان و الالتزام بجميع ما طلبوه، فلّمّا رأوا الإمام قالوا له:

وراءك؟ فأجابهم الإمام بالالتزام الكامل بجميع مطالبهم قائلا:

«تعطون كتاب الله، و تعتبون من كلّ ما سخطتم عليه...».

أتضمن ذلك؟..

«نعم...».

رضينا.

و أقبل وجوه الوفد و أشرافهم مع الإمام فدخلوا على عثمان و عاتبوه على سياسته، و طلبوا منه أن يغيّر سلوكه و يسير بين المسلمين بسياسه قوامها العدل الخالص و الحقّ المحض، فأجابهم إلى ذلك.

كتاب عثمان:

و كتب عثمان إلى الوفود التي أحاطت به هذا الكتاب و التزم بتنفيذ ما فيه، و هذا نصّه: هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نعم عليه من المؤمنين و المسلمين، إنّ لكم أن تعمل فيكم بكتاب الله و سنّه نبيّه، يعطى المحروم، و يؤمن الخائف، و يردّ المنفى، و لا يجمر في البعوث، و يوفّر الفىء، و علىّ بن أبى طالب

ص: ٢٧٠

ضمين للمؤمنين، و على عثمان الوفاء بما فى هذا الكتاب.

و شهد فيه كل من الزبير بن العوام، و طلحه بن عبيد الله، و عبد الله بن عمر، و زيد بن ثابت، و سهل بن حنيف، و أبو أيوب خالد بن زيد، و كان توقيعه و الشهاده عليه سنه (٣٥ هـ) [١].

و استلم الثوار الكتاب، و انصرفوا إلى جماعتهم، و طلب الإمام من عثمان أن يخرج إلى الناس و يعلن لهم تنفيذ ما أرادوا، ففعل عثمان ذلك، و قد أعطاهم عهد الله و ميثاقه أن يسير فيهم بكتاب الله و سنه نبيه، و يوفّر لهم الفىء و لا يؤثر به أحدا من بنى أمية، و قفل المصريون راجعين إلى بلادهم.

نقضه للعهد:

و من المؤسف أن عثمان نقض ما قطعه على نفسه و لم يف للمسلمين بما عاهدهم عليه، أما سبب ذلك فتعزوه مصادر التاريخ إلى مروان الذى كان وزيرا و مستشارا له، فقد لامه على ما أعطاه للمصريين من العهد و طلب منه نقض ذلك، فامتنع من إجابته إلا أنه أصر عليه، فاستجاب له، فخرج إلى الناس و اعتلى المنبر و قال: أما بعد، إن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر، فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم رجعوا إلى بلادهم.. و قطع عليه ابن العاص كلامه و قال له:

أتق الله يا عثمان! فإنك قد ركبت نهاير [٢] و ركبتها معك، فتب إلى الله نتب معك.

فصاح به عثمان:

و إنك هناك يا ابن النابغه! قملت و الله! جبتك منذ تركتك من العمل..

ص: ٢٧١

و ارتفعت أصوات الإنكار من جميع جنات المسجد و هي ذات لهجه واحده:

أتق الله يا عثمان! أتق الله يا عثمان! [١].

و انهار أمام هذا الحشد الهائل من الإنكار و لم يدر ما يقول، و لم يجد بداً من إعلان التوبه مرّه ثانيه، فتاب و ندم على ما فرط في أمر نفسه.

استنجاهه بمعاويه:

و أحاط الثّوار بعثمان لأنّه لم يقلع عن سياسته، و لا يغيّر و لا يبدّل أى شىء منها، و طالبوه بالاستقاله من منصبه فأبى، و رأى أنّ خير وسيله له أن يستنجد بابن عمّه معاويه ليعث له قوه عسكريه من أهل الشام تحميه من الثّوار، فكتب إليه:

أمّا بعد، فإنّ أهل المدينه قد كفروا، و خلعوا الطاعه و نكثوا البيعه، فابعث إليّ من قبلك مقاتله أهل الشام على صعب و ذلول.. [٢].

و حمل الكتاب مسور بن مخرمه، و أخذ يجدد في السير حتى انتهى إلى معاويه، فناوله الكتاب و قال له:

يا معاويه، أنّ عثمان مقتول، فانظر فيما كتب به إليك.

و سخر منه معاويه و أجابه:

يا مسور، إنّى مصرّح أنّ عثمان بدأ بعمل بما يحب الله و رسوله و يرضاه، ثمّ غيّر فغيّر الله عليه، أفتيهياً لى أن أردّ ما غيّر الله عزّ و جلّ .. [٣]؟

ص: ٢٧٢

و لم يبد معاويه أى اهتمام بشأن عثمان، و كان يترقب قتله ليتخذ من دمه ورقه رابحه يطلب بها المطالبه بدمه.

و قد تنكر معاويه لعثمان، و لم يستجب له فى وقت محتته.

يقول الدكتور محمد طاهر دروش:

و إذا كان هناك وزر فى قتل عثمان فوزره على معاويه و دمه فى عنقه، و مسئوليته عن ذلك لا تدفع، فهو أولى الناس به، و أعظم الرجال شأنا فى دولته، و قد دعاه فيمن دعا، يستشير فى هذا الأمر، و هو داهيه الدهاه، فما نهض إليه برأيه، و لا دافع عنه بجنده، و كأنه قد استطال - كما استطال غيره - حياته، فترك الأيام ترسم بيدها مصيره، و تحدد نهايته، فإذا جاز لأحد أن يظن بعلى أو بطلحه و الزبير تقصيرا فى حق عثمان فمعاويه هو المقصير، و إذا جاز أن يلام أحد غير عثمان فيما جرى فمعاويه هو المعلوم [١].

و كتب عثمان رسائل أخرى إلى أهل الأمصار يستنجد بهم و يطلب منهم المعونه لرفع الحصار عنه، إلا أنه لم يستجب أى أحد منهم لعلمهم بالأحداث الجسام التى اقترفها..

الحصار على عثمان:

و فرض الثوار الحصار على عثمان، و أحاطوا بداره و هم يهتفون بسقوطه، و يطالبونه بالاستقاله من منصبه، و فى أثناء تلك المحنه الحازيه التى أحاطت بعثمان انبرى مروان إلى الثوار فأشعل نار الثوره فى نفوسهم و دفعهم إلى الاطاحه بحكم عثمان قائلا لهم:

ما شأنكم ؟ كأنكم قد جئتم لنهب، شأهت الوجوه تريدون أن تنزعوا ملكنا

ص: ٢٧٣

من أيدينا أخرجوا عنا..

و كانت هذه الكلمات الطائشه قد أشعلت فتيل الحرب على عثمان، و نقلت إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فحُفَّ مسرعا إلى عثمان و قال له:

«أما رضيت من مروان، و لا رضى منك إلا بتحرّفك عن دينك و عن عقلك، مثل جمل الطّعينه يقاد حيث يشاء ربّه، و الله! ما مروان بنى رأى فى دينه و لا فى نفسه، و أيم الله لأراه يوردك و لا يصدرك، و ما أنا عائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، و غلبت على أمرك..».

و تركه الإمام و انصرف عنه، و الثّوار قد أحاطوا به، و التفتت نائله زوج عثمان إلى مروان و بنى أميّه فقالت لهم:

أنتم و الله! قاتلوه و ميّموا أطفاله..

و التفتت إلى زوجها تحذّره من مروان قائلة له:

إنك متى أطعت مروان قتلك..

لقد كان مروان من أهمّ الأسباب التى أدّت إلى قتل عثمان، فقد أطاعه عثمان إطاعه عمياء، و هو يدفع به إلى مهالك من دون أن يحسّ عثمان بذلك.

يوم الدار:

و اندلعت نيران الثوره فقد نفذ صبر الثّوار، فلم يستقل عثمان من منصبه، و قد أحاطوا بداره، و قد شهروا سيوفهم، فخرج إليهم مروان مدافعا عنه، فبرز إليه عروه بن شيم الليثى فضربه على قفاه بالسيف فخر لوجهه صريعا، و قام إليه عبيد بن رفاعه الزرقى، فأراد أن يقطع رأسه فعذّلته فاطمه الثقيفه و قالت له:

إن كنت تريد قتله، فقد قتلته، فما تصنع بلحمه أن تبضعه، فاستحى منها و تركه.

و تسلّق الثّوار عليه الدار، و لم يكن عنده أحد يدافع عنه، فقد ورمت منه القلوب، و مَجّته النفوس، و رماه الناس بالحجار و نادوه:
لسنا نرميك، بل الله يرميك..

و احتفّ به بعض الأمويين يدافعون عنه.. و قد نشب بينهم و بين الثّوار قتال عنيف، و قد فرّ و انهزم خالد بن عقبه بن أبي معيط
من ساحه القتال، و إليه يشير عبد الرحمن بن سيحان بقوله:
يلومونى فى الدار إن غبت عنهم و قد فرّ عنهم خالد و هو دارع
و قتل من أصحاب عثمان زياد بن نعيم الفهرى، و المغيرة بن الأحنس، و نيار بن عبد الله الأسلمى و جماعه.

مصرع عثمان:

و انهزم بنو أمية و آل أبي معيط و تركوا عثمان وحده، فأجهز عليه جماعه من المسلمين فى مقدّماتهم محمّد بن أبى بكر، فقد
قبض على لحيته و قال له:

أخزأك الله يا نعتل [١].

فردّ عليه عثمان:

لست بنعتل، و لكننى عبد الله و أمير المؤمنين.

فقال له محمّد بعنف:

ما أغنى عنك معاويه و فلان و فلان، و أخذ يعدّد بنى أمية..

ص: ٢٧٥

و تضرع عثمان إلى محمد قائلا له:

يا ابن أخي، دع عنك لحيتي، فما كان أبوك ليقبض علي ما قبضت عليه..

فأجابه محمد بعنف:

ما أريد بك أشد من قبضي علي لحيتك..

و طعن محمد جبينه بمشقص كان في يده، و رفع كنانه بن بشر مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أذنه حتى دخلت في حلقة، ثم علاه بالسيف، و وثب عليه عمرو بن الحمق الخزاعي، فجلس على صدره و به رمق فطعنه تسع طعنات، و كسر عمير بن ضابئ ضلعين من أضلاعه، و حاولوا حز رأسه، فألقت زوجته نائله و ابنه شبيب بن ربيعة بأنفسهما عليه، فأمر ابن عديس بتركه لهما.. [١].

و ألقيت جثته عثمان ملطخه بدمه على الأرض لم يفرغ إليه أحد من الأمويين و آل أبي معيط لمواراته في مقزه الأخير، و قد بالغ الثوار في إهانته، فقد ألقوا جثمانه على المزيلة لثلاثة أيام [٢] مبالغه في توهينه و تحقيره، و كلم بعض خواصه الإمام عليه السلام أن يتوسط إلى الثوار فيواروه، فكلّمهم الإمام فأذنوا له في دفنه، و وصف جولد تسهير كيفيه دفنه بقوله:

و بسط جثمانه دون أن يغسل على باب، فكان رأسه يقرع قرعا، يقابل بخطوات سريعه من حامله، و هم يسرعون في ظلام الليل، و الأحجار ترشفه، و اللعنات تتبعه، و دفنوه في حش كوكب [٣]، و لم يسمح الأنصار بمواراته في مقابر المسلمين [٤]، و أمّا غلاماه اللذان قتلا معه فقد سجوهما و ألقوهما على التلّه

ص: ٢٧٤

و بذلك فقد انتهت حياه عثمان بهذه الصوره المرّوعه، و قد امتحن بها المسلمون كأشدّ و أقسى ما يكون الامتحان، و أخذت لهم الفتن و المصاعب، و أقتهم فى شرّ عظيم، فقد ربح الأمويّون بقتله، فقد طالبوا بدمه، كما تذرّعت بالمطالبه بدمه القوى النفعيه أمثال: طلحه و الزبير و عائشه، فقد رفعوه شعارا لهم، و هم الذين أجهزوا عليه.

و على أى حال، فقد منى العالم الإسلامى بحكومه عثمان و بمصرعه بمصاعب و فتن، و قد تحدّثنا عنها فى كتابنا (حياه الإمام الحسين عليه السّلام) فلا نرى حاجه لإعادتها، و قد اقتبسنا معظم هذه الفصول منه، و ذلك لأنّها ترتبط ببحثنا ارتباطا موضوعيا لا غنى عنها، فإنّها و إن ذكرت فى كتاب (حياه الإمام الحسن عليه السّلام) و كتاب (الإمام الحسين عليه السّلام) فهى على سبيل الاستطراد لأنّها تمثّل الحياه الاجتماعيه و السياسيه فى عصر الإمامين عليهما السّلام، أمّا ذكرها هنا فإنّها من صميم الموضوع.

المحتويات

التقديم ٧

مع النبي في جهاده و غزواته ٩-٦٥

واقعه بدر ١٢

استنجد ابي سفيان بقريش ١٢

رؤيا عاتكه ١٢

نصيحه عتبه بن ربيعه ١٣

سقايه الامام عليه السلام للجيش ١٤

دعاء النبي صلى الله عليه و آله للأنصار ١٥

دعاء النبي صلى الله عليه و آله على قریش ١٥

النبي صلى الله عليه و آله مع أصحابه ١٥

المعركة ١٦

بساله الامام عليه السلام ١٦

أسماء من قتلهم الامام عليه السلام ١٧

وقوف النبي صلى الله عليه و آله على قتلى بدر ١٩

الأسرى من قریش ٢٠

حزن القرشيين على قتلاهم ٢٠

ص: ٢٧٩

انتصار الإسلام ٢١

واقعه أحد ٢٢

الحرب ٢٣

هزيمه المسلمين ٢٤

مصرع الشهيد حمزه ٢٥

مصرع الشهيد مصعب ٢٦

حمایه الإمام علیه السلام للنبي صلى الله عليه وآله ٢٦

تشفی هند ٢٧

تشفی أبي سفيان ٢٨

حزن النبي صلى الله عليه وآله ٢٨

ملاحقه النبي صلى الله عليه وآله للقرشيين ٣٠

سرور القرشيين ٣٠

واقعه الخندق ٣٠

دور اليهود في المعركة ٣١

النبي صلى الله عليه وآله مع نعيم ٣٢

حفر الخندق ٣٣

مبارزه الإمام علیه السلام لعمر و ٣٤

فتح خيبر ٣٨

مبارزه الإمام علیه السلام لمرح و ٤٠

غزوه بنى قريظه ٤١

نصیحه كعب لبني قريظه ٤٢

نزولهم على حكم الرسول صلى الله عليه و آله ٤٣

تحكيم سعد ٤٣

غزوه بني النضير ٤٤

غزوه وادي القرى ٤٥

ص: ٢٨٠

الإمام وفتح اليمن ٤٥

دعاء الإمام عليه السلام ٤٥

إسلام همدان ٤٦

فتح مكّه ٤٧

رساله حاطب لقريش ٤٧

فى رحاب مكّه ٤٨

العباس و أبو سفيان ٤٩

أبو سفيان بين يدي النبي صَلَّى الله عليه وآله ٥٠

الطاف النبي صَلَّى الله عليه وآله على أبي سفيان ٥١

أبو سفيان فى مضيق الوادى ٥٢

نداء أبى سفيان ٥٣

معارضه هند ٥٣

دخول النبي صَلَّى الله عليه وآله مكّه ٥٤

النبي صَلَّى الله عليه وآله فى الكعبه ٥٤

تطهير البيت من الأصنام ٥٥

خطاب النبي صَلَّى الله عليه وآله ٥٦

غزوه حنين ٥٧

فرار المسلمين ٥٨

بساله الإمام عليه السلام ٥٩

شماته أبى سفيان و صفوان ٥٩

هزيمه المشركين ٦٠

الغنائم ٦٠

الإمام عليه السلام و سورة البراءه ٦٢

غزوه تبوك ٦٣

الإمام عليه السلام يصف جهاده ٦٤

ص: ٢٨١

طلائع الرّحيل ٦٧-٧٨

حجّه الوداع ٧١

مؤتمر غدير خمّ ٧٤

البيعه العامه للإمام ٧٧

نزول آيه إكمال الدين ٧٨

المأساه الخالده ٧٩-٩٨

إعطاء القصاص من نفسه ٨٢

سريه اسامه ٨٥

رزيه يوم الخميس ٨٧

فجيعة الزهراء عليها السلام ٩٠

النبيّ صلّى الله عليه و آله يوصى بأهل بيته ٩٢

وصيه النبيّ صلّى الله عليه و آله بسبطيه ٩٢

إلى الفردوس الأعلى ٩٢

تجهيز الجثمان العظيم ٩٥

الصلاه على الجثمان العظيم ٩٦

مواراه الجثمان المقدّس ٩٧

فزع أهل البيت عليهم السلام ٩٧

تأبين الإمام عليه السلام للرسول صلّى الله عليه و آله ٩٨

مؤتمر السقيفه و حكمه أبي بكر ٩٩-١٧١

البواعث لمؤتمر السقيفه ١٠٢

خطاب سعد ١٠٥

المؤاخذه على سعد ١٠٦

ضعف نفسه الأنصار ١٠٧

اختلاف الأنصار ١٠٨

فذلكه عمر ١٠٨

نظره و تأمل ١١٠

مداهمه الأنصار ١١١

خطاب أبي بكر ١١٢

دراسه و تحليل ١١٣

فوز أبي بكر بالحكم ١١٦

هزيمه الأنصار ١١٨

ابتهاج القرشيين ١١٩

موقف أبي سفيان ١١٩

موقف الإمام عليه السلام من بيعه أبي بكر ١٢٢

امتناع الإمام عليه السلام من البيعه ١٢٣

احتجاجات صارمه ١٢٦

١ - احتجاج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ١٢٦

٢ - الزهراء عليها السلام ١٢٦

محتويات الاحتجاج ١٢٨

استنجد الزهراء عليها السلام ببني قيله ١٣٠

٣ - الإمام الحسن عليه السلام ١٣١

٤ - سلمان الفارسي رضي الله عنه ١٣١

٥ - عمّار بن ياسر رضي الله عنه ١٣٢

٦ - أبو ذرّ رضي الله عنه ١٣٣

٧ - المقداد رضي الله عنه ١٣٤

ص: ٢٨٣

٨ - عتبه بن أبي لهب ١٣٥

٩ - أبو أيوب الأنصاري ١٣٥

١٠ - أبي بن كعب ١٣٦

١١ - النعمان بن عجلان ١٣٧

١٢ - عثمان بن حنيف ١٣٧

١٣ - سهل بن حنيف ١٣٧

١٤ - خزيمه بن ثابت ١٣٨

١٥ - أبو الهيثم بن التيهان ١٣٩

إجراءات مؤسفه ١٤٠

كبس دار الإمام ١٤٠

تأميم فدك ١٤٣

مطالبه الزهراء عليها السلام بفدك ١٤٣

إلغاء الخمس ١٤٦

مصادره تركه النبي صلى الله عليه وآله ١٤٦

الخطاب الخالد للزهراء عليها السلام ١٤٨

ندم أبي بكر ١٥٤

محاولة فاشله لإرضاء الزهراء ١٥٤

أضواء على موقف الإمام ١٥٦

١ - فقده للقوة العسكريه ١٥٦

٢ - المحافظه على وحده المسلمين ١٥٨

٣ - الحفاظ على الإسلام من التصدّع و الانهيار ١٥٨

لوعه الزهراء عليها السّلام و شجونها ١٥٨

الزهراء عليها السّلام فى ذمّه الخلود ١٦١

وصيتها عليها السّلام ١٦١

وفاه أبى بكر و عهده لعمر ١٦٧

ص: ٢٨٤

موقف الإمام عليه السلام ١٧٠

خلافه عمر و مبدأ الشورى ١٧٣-٢١٩

سياسته الداخليه ١٧٥

سعد بن أبى وقاص ١٧٥

جبله ١٧٦

فرض الإقامه الجبريه على الصحابه ١٧٧

رأى طه حسين ١٧٨

ولاته و عماله ١٧٨

مراقبه الولاه و العمال ١٧٩

سياسته الماليه ١٨٣

ناقدون ١٨٤

١ - الدكتور محمّد مصطفى ١٨٥

٢ - العلامه العائلى ١٨٥

٣ - الدكتور عبد الله سلام ١٨٥

ندم عمر ١٨٦

اعتزال الإمام ١٨٦

نصيحته لعمر ١٨٩

١ - غزو الروم ١٨٩

٢ - غزو الفرس ١٨٩

٣ - حلى الكعبه ١٩٠

اغتيال عمر ١٩١

وصيته ١٩٣

عمر مع ابنه عبد الله ١٩٣

ص: ٢٨٥

نظام الشورى ١٩٥

صلاه صهيب ١٩٦

انتخاب عمر لأعضاء الشورى ١٩٧

عمر مع أعضاء الشورى ١٩٧

الروايه الاولى ١٩٧

مع الزبير ١٩٨

مع طلحه ١٩٩

مع سعد بن أبى وقاص ١٩٩

مع عبد الرحمن بن عوف ٢٠٠

مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٢٠٠

مع عثمان ٢٠١

الروايه الثانيه ٢٠١

الروايه الثالثه ٢٠٣

الهيئه المشرفه على الانتخاب ٢٠٥

عمر مع أبى طلحه و المقداد ٢٠٥

إنذار عمر للصحابه ٢٠٦

رأى الإمام عليه السلام ٢٠٦

آفات الشورى ٢٠٨

عمليه الانتخاب ٢١٣

حكومه عثمان ٢٢١-٢٧٧

مظاهر شخصيته ٢٢٤

أولا - ضعف الإرادة ٢٢٤

ثانيا - حبه العارم للأمويين ٢٢٥

ص: ٢٨٦

ثالثا - ميله إلى الترف ٢٢٥

رابعا - مصانعه الوجوه ٢٢٦

ولاته و عمّاله ٢٢٧

١ - عبد الله بن عامر ٢٢٧

٢ - الوليد بن عقبه ٢٣٠

٣ - عبد الله بن سعد ٢٣٥

٤ - معاوية بن أبي سفيان ٢٣٦

٥ - سعيد بن العاص ٢٣٧

سياسته الاقتصادية ٢٤٠

هباته للأمويين ٢٤١

هباته للأعيان ٢٤٥

إقطاعه للأراضي ٢٤٦

قائمة بأسماء الممنوحين أراض واسعة ٢٤٨

استقطاع عثمان للأموال ٢٤٩

مع الجبهة المعارضه ٢٥٠

التنكيل بالمعارضين ٢٥٠

١ - عمّار بن ياسر ٢٥٠

٢ - مع أبي ذرّ ٢٥٤

اعتقال أبي ذرّ في الشام ٢٥٥

إخراج أبي ذرّ من الشام ٢٥٧

اعتقاله فى الربذه ٢٥٨

توديع الاسره النبويه لأبى ذرّ ٢٥٩

كلمه الإمام عليه السّلام ٢٦٠

كلمه الإمام الحسن عليه السّلام ٢٦١

كلمه الإمام الحسين عليه السّلام ٢٦١

ص: ٢٨٧

كلمه عمّار ٢٦١

كلمه أبى ذرّ ٢٦٢

غضب عثمان على الإمام ٢٦٢

٣ - عبد الله بن مسعود ٢٦٣

الثوره على عثمان ٢٦٦

مذكّره المهاجرين لأهل مصر ٢٦٦

مذكّره أخرى لأهل الثغور ٢٦٧

وفود الأمصار ٢٦٨

١ - الوفد المصرى ٢٦٨

٢ - الوفد الكوفى ٢٦٨

٣ - الوفد البصرى ٢٦٨

مذكّره المصرّيين لعثمان ٢٦٩

استجارته بالإمام ٢٧٠

كتاب عثمان ٢٧٠

نقضه للعهد ٢٧١

استنجاهه بمعاويه ٢٧٢

الحصار على عثمان ٢٧٣

يوم الدار ٢٧٤

مصرع عثمان ٢٧٥

المحتويات ٢٧٩-٢٨٨

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

